فريدة مصر

أسرار ملكة وسيرة فنانة

د. لوتس عبد الكريم



الدار المصرية اللبنانية

« فريدة مصر »

ربطت الصداقة العميقة بين د . لوتس عبد الكريم ، والملكة « فريدة » عبر رحلة ثرية بأحداثها ووقائعها .. بل وصل الأمر بمؤلفة الكتاب إلى أن لازمتها ملازمة دائمة خلال آخر خمس سنوات من حياتها ..

الأمر الذي يؤكد درجة المصداقية العالية واليقين التي يتسم بها كل حرف من حروف هذا الكتاب عن حياة الملكة « فريدة » ومسيرتها منذ ميلادها حتى لحظة الرحيل ..

جاءت الملكة فريدة إلى الحياة نسمة رقيقة .. شعلة متوقدة من الذكاء وتجسيداً رائعًا للصفاء الذهني والسمو في القول والفعل .. وتلقت تعليمًا راقيًا دفع بها إلى صفوة المجتمع المصري آنذاك ..فكان من الطبيعي أن تجلس على عرش هذا المجتمع .. وعرش قلوب أبناء هذا المجتمع ..

وشاءت الأقدار أن تتبدل الأحوال ، وتتغير خطوط المسار .. تنفصل الملكة « فريدة » عن الملك « فاروق » .. ويذهب العرش إلى اللا عودة .. وتتجلى إرادة التحدي عند الملكة « فريدة » ، وتبدأ رحلة الكشف عن أعماقها المبدعة والثراء الفني الذاتي داخل هذه الأعماق .. فتتجلى روح الفنانة قوية معبرة ، في موهبة وصدق وتلقائية ، شهد بها كبار الفنانين والمبدعين..

واستمرت حياتها .. ملكة بلا منازع .. سمو في العيش .. سمو في التعامل .. سمو في التعبير .. سمو في عشق الوطن ..

كانت « فريدة » فريدة بحق في كل دروب حياتها ورحلة أيامها .. صادقة في كل أفعالها ومشاعرها .. وفية لكل أحاسيسها وذكرياتها .. حافظة لكل ما زخرت به حياتها من أسرار وخبايا وأحداث وانتصارات وإخفاقات .. يندر أن تزخم به حياة ملكة ، قبلها أو بعدها ..

د. لوتس عبد الكريم





الدار المصرية اللبنانية

عبد الكريم ، لوتس .
فريدة مصر : أسرار ملكة وسيرة فنانة / لوتس عبد الكريم
. ــ ط1. ــ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2009 .
248 ص؛ 27.5x19.5 سم.
تدمك : 2 ــ 523 ــ 427 ــ 977 ــ 978
1 ــ ذو الفقار ، صافيناز ، 1921 – 1988 - المذكرات .
أ ــ العنوان . 920
رقم الإيداع : 16565 / 2009

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

الطبعة الأولى : محرم 1431هـ - يناير 2010م



المحتويات

- مقدمة ! هذه هي الملكة فريدة : مصطفى أمين . 7
- الملكة فريدة : المرأة والأسطورة . 11
- فريدة : أحاديث وحكايات . 91
- أغرب حديث صحفي : إبراهيم سعدة . 146
- فريدة الفنانة بأقلامهم: 149
- صور من النهر الخالد : مختار العطار . 151
- ملحمة الملكة « فريدة مصر » : د. صبحي الشاروني . 166
- فريدة بأقلامهم: 181
- فريدة كانت ملكة على مصر : د. نعمات أحمد فؤاد. 183
- ملكة أحبَّها المصريون : د. لطيفة سالم. 191
- صافيناز ذو الفقار تعسة في العهد الملكي بائسة في العهد الثوري : جمال بدوي . 194
- ليس دفاعًا عن الملكة فريدة ، محمد جلال. 213
- قصة بيت الملكة السابقة فريدة : المهندس المعماري علي نور الدين نصار . 216
- مصطفى أمين يكتب قصة الصورة. 218
- امرأتان .. لا امرأة واحدة : المصور أحمد يوسف . 227
- مجرد رأي .. حكاية ملكة : صلاح منتصر . 228
- الملكة فريدة : ضحيت بنفسي مع فاروق من أجل أسرتي : عبد المنعم سليم. 230
- المؤرخون يقولون كلمتهم النهائية عن الشائعات الكاذبة حول الملكة فريدة : حلمي النمنم . 242



أغلب صور الكتاب من الأرشيف
الشخصي الخاص بالمؤلفة وتنشر للمرة الأولى



بورتريه شخصي للملكة فريدة

بريشة الفنان محمد طراوي

من مقتنيات المؤلفة



إهـداء

إلى روحها الطاهرة في سماوات الله

بعضًا منها وإليها

لوتـس



من شذا أنفاسِك الحلوةِ كلُّ ما قيل من كلمٍ جميلٍ

فيك يا فريدة.. من عبير وجودكِ بكل مجلسٍ وكلِّ

مكانٍ حللتِ به.. من عطرِ ما خلفت بعدكِ وأريجِ

ما نثرت حولكِ.. تبارى الكلُّ في سردِ سيرتكِ..

روحٌ وريحانٌ تضوَّعت به ذكراكِ وأثر باقٍ حفل به

وخلَّد ذكركِ..





مقدِّمة

هذه هي الملكة فريدة

في صيف عام 1937؛ كنت أتولى رياسة تحرير مجلة «آخر ساعة» في غياب الأستاذ محمد التابعي وفوجئت بخطاب من التابعي يقول «اصدروا في الأسبوع القادم عددًا خاصًا عن الملك» وكان التابعي في معية الملك فاروق في سويسرا وكان الصحفي الوحيد هناك، وكان المفروض أن يكتب التابعي عدة مقالات لتنشر في العدد الخاص، ولكنه لم يكتب شيئًا لأنه أعطى كلمة ألَّا يكتب كلمة عن الملك أثناء وجوده مع الملك. وواصلنا الليل بالنهار في إعداد العدد الخاص. وكتبت أنا مقالاً قلت فيه: هل يتزوج الملك الآنسة صافيناز ذو الفقار؟ وكنت أعرف أنها مع والدتها وصيفة الملكة نازلي، وأنها موضع اهتمام الملك. وعاد التابعي قبل صدور العدد بيوم واحد، وقدمت له العدد الذي سيصدر في اليوم التالي، وما كاد يرى المقال حتى ثار وهاج وماج وسألته: هل الخبر غير حقيقي؟ قال: إن المصيبة أنه حقيقي. وجمعنا المقال وطلبنا منهم أن ينزعوا الصفحة التي فيها مقال زواج الملك. وكانت هذه من المرات القليلة التي تصادر فيها جريدة لأنها نشرت خبرًا صحيحًا.

وتم الزواج وكان يبدو أنه زواج سعيد، ولكن أسرة العروس اعتقدت أن الملكة نازلي مسيطرة على فاروق، وقد اتفقوا على إبعادها، وأن تحل محلها جدة صافيناز وهي حرم محمد سعيد باشا رئيس الوزراء السابق. وهكذا فقدت الملكة فريدة المظلة التي كانت تتدخل لإنهاء كل نزاع لأن فاروق لم يقبل وصاية أحد بعد إبعاد والدته.

ولولا صغر سن فريدة لما حدث الطلاق. وقد لا يعرف كثيرون أنها هي التي أصرت على الطلاق، ولم تغفر بناتها لأمهن هذا الموقف وبقين طوال حياتها يلمنها على هذا الطلاق الذي دفعت ثمنه غاليًا. وقد شقيت فريدة لأن فاروق أخذ بناته معه إلى المنفى. وأذكر أنها في الستينيات لم تحتمل هذا الفراق فطلبت من علي أمين أن يكتب باسمها خطابًا إلى الرئيس جمال عبد الناصر يطلب منه أن يسمح لها بالسفر إلى الخارج لتعيش مع بناتها. وكان الخطاب مؤثرًا ووافق عبد الناصر على سفرها. ولكن فوجئت عند سفرها بأن العلاقة القوية التي كانت بينها وبين بناتها قد فترت بسبب الفراق. وكانت بناتها يعتقدن أنه لولا طلاق أمهن لبقي فاروق على العرش، وأنها مسئولة عما حدث. وقد ندمت فريدة بعد ذلك على الطلاق وكانت تقول إنها لو كانت أكبر سنًّا لما حدث الطلاق، وبقيت طوال حياتها ترفض أن تذكر كلمة واحدة ضد فاروق.



وفي أواخر حياتها اضطرت أن ترسم لوحات لتبيعها لتستطيع أن تعيش، وكان الرئيس أنور السادات وعد بأن يعطيها شقة كبيرة على النيل، ولكن الذين تلقوا الأمر لم ينفذوه، إلى أن أعطاها الرئيس حسني مبارك شقة من غرفتين في المعادي، وكانت الشقة ضيقة حتى إن والدتها التي كانت تقيم معها لم تجد مكانًا تنام فيه. وقد حدث أن وضعت مالاً ورثته عن أبيها في أحد البنوك، وإذا بالبنك يحول المبلغ إلى إدارة الأموال المصادرة، دون أن ينتبه أن هذا المبلغ غير خاضع لقانون مصادرة أموال أسرة محمد علي.

ورفعت فريدة قضية كسبتها، ولكن البنك استأنف الحكم وأخيرًا تم الاتفاق على حل وسط، وهو أن يدفع البنك المبلغ ويأخذ أربع لوحات من رسم الملكة!

وأمضت السنوات الأخيرة في ضيق مالي، لولا أن بعض الناس الطيبين قدموا لها دفعات هي، خمسون ألف جنيه. ثم عشرون ألف جنيه ثم عشرة آلاف جنيه.

وهكذا عاشت «فريدة مصر» على أموال المتبرعين وبعض الصديقات وبيع اللوحات. وكانت عاشقة لمصر، أغلب اللوحات التي رسمتها في المنفى كانت صور مصر، فلاحها، ابن البلد، بنت البلد، سماء مصر، حدائق مصر، ريف مصر.

ولم تفتح فمها يومًا وتشكو أن حكومة مصر صادرت بيتها وأموالها.. وأذكر عندما قررت الثورة مصادرة أملاك أسرة محمد علي، أن تألفت لجنة لمصادرة أملاك الملكة فريدة برياسة المهندس المعروف علي نصَّار.

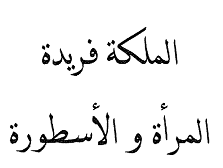
وذات يوم رنَّ التليفون في بيت الملكة، وقال المهندس علي نصَّار إن لجنة المصادرة تستأذن الملكة للحضور لتنفيذ قرار المصادرة. وأسرعت الملكة فريدة وجمعت كل مجوهراتها وجميع الهدايا التي تلقتها وهي ملكة ووضعتها في حقيبة. وعندما حضر المهندس علي نصَّار سلمته العلبة وكان المهندس ضابطًا في سلاح المهندسين، ولم يشأ أن يفتش البيت كما جرت التعليمات وعامل الملكة بكل إجلال واحترام.

وفي اليوم التالي رنَّ جرس التليفون في مكتب علي نصَّار وسمع الملكة فريدة تقول: كنت أفتش دولاب منزلي اليوم فوجدت فيه «بروش» لم أعثر عليه وأنا أجمع مجوهراتي وأضعها في الحقيبة... تعالوا خذوا البروش. وذهب المهندس علي نصار وتسلم البروش. وكان البروش يساوي عشرات الآلاف من الجنيهات. وبقيت فريدة في بيتها وليس معها مليم واحد!

مصطفى أمين






الملكة فريدة
المرأة و الأسطورة



فريدتي بعد عام من الرحيل..

أنا بعتبة شقتها الصغيرة الخالية الخاوية إلَّا من الصمت المقيم والجدران المعتمة.. التليفون يدق.. يخترق الصمت.. لا لن أرد.

إنها آتية..لابد أن تكون آتية.

هكذا كنا نردد دائمًا، أنا وصديقنا المشترك مستر «نيفل».. لا تغلق الباب لأنها آتية.ها هو حفيف ثوبها وها هو عطرها يسبقها.

إن لها عطرًا خاصًّا خفيفًا كالسحر يتضوع حول خطواتها، قبل أن تخطو وبعد أن تغيب..لا زال عطرها في المكان.

إنها لم تغب، وليس هذا خيالاً.. فصوتها في المكان عبر الزمان والمكان.. كرنين الفضة يتناهى إلى سمعي حديثًا وضحكًا.. ونهرًا وزجرًا.. وصياحًا وهمسًا.. ثم آهات كثيرة متنوعة..

وصورتها واقفة وسائرة ونائمة حتى آخر اللحظات.

صورتها جميلة عظيمة رائعة جليلة ملأى بالأنفة والكبرياء.

ثم صورتها وهي ضعيفة متهالكة شاحبة متخاذلة، ملأى باليأس والقنوط والاستسلام.

بعد الرحيل

مازال عطر أنفاسها بين الجدران..

ولكنها.. لم تعد هناك..

ذهبت ولن تعود..

بذهابها تغير المكان.. لم يبق من أثرها فيه سوى تلك الرائحة الطيبة المميزة.. الشقة الصغيرة الجميلة الملأى ببصماتها ولمساتها.. أضحت قبيحة عارية من أثاثها البسيط ولوحاتها وصورها الملكية.. والجدران كالحة كئيبة تطالعنا في وجوم، حتى خشب الأرض يتكسر تحت أقدامنا ويئن في ألم مكتوم.

استدرت لأغادر المكان مع «نيفل»، بعد أن أخذنا بعض الأوراق الخاصة بمتعلقات السكن، فلازال معنا مفتاح شقتها ولازالت بين أيدينا أشياؤها..



كانت فريدةً ناضرةً باسمةً
حتىَّ النهاية



فريـدة ملكة مصر وآخر ملكاتـها

ملكة وادي النيل وعاشقة النيل وحقوله الخضراء، في خطوطها وألوانها وأنماط حياتها.. لازالت تعيش في وجداني، تعيش في قلبي وخيالي ومشاعري..

لازلت أرافقها ولازلت أصاحبها. ولازالت بيننا الحوارات والأحاديث لا تمضي ولا تنقضي..

ها أنا بين ألوانها وأحبارها ولوحاتها كل يوم منذ يوم الرحيل..

فلازلت أعد هذا العمل، الذي كانت تتوق إلى إنجازه والذي وعدتها بإنجازه، وهو تخليد أعمالها الفنية وأطوارها في كتاب يضم رسوماتها، مع الشرح الملائم وعدم الخوض في حياتها الشخصية، وأنى لي أن أفعل ذلك وهي لم تخبرني إلَّا بالقليل.

وكانت دائماً متحفظة متوجسة أن تمس أناسًا لازالوا على قيد الحياة.. وأناسًا فارقوا الحياة. لهم مكانتهم ودورهم في حياتها.. وكانت شحيحة بالبوح معتزة بماضيها أيًا كان ما لحقها منه.

كانت حياتها قيمة، الخوض فيها ينتقص من شأنها، وتاريخها قدس الأقداس لا تطأه قدم لكيلا تدنسه أو تغيره.

كانت ملكة في سلوكها وتصرفها.. كم عرض عليها من أجر من دول عربية وأجنبية لتذيع أسرار مليكها وحياتها.. لتكتب مذكراتها.. وتصحح التاريخ وهي في أشد الحاجة إلى المادة.

وكانت تقول: «إذا تكلمت فسوف أجرح الكثيرين».

كنز مغلق وحصن منيع لا يقترب من أبوابه إلَّا أخص الخاصة.



الملكة فريدة في ثوب الزفاف وقد تحلّت بالتاج والعقد وزَيَّنت صدرها بنيشان الكمال



وبعد تعب وكفاح وإخلاص، وحوار وشك مرير تأنس قليلًا، وتفتح قلبها قليلًا وتدلي ببعض الأسرار وبلا تعليق، أتظاهر فورًا بالنسيان، وعدم الاهتمام حتى لا تندم ولا تحزن، ولم تكن فعلًا تهمني معرفة أسرارها إلَّا بقدر من الفضول قد يساعدني على حل لغز شخصيتها.

ذَهَبَتْ.. وذهبت معها الحقائق إلى الأبد فكانت ملكة في قرارها.

اتصل بها ذات يوم أحد الناشرين من هولندا، وعرض عليها أن ينشر كتابًا يضم أعمالها الفنية ومراحلها باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وقالت فرحة: «**هذه فرصة ذهبية لا تعوض وصدقته**» ولم أصدقه لا أنا ولا «نيفل»، وجاء ودعانا جميعًا إلى العشاء مع بعض أصحاب دور النشر.

وبدت هي مرحة سعيدة تضحك وتتكلم، وطالت السهرة والهولندي يصول ويجول، ويتلون في حديثه وأسئلته ويراوغ في أجوبته، وهي مقبلة على الإجابة والحوار بصراحة وببساطة الأطفال، ولم أسترح لطريقته وشعرت بأنه يهودي مراوغ يبحث عن مكاسب معينة بطريقة لا تخدم العمل.

ولم أخف عنها شكوكي ونحن في طريق العودة، لكنها سخرت من أفكاري وأصرَّت على إجابته لما يطلب، وبعد أن قطعنا شوطًا في إعداد الصور والرسومات وسؤال الخبراء في الطبع والنشر، إلى آخره، فوجئنا به يأتي ذات مساء ومعه مسجل صغير ويقول لها: إذا كنت متعبة بوسعك استعمال هذا المسجل وأنت في سريرك.

ما عليك إلَّا أن تتحدثي إليه كل مساء عن ذكرياتك وكل أحداث حياتك، وسنترجم حديثك بعد تفريغه إلى كل اللغات. وأجفلت وقلت لها: أرأيت إنه لا يريد فنك كما تصورت. بل حياتك الخاصة، وهي مادة غنية وكما ترين مطلوبة، وهذه الشرائط المسجلة وثائق تاريخية مهمة. إنه تاجر ماهر وبوسعك مساومته إن أردت تنفيذ فكرته.

واقترحت عليها أن تقوم بتلك التسجيلات التي هي ضرورية للتاريخ لحسابها، وفور انتهائها تعهد بها إلى أحفادها للذكرى والمصلحة أيضاً.

ولكنها أجفلت وكان رفضها حاسمًا وقرارها باترًا، ولم نعد نرى الهولندي ثانية في حياتها.

ولكن بعد موتها بمدة، ومنذ أشهر قليلة اتصل بي شقيقها الفنان شريف ذو الفقار، وسألني إن كنت أعرف شخصًا يدعى (دجمة) هولندي الجنسية ويعمل بالنشر وأخبرني بأنه حضر إلى مصر مرتين واتصل بالأسرة وأخبرهم بأنه يمتلك صورًا ومذكرات خاصة بالملكة الراحلة، وأنها كانت قد طلبت إليه نشرها وصرحت له بذلك. وبالطبع أفهمته القصة وبأنه أفَّاق كاذب، وأن الملكة طردته تمامًا من بيتها ولم يحصل منها على شيء، وربما كانت له وسائله الخاصة التي لا ندري عنها شيئًا.. وبدوره رده الفنان شريف بما يستحق، وردته الأميرة فوزية حين حاول الاتصال بها في سويسرا. وهكذا أسدل الستار على آخر محاولة من الملكة لنشر فنها وهي على قيد الحياة.



الملكة فريدة أسطورة مصر

بعد عام من الرحيل، وقد أقبل الخريف بأشجاره العارية وأوراقه الخضراء الذابلة وسمائه الرمادية الحزينة، ولسعة برد خفيفة تتخلل الهواء في الصباح الباكر وفي المساء تغتال الدفء وتبشر بالشتاء، ليالي الشتاء الباردة الطويلة.. اليوم عيد ميلادك.. فقد ولدت بالخريف ورحلت في الخريف وبين تاريخ ميلادك ورحيلك بضعة أسابيع..

هدية عيد ميلادك

هذا الكتاب هو هدية ميلادك، وها أنا أضع - ومن قاموا بجهد فيه - اللمسات الأخيرة ليكون كما أردت تمامًا.

لقد اخترت أعز لوحاتك إليك، لوحة رأيتك ترسمينها، ولوحة حدثتني عنها، ولوحة أخفيتها عن عيون المشترين لصعوبة افتراقك عنها، وأخرى رسمتها في ظروف خاصة، ولوحات كثيرة رسمتها أثناء مرضك أو ألمك وانفعالك، فجاءت جميعا قطعًا منك، من حياتك، ومن مشاعرك.

ساعدني مستر «نيفل» في الإعداد، فبعض اللوحات حضر رسمها ولم أحضر، والبعض تذكَّر أسماءها ولم أذكر.

وحاولت جمع المعلومات التاريخية والموضوعية من كل ما كتبت قديمًا عنك، ولم تنس الدكتورة نعمات أحمد فؤاد كلمتها فيك وهي التي قالت للجميع:

«لقد جلست على عرش مصر فهي قطعة من تاريخ مصر، ويجب أن تعامل كملكة حتى آخر يوم في حياتها».

وأتساءل أكان سر إعجابي بها أم انجذابي إليها وملاحقتي إياها في بدء تعارفنا، أنها كانت ملكة فوق رأسها تاج وتحت قدميها عرش؟

كثيرون جدًّا سألوني هذا السؤال: أكان لذلك دخل في تعلقي بها وإصراري على صداقتها؟

بل أنا نفسي سألت نفسي مرارًا هذا السؤال.. كانت ملكة.. أجل.

ولكن أكان ذلك وحده كافيًا بجذب اهتمام الآخرين مثلي بها؟ على العكس تماماً، ربما كان ذلك دافعًا لابتعادهم أو اتخاذهم موقفًا ما، وقليلون جدًّا من كان اهتمامهم أو محاولتهم الاتصال بها أو التعرُّف إليها.

لقد التقيت - فترة من العمر وأثناء حياتي الدبلوماسية - بملوك وأباطرة ورؤساء وجلست إليهم، وكنت أتعجب أنني لم ألمس للتاج سحرًا، ولا للعرش أمرًا، ولم أحس مرة واحدة في السلطان بهيبة أو رهبة، ولا جاذبية أو قوة.



على العكس من شعوري هذا تمامًا ما كان يحدث، حين لقائي برمز من رموز الفكر والثقافة أو العلم أو الفن، فإني أشعر بالرهبة والإجلال الذي قد يصل إلى حد التقديس، فالفنان هو صورة مصغرة للإله الذي يخلق.

السلطان لا يخلق ولكن الفن يخلق، وهذا هو الفارق بين القوتين، وهكذا كانت هي.

كانت تقول دائمًا: **«الملك والتاج يزولان، لكن الفن خالد باق دائم مادامت الحياة»**.

وهذا هو السر الذي جمعنا، هو القوة التي ربطت أواصر صداقتنا فاستمرت حتى الموت.

فريدة الفنانة
وليست فريدة الملكة

ومع ذلك فالملكات أحزانهن أكبر من أحزان البشر، والملكات خبراتهن تفيض بالثراء، وأنا أحب الحزن وأحب الثراء.

ورغم ذلك فقد كوَّن هذا الثنائي (الفنانة والملكة)، مزيجًا رائعًا لإنسانة غير عادية، تركت في حياتي أثرًا بل آثارًا لا يمكن أبدًا أن تزول.



كانت مدرسة.. وكانت فلسفة.. وكانت حياة زاخرة صاخبة.. وعالمًا يموج بمختلف الأحاسيس..

وسيمفونية مختلطة الأنغام والألوان..

وكانت لونًا من النساء لا يتكرر.

كانت ملكة في فنها وفنانة في ملكها، وهذا ما سهل عليها التضحية به في سبيل مبدأ وقيمة وكرامة..

لا توجد بسهولة تلك المرأة التي تخلع بيديها التاج، تهجر العرش والمجد والثراء في سبيل الكبرياء.. لا توجد بسهولة من تقول لا للترف

شديدة الذكاء واللَّماحية شديدة الجمال جمال هو مزيج بين التركيّ والمصريّ، إذْ طبعت مصر روحها



والجاه وبذخ الحياة.. لا توجد بسهولة من تشتري كرامتها بتلك التضحية، وذلك الثمن الباهظ الفادح الكبير..

ليست هناك سوى فريدة ملكة الإحساس وملكة القرار، عاشرتها إنسانة وعاشرتها فنانة وعرفت الملكة فيهما.

فريدة مصر

كانت تزعجها الأصوات العالية، والكلمات النابية،والموسيقىالرخيصة، والأغنيات القبيحة، والألوان الصاخبة، تحب النظام والدقة والانضباط إلى حد الوسوسة، تحب الموسيقى الكلاسيك والألوان الهادئة والأدب والاحتشام.

ذات حس مرهف وذوق رفيع وثقافة وذكاء حاد وشفافية وحدس لا يخيب.. بل لديها موهبة الكشف – وهو معنى أعمق من الشفافية بلغة الصوفية.. ويعني أنها بسهولة تدرك ما في نفس أو قلب من أمامها سواء خير أم شر – وكانت دائمًا ما تحذرني من بعض الأشخاص دون أن تعرفهم بل فور الرؤية، وكانت تحدس من الطيب ومن الخبيث ممن يقابلونني. تحب الأصالة والبساطة، وكل ما هو أصيل وبسيط، تمقت الكذب والنفاق والخوض في السير، قليلة الثقة بالناس.



تستعيد ذكرياتها الملكية وهي في شقتها بالمعادي



ذات نزعة صوفية عميقة، وزهد وتجرد وإيمان راسخ بالله خالق المعجزات.

تحيط بيتها وكتبها وملابسها وحقائبها بالمصاحف والأحجبة والأدعية والتعاويذ. كانت أيضًا إلى جانب القرآن تحتفظ بالإنجيل وتحفظ كثيرًا من كلماته.. رسمت لفظ الجلالة في لوحاتها كثيرًا وبصور شتى وكانت تقول: **أنا أول من رسم لفظ الجلالة وبعدها قلدني الكثيرون**.

رحلت ومَضَت أعوامٌ...

في خريف عام غابت شمسه..

أفل نجم هذه الإنسانة الرائعة..

وهبت نسمة باردة تعلن قدوم الليل..

ليل طويل ليس له آخر..

سرمدي يطوى في أحشائه العروش والتيجان والطموح والفرح وسنوات المتعة والعذاب..

في بطن المجهول وبين يدي الغيب تعودين يا فريدة بلا حول ولا قوة..

انتهي كل شيء.. في غمض البصر وارى جسدها الطاهر التراب..

ولم يبق سوى الحنين والذكريات.. الذكريات تتوالى بقوة وتلوح بقسوة وأعود معها وبها، وأستعيد الليالي والأيام، على مدى ثلاثة أعوام من أعوامها الأخيرة عشناها معًا فكأنما هي ومضة.

وكأنما هي لمحة، وكأنما هي عمر طويل مديد..

في لحظاتها الأخيرة، جسدها الجميل مسجى، وعيناها مسبلتان وشفتاها مفتوحتان نصف فتحة، تتردد بينهما الأنفاس الأخيرة، يداها الجميلتان تتلقيان في استسلام طعنات الحقن المتصلة بأنابيب المحاليل، في الأصابع، في المعصم، في الذراع، في الرقبة، وهي على غير عادتها لا تعترض، لا تصرخ، لا تتأثر، لا تتأوه..

لم تعد أبدًا تعترض.. ولا تشكو.. ولا تتأوه..

وقبل أسبوع، أسبوع فقط، يوم وصولها إلى مصر من رحلة العذاب في سويسرا، كانت تتكلم وتشكو وتخبرني بكل ما حدث في رحلتها.

هذه الرحلة التي لم تكن في الحسبان، والتي منعها منها سائر الأطباء على رأسهم الراحل الدكتور ياسين عبد الغفار، وقد صارحها بخطورة حالتها، ولكنها أيضًا كعادتها- لا تستمع للنصائح وتصر على ما تريده - أصرَّت: «**أريد أن أرى بناتي وأحفادي**»..

كانت قد تحسنت تحسنًا ملحوظًا، بعد مجهود وصبر ورعاية من الدكتور ياسين عبد الغفار، وكل من عالجها هناك، وظنت أنها شفيت لمجرد وقوفها على قدميها، فصاحت مُصِرَّةً على مغادرة المستشفى إلى منزلها، وهناك أنهت كل إجراءات السفر وكانت تبدو نشيطة وكأن المرض غادرها إلى غير رجعة.



وسافرت..

رغم قلقي الشديد عليها، لم أستطع مرافقتها كما أرادت، لأنها ستكون بين أولادها وهم أحق برعايتها، وأوصيت لها بخادمة فلبينية (دوريس) أخذتها معها قائلة: (**تكفيني هذه ولن يخدمني أحد**)، تركتها بين يدي الله، وأنا أعلم أنه على وجه هذه الأرض ليس هناك من يرعاها سوى الله تعالى، فهذه المسكينة لم يكن يحبها أحد حتى أقرب الناس إليها، ولم يكن يتمنى لها الرحمة أو الحياة أحد.

وهناك أمرت فوزية بإدخالها المستشفى وعلاجها على حساب التأمين الصحي - كما علمت أن لها بطاقة تأمين في سويسرا لكنها لم تكن تحب العلاج هناك - واتصلتُ بمنزل فادية، وأخبرني زوج فادية بمكانها، وشكت لي سوء معاملة الممرضات السويسريات لها وغلظة الأطباء وندمت - كما توقعت - على تركها المستشفى بمصر. ظللت على الاتصال بها طوال الصيف، وظلت على شكواها المرة وعذابها المتزايد، وحين وصلت إلى مصر - وكنت بالكويت- طلبت مني السفر إليها، ولكنّي لم أستطع ذلك للأسباب نفسها التي منعتني من مرافقتها. وعلمت أنهم يستعملون في علاجها أحدث أنواع الحقن الخاصة بعلاج اللوكيميا، بينما كانت معاناتها في تعطل وظائف الكبد بالتدريج، والضعف الشديد الذي ازداد من استعمال هذه الحقن، حتى وهنت قواها وتوقفت مقاومتها تمامًا، حتى إن أول تحليل قمت به لها بعد وصولها مباشرة قالت لي الدكتورة نازلي جاد المولى حين قرأته. (كويس خالص دي شفيت تمامًا من اللوكيميا).. ولكنها ماتت..

لقد قضى العلاج على اللوكيميا وقضى عليها أيضًا.

يوم وصولها إلى مصر انتظرتها سيارة الإسعاف قرب الطائرة، فلم تكن تستطيع السير، وكانت



الملكة فريدة خلال زياراتها الملكية





كلماتها متقطعة والاصفرار والإرهاق يبدوان بجلاء على وجهها، حتى إنني دهشت كيف سافرت وهي على هذه الحال.

حدثتني السيدة آمال فهمي المذيعة الشهيرة، والتي كانت تجاور مقعدها في الطائرة، بأنها حاولت الحديث معها أثناء الرحلة، ولكنها كانت تهذي بأشياء لا معنى لها، وفهمت أنها بداية الغيبوبة الكبدية، والتي قال عنها الدكتور ياسين عبد الغفار: إنها بداية النهاية.. وفهمت أنها جاءت لتدفن في مصر.

وفي شقتها الصغيرة في المعادي،جلست إليها بعد الغياب بمفردي يومًا بأكمله، وهو اليوم التالي لوصولها، وأقبلت عليَّ في لهفة وحب شديدين، تحدثني بأشياء كثيرة عن رحلتها الأخيرة، وتفاصيل عن حياتها لم أكن أعرفها، وحدث شيء غير عادي إذ وجدتني أسألها هل تشتهين شيئًا؟

فأجابتني: **نعم ملوخية بالأرانب من يد ماريزا، (وماريزا هذه الفلبينية التي تطبخ لي)**.

وفعلاً كان لها ذلك، أحضرته بنفسي وكنت مصابة بحمى، ودرجة حرارتي 40 ومع ذلك أعانني الله على أن أحقق طلبها وأطعمها بيدي - إذ كانت لا تستطيع مساعدة نفسها – وكان هذا آخر طلب لها.

حين ذهبت إليها بعد ذلك، كانت مستغرقة في غيبوبة شديدة، ولم تعد تتكلم أو تعي شيئًا، وحضر شقيقها سعيد ذو الفقار من الإسكندرية، وزوجته ليلى وابنه علي، ثم حضرت بناتها الثلاث وأحفادها من سويسرا وتوافد بقية الأقرباء.

الرحيل

كانت ضحية ذكائها وملكاتها وطاقاتها، بل كانت تلك الطاقات والثورات الداخلية أقوى مما يحتمل الجسد الرقيق فخر تحت وطأة كل ما احتمل.

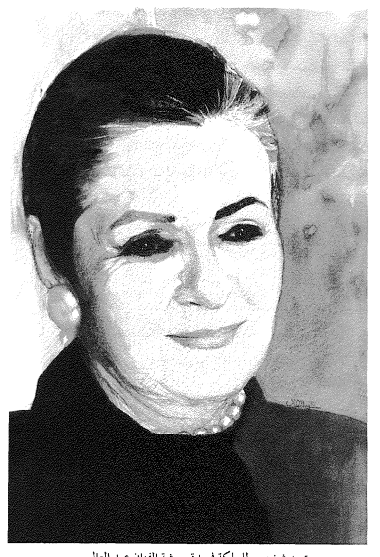
لقد عانت هذه الإنسانة معاناة فوق احتمال أي بشر، وربما كان عذابها في الفترة الأخيرة مضاعفًا مما أدى إلى سرعة موتها.

بعد يومين تدهورت حالتها تمامًا، ونقلت إلى مستشفى (النيل بدراوي)، وكان آخر حديث لها معي هاتفيًا من المستشفى، عن مفتاح شقتها وأشياء كان "نيفل" يعرف مكانها هناك.

مع قطرات المحلول البطيئة كانت تتسرب منها قطرات الحياة. الأطباء يروحون ويغدون أمام غرفة الإنعاش والتي بها رقدت، لم يعد مسموحًا لأحد بالزيارة، وأثار ذلك سوء تفاهم شديد، فقد حضر أقارب لم نرهم أبدًا وأصدقاء لا نعرفهم والكل يريد مشاهدتها، التفرج عليها.

أمن أجل مشاهدة ملكة في النزع الأخير؟ أم هو التاج على فراش المرض؟ أم شفقة مؤجلة؟ أم حقد وتشفٍّ؟





بورتريه شخصي للملكة فريدة بريشة الفنان عبد العال وهي في سنواتها الأخيرة. من مقتنيات المؤلِّفة

كل ذلك مرَّ بخاطري. وأنا أقرأ وجوه زوارها كلهم. وإلَّا فأين كان كل هؤلاء أثناء حياتها؟

ساعة أو سويعات ويكف الألم وينقضي العذاب. يدخل «علي» ابن سعيد الشقيق. ويجلس إلى جوار الفراش يقرأ القرآن. وتنفرج جفونها للمرة الأولى والأخيرة. ثم تمد يدها لتمسك بيده ووجهها يتألق وهي تردد «لا إله إلا الله».

هكذا أراد الله أن ينطقها بالشهادة لتعود إليه خفيفة طاهرة. بريئة من كل شيء. طهرها المرض وغسلها العذاب. وكانت شهيدة. شهيدة المرض والألم الجبار والظلم والعذاب الطويل.

هكذا أراد أن يلقاها الله. هذه المرة طالت الغفوة وحاولت بناتها إيقاظها لتوديعها والحديث إليها دون جدوى. وكانت (لا إله إلا الله) آخر كلماتها.

ورحلت فريدة..

رحلت فريدة مصر.. رحلت فريدة العصر..

وأعلن الخبر الرهيب في الرابعة صباحًا. وكنت في فراشي بعد أن عدت إلى منزلي مرهقة منهارة. اتصلت بي هاتفيًا ابنة عمها «نيرفانا» لتبلغني النبأ. ولم تكن مفاجأة فالكل يتوقع ويعلم. والكل ينتظر ويرى في نهاية العذاب لها راحة وسترًا. ولكن كان لوقع النبأ في نفسي لون وطعم ورجع فريد، لا يحسه أبدًا سواي، أنا صديقتها، وألصق الناس بها، وأقربهم إليها في آخر سنوات حياتها، وفي أقسى أيامها حتى كان وجودها جزءًا لا يتجزأ من أيامي ومن حياتي.



كنت أتوقع.. أجل، ولكن ما أشق أن يتحقق ما نتوقع وما أغرب الموت. إنه حقيقة كالوهم لا ندركها إلّا حين تقع، ومهما توقعنا وعلمنا بل تأكدنا فإن ذلك كله لا يلغي المفاجأة، ولا الصدمة ولا الحزن المروع العميق، ولا الدموع المتدفقة المؤجلة.

فجأة وجدتني في ملابس الحداد، في شقتها وسط أخويها سعيد وشريف ذو الفقار، وبناتها فريال وفوزية وفادية، وهم يتلقون العزاء.

حين حضرت بناتها، فوجئت رغم الحزن بالتفافهن حولي، وهن يناديني بلقب (جراند ماما) ويعني جدتي، ضاحكات بمعنى أنها كانت كابنتي أي مسئولة عنها كما كان انطباعهن عنّي، رغم أنني لم أرهن قبلاً، ولكن يبدو أنها كانت تكرر اسمي أمامهن دائمًا.

رنين الهاتف لا يهدأ وجرس الباب لا يكف، في حياتها لم يكن الباب يدق ولا الهاتف يسأل، ولا الزوار يحضرون.

كان الصمت دائمًا يخيم على تلك الشقة المتواضعة، ولكن الأمر تبدَّل اليوم بموتها، فالضجة تعالت واللغط ازداد، والزوار الكثيرون قدموا وكأن الجميع لم يعرفوا أنها كانت ملكة إلّا اليوم.

عشرات المكالمات والزيارات، الصحافة والمسئولون والأقارب، تعزية، استفسارات وأسئلة بلا آخر. كيف ماتت؟ أين ماتت؟



ملكة مصر فريدة في إحدى المناسبات النسائية



لم يسأل أحد يومًا كيف عاشت ولا أين عاشت؟.. و.. أسئلة كثيرة، رحلة المرض، قصة الفن، علاقتها بالدولة، بالسياسة، حياتها، الأميرات؟ متى وصلن. كيف يعشن؟ ممن تزوجن؟ الأحفاد؟ الملك؟ أسئلة تبدو حيال الموت- كما أحسست- سخيفة، وفضولاً ليس هذا وقته.

ورغم عملي بها – فقد كرهت الصحافة للمرة الأولى كثيرًا – فليس هذا احترام الموت وليس هذا تقديرًا. إنها لم تكن إنسانة عادية.

حيال الموت

ها أنا مرة أخرى. في المقابر. ويا له من يوم من أيام الخريف يلقي بظلاله الرمادية فوق المكان والسحب الملبدة تفترش السماء، حتى مدفن (ذو الفقار) بالإمام الشافعي، انتظم رجال الأمن في انتظار الموكب. موكب الملكة تزف إلى مثواها الأخير.

وداهم الصحفيون أيضًا المكان بعدساتهم الوقحة وأقلامهم الجريئة، الأشجار الضخمة تحيط بالأسوار وتظلل القبور، نباتات الصبار تلتف في التواءات حلزونية كأنها الثعابين تقتات على الأجداث، كثير من الأعشاب العشوائية تنمو بكثرة حول الشواهد. وشعرت برهبة وخوف شديدين، أقبل الموكب.



الملكة فريدة
رئيسةً للكشافة



وبدأ الحفارون سريعًا مهمتهم، حاذيت الحفرة ووقفت أرقب في رعب وذهول ما يحدث، حتى هذه اللحظة لا أصدق، الصندوق يرفع إلى الأرض ويفتح، وبخفة ترفع من داخله لفافة بيضاء صغيرة ونحيلة، وكأنما هي تحوى طفلاً، وتحمل الأيدي الجسد الرقيق درجةً درجةً داخل الحفرة، ثم يتوارى عن الأنظار.. ويغيب.

أود أن أقفز، أن أساعدها كما كنت في الحياة (الوحدة والظلام كيف ستواجهينهما وحيدة)؟

طالما شكت إليَّ الوحدة، وطالما طلبت إليَّ الجلوس لأهون عليها وحدتها .

ويعلو صوت المقرئ يطلب الرحمة والتلقين بإجابة الملائكة عن اليمين وعن الشمال، ويُهال التراب، وترصُّ قوالب الطوب، ثم يُهال التراب مرة أخرى ويرش بالماء، ثم مزيد من التراب.

وَتُسَطَّحُ الأرضُ وتعود كما كانت وكأن شيئًا لم يكن، وكأنها لم تبتلع الكنوز والآمال والطموح والجمال والفن والمجد والتاريخ، كأنها لم تبتلع عمرًا زاخرًا بالحياة.

وتهب نسمة حزينة فتهز أوراق الأشجار، ويتساقط البعض الجاف فيحدث ارتطامه بأسقف القبور حفيفًا طويلاً. وتتصاعد في الفضاء زقزقة عصفور شارد. وينعق الغراب فتردد أصداء صوته جدران القبور. فيطفح الكيل ويطفر الدمع الحبيس.

فوزية الابنة المريضة تتهاوى، وفادية تمسك بها، الخادمة الفلبينية «دوريس» تنتحب وهي تمسك بطرف ذيلي قائلة: كانت طيبة معي. والتفت فأرى شقيقها سعيد يرتمي في سيارته محمر الجفون.

وأمسك بيد إيهاب شفيق صديق الأسرة قائلين معًا: أحقًّا لن نراها. ويجيبني بالدموع.



د.لوتس عبد الكريم والملكة فريدة معًا في شقة الملكة بسرايات المعادي في بداية تعارفهما



حتى هذه اللحظة لم أكن قد استوعبت في داخلي المعنى العميق للفراق. لم أقاوم دموعي قبل تلك اللحظة فقد خيل إلي أنها جفت، وآن الأوان لتنهمر سيلاً لا يتوقف حتى حجب عن عيني الرؤية. أهذا هو الموت؟ ما الموت؟ الفراق؟ الغيبة؟ المجهول؟ التراب؟ الطين؟ الطين الذي يشتهي ويحقد ولا يرتوي أبدًا. هل هو العدم. أهذا مكانها الآن حقًّا؟

أغادر المكان

تسير بي السيارة في طرقات المدافن الترابية، ثم تجتازها إلى الشوارع. لا أسمع الضوضاء، ولا أرى المارة لا أحس بالحركة. لا صوت.. لا رؤية.. لا زمان.. لا مكان. اختفى كل شيء وتوارى حيث توارت، وكأنما أخذت معها كل الأشياء.

في محراب الفن

توقفت السيارة. أفقتُ.. هنا مسكني.. وأسفله مقر مجلة «الشموع».. وإلى جواره المعرض الخاص بها، والذي اختارت مكانه فرحبت برغبتها في أول زيارة لها هنا. المحراب وطالما تَعَبَّدَتْ فيه.

أدفع الباب الحديدي الصغير بيدي وأقف. أتلفَّت حولي. إنني أراها وأسمعها. ها هي سيارتها اللادا الصغيرة البيضاء تتوقف أمام الباب. الحارس العجوز يجري ليفتح لها. يساعدها على النزول. تشكو. إنها سيارة قوية وقيادتها متعبة وهي سيارة مستعملة قديمة. ولكنها تستمر في قيادتها ليس هناك بديل.. حتى في أيام المرض.



في شقتها بالمعادي والتي حَوَتْ بعضًا من ذكرياتها وضمَّت لوحات لها ولخالها الفَنَّان التشكيليِّ الرائد محمود سعيد وقليلًا من المجوهرات الملكية التي لا يعرف أحد أين ذهبت وما مصيرها



ذكرى قصة اختيارها المعرض

كانت الزيارة الأولى لها في الفيلا التي أملكها بالمعادي، وقفت تتأمل البناء الخارجي مليًّا وهي شاردة، أخيرًا قالت ببساطة (البيت ده كبير عليكي) وكان بالمنزل (بدروم.. دور أرضي مهمل) قالت لي: سوف أستعمل هذا الدور لعملي هل لديك مانع؟

أجبتها: (هذا شرف كبير ولكنني أراه غير لائق ولا مُعَد).

قالت لي (لا عليك إني أقبله كما هو ولن تصرفي قرشًا واحدًا).

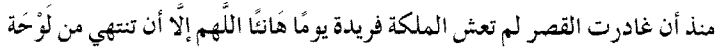
في اليوم التالي أتى العمال فأزالوا الأتربة المتراكمة، وأصبح المكان نظيفًا لكنه يفتقد إصلاحات كثيرة ودهانات وبناءً وديكورًا.

سألتني هل لديك ستائر قديمة لتغطية الشبابيك غير الملائمة، بدلاً من تغييرها؟ قلت لها: ستائر قديمة من الدمور أستعملها حين السفر لحماية المنزل من الأتربة، قبلتها ثم صبغتها بصبغة سوداء فصارت كحلية، ووضعتها على الشبابيك الملوثة بالبويات القديمة.

ثم أحضرت في اليوم التالي حوامل لتعليق اللوحات، ولمبات صغيرة تعكس الأضواء وأدوات للعرض، ثم وضعت اللوحات على الحوامل دون براويز، ولا ديكورات وقالت: هكذا سأعرض لوحاتي دون أية تكلفة واللي عاجبه يشوفها كما هي.

وبدأت تنظم المكان وتسبغ عليه من لمساتها وذوقها، حتى انقلب إلى شيء جميل، يصلح أن يكون معرضًا للملكة فريدة، وبدأ الناس يعرفون المكان وكثرت الزيارات من أكبر الشخصيات.

ثم اقترحت أن تقوم بعملها في الدور الثالث، حيث الضوء الكثير، إذ مكان العرض لا يصلح للرسم لظلمته. وقبلت طبعًا ما اختارت، وخصصنا غرفة واسعة جدًّا طلبت أن نزيل الموكيت من أرضيتها



منذ أن غادرت القصر لم تعش الملكة فريدة يومًا هَانئًا اللَّهم إلَّا أن تنتهي من لَوْحَة





ونلصق بدلاً منه مشمع أرضية حتى لا تحرقه الألوان والأصباغ.

وأتت بطاولة كبيرة، وضعت عليها كل أدوات الرسم والباليته، ثم أثوابًا تستعملها أثناء الرسم ومرآة كبيرة، وحاملاً للرسم، واستقرت تمامًا في هذه الغرفة بمرسمها، وكانت بجوارها غرفة أخرى صغيرة بها سرير وأريكة وثلاجة، تستريح بها حين تتعب من العمل.

مصر موضوع لوحاتها

كانت تحضر فجأة متى ما عنَّ لها الحضور، واشتاقت إلى لوحاتها، صديقاتها.. تقضي معها أسعد أوقاتها، في الترتيب، في إعادة توزيع الأضواء وفي الحوار.. كنت أرقبها، تحاور كل لوحة حوارًا خاصًا، أحيانًا صامتًا وأحيانًا ناطقًا.

تحمل إحداها، وتحنو على أخرى، فتزيل ما لحق بها من أتربة، وتغلِّف ثالثة بغلاف خاص أحضرته معها من باريس، ثم تبدأ في اللعب بالإضاءة.

تتحكم في المفاتيح، فترسل إضاءات خافتة هادئة تضيء اللوحة إضاءة متدرِّجة، لتعطي المشاهد الإحساس بمرور مختلف أضواء النهار: الشروق والغروب ..الشمس والقمر والظلام.

في أولى تجاربها أمامي بإحدى اللوحات، أرى امرأة شابة جميلة ثم تحيلها الأضواء إلى عجوز شمطاء، في لحظة، وأصدم وأسألها فتضحك وتجيبني وهي جذلى فخورة بأنها تعلمت هذا الفن (السنتيسيزم) في باريس، وربما كان فنها يعبِّر عن أحاسيسها الرقيقة وأحلامها الممتدة عبر ذكريات ارتبطت بماضيها: النيل.. الفلاحة.. النخيل.. مصر هي موضوع لوحاتها.

تهمس فريدة لطمي النيل، وخضرة الحقول الزاهية، وضوء الشمس الساطعة فوق مرآة النهر العظيم، وتهمس لوجوه الفلاحين الكادحين البسطاء، تترنم بأغنية مصرية صاغتها ألوانًا وأضواء وكتلاً ومساحات. أنزل الدرج الصغير المفضي إلى الحديقة وإلى مكانها المفضل. هكذا كانت تنزل، وأيام المرض كنت أسندها وأساعدها على النزول، أو يساعدها غيري من الخدم إذا لم أكن موجودة، وحين اشتد بها المرض كنا نحملها بالكرسي إلى معرضها أو مرسمها.

اسمعها تصيح في البواب (لماذا لا تنظف المكان؟ ورق الشجر تكاثر في الممر وتراب المعادي كثير.. لماذا تكرهون النظافة؟).

هكذا كانت تنتقد باستمرار وبغيرة حقيقية وحب وحزن، (القذارة، الإهمال، الكسل، سوء النظام)، وكانت تقول: **«مسكين هذا البلد الذي لا يحبه أهله»**.



فريدة تكمل لوحةً لها كانت قد بدأتها



وصلت إلى المحراب.. دفعت الباب.. انفتح..

فتحت كل الأبواب بعد ذهابها، وقبلها ما كان أحد يجرؤ على فتح باب أغلقته وأخذت معها مفتاحه، دخلت.. لازلت أراها وأسمع صوتها. بقامتها الرشيقة تنتقل في المكان، ورأسها المرفوع دائمًا يقول «أنا ملكة قبل المُلك وملكة بعد ذهاب المُلك». ملكة رغم ثوبها الأصفر القطني البسيط؛ والذي كانت قد طلبت منّي شراءه مع بعض الثياب المشابهة والمناسبة للعمل في المرسم.. ثوب قطني لا يعدو ثمنه جنيهات قليلة، ولكنه يبدو عليها وكأن ثمنه يفوق المئات.

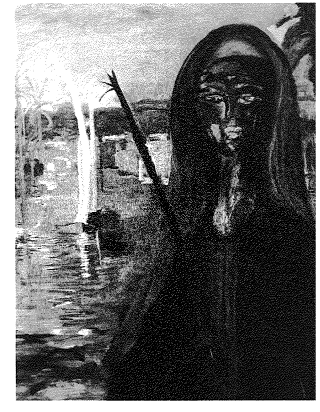
هنا وبهذا الزي كانت تنتقل كالفراشة بين لوحاتها، وتلتقي بالجميع من زوار معرضها، سفير فرنسا، سفير النمسا، سفير أمريكا، وكثير من الفنانين والوزراء والزوار العرب والأوروبيين، (عرفوا المكان وحضروا ليساعدوا أو ينقدوا أو يقتنوا أو يصوروا).

وكنت أحضر تلك الزيارات دائمًا، تخبرني في الصباح بمن سيحضر لأستعد، وتستقبل زوارها ببشاشة وكبرياء دون تكبُّر وإباء، دون غطرسة.

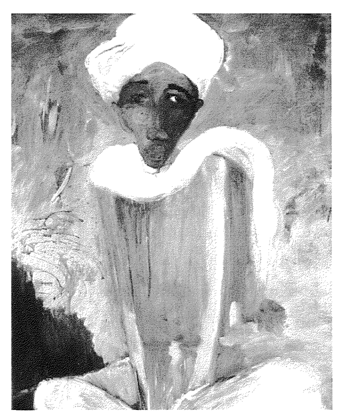
وإلى أن يحدد الغرض، وتبدأ جولة البيع والشراء والحديث في النقود، تنتحي في حياء وتهمس لي، فآخذ المشتري إلى غرفة مكتبي وأتكلم وأناقش – في حدود رغباتها – ثم أقبض، ولا تناقشني في الحساب، بل تأخذ ما حصلته لها بسرعة وبشرط ألَّا يكون ذلك في حضور أحد، وبشرط ألَّا أسيء بأية كلمة أو تصرف إلى كرامتها.

وكنت أحاول إرضاءها وأحيانًا، كانت تثور وتنفعل وتنهرني إذا علا صوتي أو سمع أحد حواري – خُصُوصًا الخدم – وتقول "لقد اخترتك صديقة لأنك فنانة ومرهفة المشاعر مثلي ولأنك خبرتِ التعامل مع الطبقات المثقفة". وأجيبها: «ولكني لم أتلق خبراتي في أروقة قصر عابدين .. اعذريني» وتضحك في صفاء مثل الأطفال وينتهي سوء التفاهم.

لوحة «إلى نهر».. تلقائية وبساطة عميقة تتبديان في اللوحة الحاملة لمفردات الطبيعة التي كانت تَأْسِرُ روح وقلب فريدة الفنانة



لوحة« فلّاحة مصرية» وتأتي في إطار أعمال الملكة الغزيرة عن الكادحين والبسطاء والفقراء والمهمشين الذين مثلوا ركنًا أساسيًا في تجربتها التشكيلية



لوحة« البواب » وهي من الأعمال التي أنجزتها الملكة فريدة عام *1979* والتي كانت مأسورة ببسطاء الناس ومن ثم ينتقلون إلى عوالمها التشكيلية

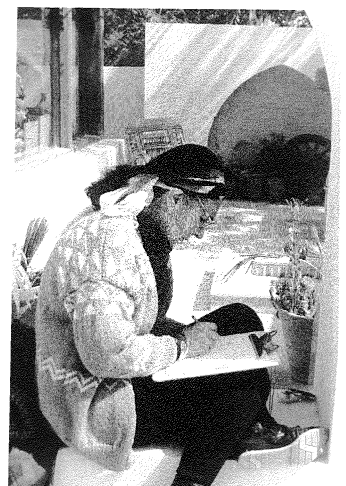


كنت أقدر دائمًا انفعالاتها، أغفر حدة مزاجها، وأفهم نفاد صبرها وعدم احتمالها، ولم يكن كذلك معها الآخرون، أنتقل إلى غرفة أخرى، هنا كانت تغلف اللوحة المباعة بيديها، وبأغلفة خاصة ولنا في هذا المكان ذكرى وذكريات.

ذات مساء قمنا ببيع إحدى لوحاتها لسيدة عربية حضرت واختارتها بنفسها، وأخذت موعدًا في اليوم التالي لتحضر وتتسلم اللوحة وتدفع ثمنها، وفي الميعاد المحدد جاءت الملكة وغلفت اللوحة بعناية، وانتظرنا فإذا السائق يحضر بالنقود ليدفع ويتسلم اللوحة بدلاً عن السيدة، وثارت الملكة قائلة: ترسل السائق بالنقود؟! لا لن يأخذ اللوحة وردي إليه نقوده أنا لا أتعامل بهذه الطريقة.

وجاءت السيدة بعد ذلك بنفسها ولكنها لم تأخذ اللوحة.

زوار آخرون من كبار الكتَّاب والصحفيين والوزراء والأطباء، مصطفى أمين، وأنيس منصور ود. نعمات أحمد فؤاد.. كانت تناشدهم أن يكتبوا عما يلحق بهذا البلد من دمار وتدهور: الفوضى، التسيُّب، التلوث، الكذب، مأساة النيل.. كانت تقول إن هناك مؤامرة، مؤامرة حقيقية تحاك في الخفاء لتشويه جمال مصر. مازلت أتنقل في الصمت المقيم بعد ذهابها، بين اللوحات للمرة الأولى وحدي.. صوتها الفضي يرنُّ في المكان، يلاحقني أينما تلفَّت، لم تكن تتركني أو تترك أي إنسان يدلف إلى محرابها وحده.



وكانت تحتفظ بالمفاتيح جميعها في شريط طويل تعلقه برقبتها.

كانت تغلق الأبواب عدة مرات، وكأنها تخفي كنوزًا لا تقدَّر بثمن، تعرف تمامًا كل ما نسقته بيديها ولا تقبل عبث أي إنسان، حتى عملية التنظيف كانت تقوم بها خشية أن يلحق بلوحاتها أي ضرر، ذات مرة دخلت إلى المكان ثم نظرتْ إلي باتهام قائلة: من دخل إلى هنا؟ إن بعض اللوحات قد تحركت من مكانها وبعض النظام قد تغير، وأقسمت لها أنه ما من مخلوق قد خطا إلى الداخل ولا أحد يستطيع ذلك، معها وحدها مفاتيح المكان.

من يتصور أنَّها الملكة فريدة؟
فقط فَنَانة تتخلَّى عن كل ما يثقل
كاهلها عندما تشرع في الرسم



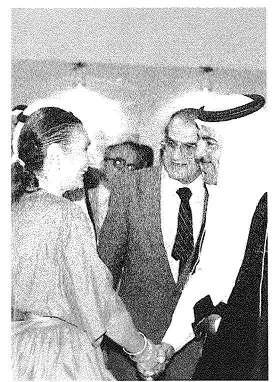
وأثناء تنقلنا بالمكان اكتشفنا أن قطة كانت مختبئة بالداخل، وهذا سبب التغير وضحكنا كثيرًا. كانت دقيقة، منظَّمة في عملها إلى حد الوسوسة.

الآن فقط أتجول حزينة ومن دونها في المكان. وغادرت اللوحات بخطى متثاقلة. اعتليت السلم إلى غرفة الرسم في الطابق الثاني. هذه الغرفة بمسكني الذي أعيش به، اختارتها لأنها واسعة ومشمسة يطل شباكها على نخلة وارفة. هنا في الضوء الكثير كانت تحب أن ترسم. أخطو إلى المكان. أفتح الغرفة، رائحة العفن تصدم أنفي، منذ شهور والغرفة لم تفتح أو ترى النور. يا للأسى بعض اللوحات المرسومة ملقاة، على الأرض واللوحة الأخيرة فوق الحامل لم تكتمل، وأمامها المرآة الطويلة، كانت تستعين بها حين ترسم كعادتها، وقد ترك البلل أثره في الرسوم الأخيرة، فالتوت وهي بحاجة إلى الإصلاح، مسكينة أيتها الفنانة التي عاشت أيامها من أجل الفن. أشياؤها الصغرى هنا في هذه الغرفة، وأشياؤها الكبرى أيضًا، طاولة الألوان، علب البويات بمختلف أنواعها وألوانها، الفرشاة بمختلف الأحجام والأشكال في علب متراصة، الألوان الزيتية والمائية والأقلام هنا وهناك، كرسي صغير منخفض وآخر عال أمام اللوحة أحضرتهما من بيتها، معلق بالكرسي العالي مريلة خضراء، وعلى الأرض قطعة من الخيش المنقوش الممزق ملأى بالبقع والتراب وكثير من الجرائد القديمة، وعلى مشجب ثوبان من «الدمور البيج»، مثل ثياب المطبخ، وفوط كثيرة نظيفة وأخرى قذرة وعلب من الزبادي الفارغة متراصة بنظام متلاصق، وعلب للاستعمال من الصفيح الفارغ وأنابيب للمعاجين وعلب اسبراي ومناديل من الورق.

زجاجة مياه معدنية نقص منها مقدار كوب، أظنها شربته أو شربها وتركا البقية للزمن، وقماش مشدود خاص للرسم شحنوه لها من أمريكا. ما كان أكثر آمالها في الفن، التراب



الملكة الفنانة فريدة أمام إحدى لوحاتها



الملكة فريدة خلال زيارتها إلى البحرين حيث أقامت أحد معارضها هناك



يغطي الأشياء. مضت شهور منذ آخر مرة حضرت فيها إلى هذا المكان. التراب والصمت الرهيب يلفان كل شيء، الحزن.. الذهول.. الفراغ يكاد يزهق أنفاسي، أحس بالفقد، بالخواء، بالصدى، بالمهزلة، أهذا هو الموت؟ ما الموت؟ أن يغيب أعزاؤنا بغتة في أحشاء الزمن وتبقى الأصوات والذكريات.

كانت تقول « لماذا تخافون الموت، وهو انتقال من مرحلة إلى مرحلة كالحياة تمامًا؟» وهي القائلة: **«لا يخاف الموت من عاش حياته في صراحة وصدق»** ، وهي القائلة: **"المُلك يزول أما الفن فتخلده هذه اللوحات.. لا يموت"**.

إذًا لم تموتي، فأنا أراك حولي في كل تلك اللوحات، وبين كل هذه اللمسات. ماذا أفعل بأشيائك؟ بكل بقاياك وما تركته خلفك؟ كيف أتصرَّف مع تلك المخلوقات الصغيرة التي تملأ الغرفة حولي؟ بل يخيل إلي أنها بدأت تتحرك، وقد دبت فيها الروح لتتحدث معي عنك، وأنا لا أفهمها وهي لا تفهمني، لا أفهم لغتها وأسلوبها.. إنها تخصك وحدك. الفرشاة، المعاجين، الأكواب الفارغة، علب الاسبراي الألوان، المناديل، الفوط المستعملة واللوحات. إنها آثارك، لمساتك، حركاتك، وأنفاسك وأصابعك.

د. لوتس عبد الكريم في مرسم الملكة فريدة بڤيلا المؤلفة بالمعادي عقب عودتها من دفن الملكة في مقابر الإمام الشافعي



وجدتني أحملق في الأشياء. وخُيل إلي أنها أيضًا تحملق فيَّ وتسألني ما مصيرها؟ واجهتني بصورتي المرآة الطويلة وأنا أتحرك، وارتجفت وهربت ومضيت أفكر ماذا أفعل بها؟ هل أجمعها في صندوق؟ هل أنفذ ما اقترحته بناتها بأن أتبرع بها لرسام فقير؟ هالني أن يصل بي تفكيري إلى هذا المدى، كلا.. لن ألمسها ولن يلمسها أحد، ولتظل كما هي لفترة أخرى طويلة، حتى يقضي الله في أمرها.

لقد شاهدت في أوروبا بيوتًا بل غرفًا لفنانين وشعراء ماتوا، وخلدتهم بلادهم، بأن أبقت على كل أثر صغير من آثارهم. بيانو كان يعزف عليه بيتهوفن، قلم كان يكتب به فيكتور هوجو، كرسي كان يجلس عليه فان جوخ. ترى ألا تستحق فنانة عرش مصر أن تمنحها مصر تقدير الفنان وتخليد مصر في هذا الفن. كانت هذه رسالتي. الشيء الوحيد الذي قصرت معها فيه. ربما لأسباب كثيرة رغم أنني اشتريت شقتها الصغيرة لأحفظ ذكراها.

وينقطع الحوار. آوي إلى غرفتي بعد هذا اليوم المروع منهكةً مرهقةً حزينةً أغمض عيني. محال.. طنين الذكريات يطغى على كل المحاولات. وأستسلم وأفكر من أين أبدأ؟

الملكة

أؤمن بالقدر وأؤمن أيضًا بالإرادة. وأعتقد أنه لو عمل كلاهما معًا لتحقق للمرء ما يريد، هكذا كان الأمر في لقائي وصداقتي بالملكة فريدة. لعب القدر دورًا، وساعدت رغبتي الشديدة في معرفتها، ومسعاي إلى ذلك فكان ما بيننا. مرة أخرى أعود إلى شريط الذكريات، منذ زمن طويل. وأنا طفلة أجلس إلى النافذة، أرقب في فرح شديد الموكب الملكي بسياراته الحمراء وأبواقه العديدة، ومدينة الإسكندرية كلها تقف على قدم وساق حين ظهوره من قصر رأس التين. وكنت أطالع الصور الخاصة بالملك والأميرات في المجلات، وكانت تبهرني صورة الملك والملكة فريدة لما فيها من وداعة ورقة أكثر من الجمال. ومرت الأيام وعلمنا بما حل بها قبل وبعد الثورة. وظلت صورتها في خيالي وخيال الكثيرين مرتبطة بالإباء والنقاء والرزانة والذوق.

الملكية في ناحية وفريدة في ناحية أخرى تمامًا، ورغم ذلك فقد دفعت أخطاء الملكية حتى بعد تركها الملكية، ولم يكن لها ذنب في كل ما حدث لها، أحزنني وأحزن الجميع ذلك كثيرًا، ورحل فاروق ومعه الأميرات، وبقيت هي في قصر الهرم، حيث بدأت رحلتها مع الفن والعذاب، وهيأ القدر يومًا فرصة وجودي في باريس، في الوقت ذاته الذي كانت تقيم به أحد معارضها الكبرى، هكذا قرأت في الصحف، وطرت فرحًا، سأذهب، سأراها وسأحادثها، تلك الأسطورة التي ارتبطت صورتها في خيالي قديمًا بالطهر والكبرياء والجمال الرفيع.

وذهبت ورأيتها: رشيقة جميلة تمامًا كما تخيلتها، إحدى ملكات الأساطير، لكن حديثي معها



كان عابرًا، مبتورًا ربما لاضطرابي الشديد أو خجلي أو احترامي. كنت ضمن العشرات من الحضور. اللقاء الثاني كان أيضًا بتدبير القدر ورغبتي. في البحرين حيث اعتدت السفر مرارًا كانت هناك، وسط لوحاتها وجماهير محتشدة ترحب بها، لم تمكني الظروف من البقاء ومحادثتها أكثر من دقائق. وظللتُ أتابع أخبارها، حتى حانت الفرصة. في معرضها الأخير بالقاهرة عرفتني، وجدتها منهمكةً في ترتيب الحوامل وتنسيق الأضواء واللوحات، ودهشت أنها تعمل بيدها كل شيء، وتجلس على الأرض وتعاون العمال وتتسلق الدرج في نشاط لترفع شيئًا أو تنزل أشياء. بسيطة.. طبيعية.. وشعرت بالارتياح.. كان هدفي أكثر من مجرد الكتابة عنها في مجلتي (الشموع).

وحددنا موعدًا للقاء في شقتها صباح أحد الأيام، ومرضت فلم أذهب لكنها بادرت بالاتصال ودعوتي للذهاب، شجعني ذلك وأسعدني فذهبت، رحت أبحث عن العنوان، المعادي السرايات شارع 41.. شارع صغير هادئ جانبي أين سكن الملكة؟ لا أحد يعرف أن هنا ملكات، لا رقم على العمارة التي وجدتها أخيرًا، منزل صغير من أربعة أدوار، حديث البناء متواضع المدخل.

دلفت.. المصعد غير نظيف يحدث بابه صوتًا مزعجًا حين يفتح بالاحتكاك وليس به نور. استعنت بالبواب، لم يتحرك من مقعده ولم يبد أي اهتمام بمكان من أسأل عنها.

الدور الثالث شقة 33، أطفال حفاة، يجرون حول السلم، وخادمة فلاحة تفتح باب الشقة المواجه تحمل صفيحة زبالة وتصيح في الأولاد، هذا هو الوسط الذي تعيش فيه ملكة مصر السابقة، أدق الجرس، تفتح لي خادمة سمينة تربط رأسها بمنديل أسود وأدخل. الشقة أكثر تواضعًا من العمارة، صغيرة جدًّا لكنها أنيقة ومنسقة، ألوانها بين البيج والرمادي توحي بحزن قاتم. أول ما قابلت، طاولة صغيرة بجوار الباب عليها صورة الملك فاروق متوجًا وحده، ثم صورة الملكة متوجة في برواز آخر. في الداخل منضدة مستديرة وأخرى مستطيلة عليهما مجموعة من صور الملك والملكة والأميرات والأم والأب والإخوة.

الحادية عشرة صباحًا، والشقة الصغيرة تسبح في ضوء الشمس المتدفق من بلكونة صغيرة جدًّا، تحيط بها الزروع والورود، بها أريكة تجلس عليها الوالدة العجوز التي تجاوزت التسعين.

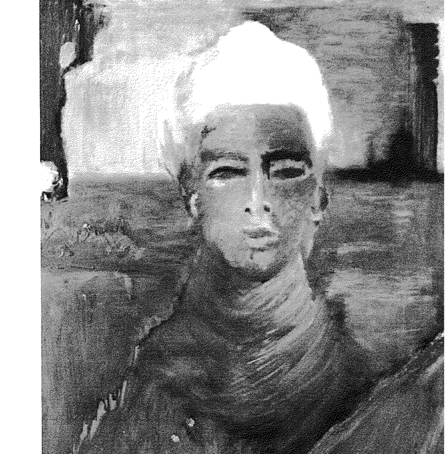
قابلتني سامية، الفتاة الملازمة للملكة والتي تربَّت في القصر، منذ ميلادها وهي تنظِّم مواعيد وأوراق الملكة وتلازمها وتطبخ لها أحيانًا. ما زلت أتهيب لقاء الملكة.. كيف سأحادثها؟ ما لون الحوار وما أصول المقابلة والحديث؟

وجاءت.. صرح شامخ لم تدكه الصدمات، هامة عالية لا تنحني بعد

الملك فاروق والملكة فريدة تحمل ابنتها الأولى الأميرة فريال







صبا وكبرياء لوحة للملكة فريدة رسمتها سنة 1988 ميلادية

لوحة « الخليج » وهي لوحة أنجزتها الملكة عام 1980 ميلادية ، ويأتي اللون الأزرق وما عداه تفاصيل هامشية ليشكّل العالم الأساسي للوحة تذهب نحو المتن اللوني



لوحة « في القرية» وَهي عملٌ انطباعيٌّ يشير إلى اهتمام صاحبته بما هو غامضٌ وسحريٌّ كأنهّا تعيد كشف العالم – عَبْرَ الريف – حيث عاشت في الإسكندرية ومن ثم القصر الملكي بعد ذلك. نحن أمام ملكة تكتب ريف مصر وصعيدها بفرشاة ألوانها



كانت الفلاحة المصرية وكذا الريف والصعيد والنوبة والبسطاء بشكلٍ عام مصدر وحي وإلهام الملكة فريدة



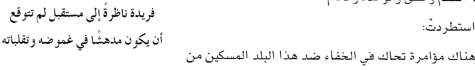
زوال التاج. ملكة جلست يومًا على عرش مصر وعاشت يومًا أمجاد مصر.

بسيطة. لكنَّ لها حضورًا عجيبًا ويشع في عينيها ذكاء حزين.

ومرت لحظات مشحونة بالانفعال. هزني وجودها. جلوسها إلى جانبي. اضطربت وتبخَّر الكلام لكنها سهلت لي الأمور وبدأت هي: تريدين الكتابة عني. اكتبي عن مصر. وأشارت بيدها إلى لوحة فوق الحائط: هذه هي مصر.

بين التجسيد والتجريد تمثل امرأة في خطوط أفقية داكنة. تنحدر من عينيها دموع كبيرة ويلفها حزن قاتم. (هذه هي مصر المأساة) الدموع. الأحزان. الجمال والماضي التليد الذي ذهب.

رسمتها بإحساسها.. بحبها ولوعتها.. إنها أعز لوحاتها فهي تسقط أحزانها وعذابها فوق لوحاتها. وتصب كل أحاسيسها وثوراتها فتسيل ألوانها دموعًا وخطوطًا. تحكي قصة الظلم والقلق والوحدة والآلام.



فريدة ناظرةً إلى مستقبل لم تتوقع أن يكون مدهشًا في غموضه وتقلباته

استطردتْ:

هناك مؤامرة تحاك في الخفاء ضد هذا البلد المسكين من أجل تشويه جماله. بأيدي أعداء غير مصريين. لأن كل تشويه يتم في البداية بسرية وتوجس غريبين حتى لا يشعر أحد. ثم فجأة نجدنا أمام تمثال من القبح.. أكشاك خشبية. كازينو غير لائق. مبنى قبيح يحجب عنا جمال النيل. إن المؤامرة خطيرة ضد النيل لأنه سر الحياة في مصر. ولا يمكن أن يتعمَّد المصري تشويه بلاده. هناك هدم وتحطيم لكل القيم الجمالية. وهناك تدمير للأصالة والذوق داخل النفوس.. تغيَّرت مصر كثيرًا.

تشعَّب الحديث بيننا وتطور في نواح عدة. وبدأت صداقتنا منذ ذلك اليوم وتعددت اللقاءات. جمعنا الفن والحوار وثقتها الكبيرة في إعجابي الكبير بها..



نيفل بيرد

صديقنا الثالث هو (مستر نيفل بيرد)، فنان إنجليزي أستاذ موسيقى، عاش في مصر أكثر من عشرين عامًا، مثقف جدًّا، طيب، خدوم إلى أبعد حد، لون خدماته يختلف عما أستطيع أن أقدمه أنا، فثقافاته متشعبة كأي إنجليزي، في الكهرباء، الميكانيكا، السباكة، يجيد التصرُّف وقت الحاجة حتى عمل الشاي والطهو، فهو كشكول فرض بتعدُّد مواهبه وخدماته وجوده على هذا المكان الصغير، وقد راعنا نحن الاثنين ما كانت عليه الملكة من وحدة شديدة، وافتقاد للإخلاص، فكان تعاوننا على رعايتها، ومما سهَّل الأمور عشق نيفل لمصر عشقًا بلا حدود، وحبه مثلها لكل ما هو مصري وأصيل، الفن الشعبي، الأزقة وحارات مصر القديمة: بقلاعها ومساجدها وكنائسها وجذور ماضيها.

كان يأتي إلينا ببرامج الثقافة والفن اليومية في كل مكان، نختار منها ما يناسبنا ونذهب إلى المشاهدة، رأينا منها عشرات المعارض الفنية وحفلات الموسيقى والغناء وعروض المسرح والكتب.

كنت أستعين بثقافتها وأنهل من خبراتها، وكانت تأنس إلى صحبتي وترتاح إلى وجودي دائمًا بجوارها، كانت صداقتنا رحلة جميلة ممتعة حافلة بشتى التجارب والأحداث والذكريات والثقافات.

فمنذ ذلك اليوم الذي اختارت فيه إقامة معرضها الدائم بالفيلا نفسها التي أسكنها، ورحبت في سعادة غامرة وقد تشاركنا – ليس السكن فقط – وإنما الآمال والمشارب، تشاركنا الحياة، كنت أفيق في الصباح على صوتها بالتليفون، فنتفق كيف سنمضي النهار سواء كنت معها أو مشغولةً وبعيدةً.

نزلنا إلى دور النشر، ومعارض الكتب، لتنظيم مكتبة خاصة بها وبالمجلة، وكانت أستاذة في اختيار ما ينقصنا، وما يلزم في هذا المجال، وامتلأت المكتبة بالموسوعات والكتب الضخمة في الفن والأدب والنقد والموسيقى، كانت على درجة عالية من التذوق العلمي والفني، كل كتاب بالإنجليزية أو الفرنسية تسمع عن ظهوره في الأسواق تحاول الحصول عليه.

تحب «جويا» و«فان جوخ»، لكن عشقها الأكبر هو «تولوز لوتريك»، والذي بدا أثره في لوحاتها.

وكان ضمن برنامجها اليومي الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية على الأقل – لمدة ساعة – مرة زرتها صباحًا، وظلت مختفية في غرفتها، ولما طال ذلك قلقت وذهبت لأدفع الباب برفق، وإذا بها ممددة في الفراش مغلقة العينين وجو الغرفة مشحون بالموسيقى العنيفة.

ولم تشعر بقدومي حتى انتهت المقطوعة. أما الموسيقى العربية والأغنيات العربية الرخيصة، فكانت تصاب برعب حتى لتوشك على الإغماء حين يدير السائق مصادفة راديو السيارة على أحد هذه المقاطع. كذلك كانت ترعبها الألوان الصارخة والأذواق الهابطة، ولا تطيق أن أشتري حتى لخادمة



عندها ثوبًا قبيحًا. أو غير متناسق الألوان قائلة: «**هي لن تراه.. ولكن أنا ما ذنبي أنا لتعذيبني بهذا الذوق**».

وهي تفزع حين يقع بصرها، في الطريق – على أضواء النيون الخاصة بالإعلانات المختلفة. الألوان في غير انسجام. تلحظ بحسها المرهف النشاز في المنظر والقول والعمل.

ذات يوم زرنا معًا مسرحية بمسرح في شارع قصر النيل من مسارح وزارة الثقافة. وكاد يغمى عليها لفرط قذارة السلم والمكان. وظلت متوترة طوال جلستنا من سوء النظام والفوضى. وأخيرًا نفد صبرها حين جاءت سيِّدة لتصافحها وتقول لها (يا مدام). وجنت من الغضب وقامت على الفور تأمرني بالانصراف. كانت هذه الكلمة كافية لإغاظتها. إنها - رغم بساطتها - كانت ترفض حتى آخر يوم في حياتها أن يناديها أحد بلقب غير (جلالتك).

وكانت تقول: **لقد ألغوا كل الألقاب الباشوات والبكوات. وجاء زمن كل واحد يقول لأي واحد يا باشا يا بك يا كابتن. لماذا ألغوا الألقاب من يستحقها إذن؟!**

وجدتها مرة ثائرة لأن الصحف نفدت يوم خطبة جورباتشوف. ونزلت بنفسها تبحث عند كل الباعة (لابد من قراءة هذه الخطبة ومعرفة ما يدور برأس هذا الرجل). إنه اهتمامها الكبير بالسياسة والتاريخ كما كانت تقول: (**طوال عمري أحب أن أتابع الأحداث السياسية في كل العالم وأحب قراءة التاريخ**).

ولم تكن لغتها العربية سليمة. فكانت تطلب منِّي قراءة ما لا تستطيع تحصيله بقدر ما يسمح وقتي.

إيمانها العميق بالله

كانت تقول: أتمنى أن أتعلم العربية تمامًا. كما تعلمتها الدكتورة نعمات أحمد فؤاد. كما كانت تناقشني كل صباح فيما تكتبه الجرائد. خصوصًا أعمدة أحمد بهاء الدين، وأنيس منصور ومصطفى أمين وصلاح منتصر . ومن أحب البرامج التليفزيونية إليها كان برنامج (العلم والإيمان) للدكتور مصطفى محمود. وكانت تتصل به أحيانًا بعد البرنامج لتستفسر منه عما غمض عليها فهمه. وتستزيد من شرحه عن قدرة الله تعالى.

اتصالها بالله وإيمانها به كان كبيرًا. كانت عباداتها منتظمة قبل المرض. أما بعد أن مرضت فقد اضطربت صلواتها. لكنها كانت تذكر الله في كل أوقاتها.

والمصحف يحتل كل مكان تحل به: في سريرها. في مكتبتها. بين ملابسها. في حقيبة يدها وفي أسفارها. وآيات القرآن تزيِّن المكان في أشكال فنية كثيرة. وقد تفننت في رسم لفظ الجلالة في لوحاتها وهي تقول: لقد كنت أول من كتب لفظ الجلالة في لوحاتي بعدها قلدني كثيرون.

وكانت تؤمن بأن الدين قيم ونظافة وسلوكيات أكثر منه طقوسًا.



بجوار مرسمها كانت غرفة بها سرير، ترتاح فيها كلما عملت، وكانت أحيانًا تعتكف بها في تأمل وصوفية عارمة، ويخيل إلي أنها نائمة أو تناجي الله بلغة خاصة فأحترم خلوتها وصمتها ولا أقترب منها حتى تنتهي.

كان التصوف أحد أساليب حياتها، وطريقًا ارتضته وساعدتها الظروف عليه، الوحدة، والانطواء، والتباعد، التقلب بين الأحداث المثيرة، الهزات النفسية العميقة، الفن وإحساسها المرهف بالحياة، كان أمامها طريقان إما التصوف والإيمان العميق أو طريق الجنون، وانعكست نظرتها الصوفية في ألوانها ولوحاتها.

كانت تقرأ كثيرًا في كتب الروحانيات، وتلجأ بإيمانها الفطري إلى القرآن الكريم، وهي تحتفظ أيضًا بالإنجيل وتقرؤه، وكثيرًا ما كانت تطلب منّي أن أقرأ لها في كتب التفسير وأفسِّر لها الآيات.

السحـر أقوى

ثم كانت تؤمن بأن هناك قوى خفية تحيطها بالشؤم وتسلبها السعادة، كانت دائمًا تردد: (**نازلي كانت تكرهني، واستعملت السحر كي تعذبني في كل مراحل حياتي فحرمتني أعز ما لدى، زوجي ثم أولادي، ثم راحتي واستقراري وأخيرًا صحتي، هكذا تطاردني اللعنة الخفية أينما حللت**).

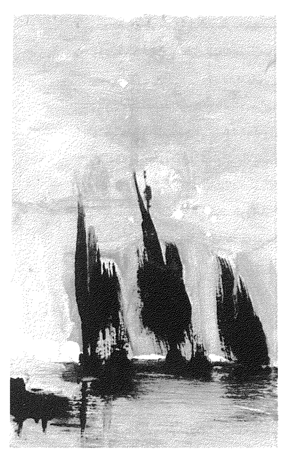
هكذا كانت عقيدتها الراسخة، السحر وكيفية التغلب بأية وسيلة على شر هذا السحر، في القرآن الكريم، في كتب الدين، ثم في أعمال بعض من يستعينون بالجان، وكانت تسجل أحاسيسها واعتقاداتها في كثير من لوحاتها، خصوصًا في المرحلة الأخيرة، وجوه مخيفة: دماء وأصابع وأظافر وخطوط رهيبة داكنة وعيون مذعورة.

ذات صباح بادرتني هاتفيًّا في ذعر حقيقي: (**ألحقيني.. ماذا حدث؟ تعالي**.. وجدتها تمد لي يديها بخاتم ذهبي كان ملازمًا لإصبعها عليه التاج الملكي وقد انكسر من باطن اليد ونقصت منه قطعة بمقدار ملليمتر).



لوحة الله «-لفظ الجلالة-» وقد رسمتها الملكة فريدة عام 1975 وهي من أوائل الفنانين الذين اشتغلوا تجريديًّا على صوفية الحرف وتعد هذه اللوحة أحد أبرز الأعمال التشكيلية للفنانة





الفَنَّانة فريدة كانت مَلَكَةً في التجريد إذْ كانت تؤمن أن مَنْ يَتَجَرَّد يُجَرِّد

قالت لي: فسِّري ذلك، صحوت من النوم وجدته في إصبعي بهذا المنظر، والأدهى أن هناك قطعة ناقصة منه، يعني كسر غير عادي بفعل غير عادي، وطلبت مني الاتصال بالدكتور مصطفى محمود فقد يفسر هذه الأمور الخفية. ثم الذهاب إلى أحد الصاغة وسؤاله عن خواص الذهب، وكيف يمكن أن يحدث هذا. وضحك الدكتور مصطفى محمود وأجابها متفكها: (مفيش عفاريت أثناء نومك يمكن أن تفعل هذا بالخاتم، لكن إذا كان ده خاتم الملك والملك لله وحده، فأحسن شيء هو التبرُّع به للمسجد أي لله). ولم يعجبها كلامه ولم تفرط في الخاتم.

وقال الصائغ: ربما استعملت مادة أثناء الرسم أثرت على الذهب فانكسر، ولكنها تصر: (والقطعة المفقودة؟) ولم تقتنع وخلعت الخاتم واحتفظت به في علبة خاصة.

وفي الصعيد ذهبنا إلى أحد جهابذة علم الأرواح والاتصال بالجان، وفك طلاسم السحر، وقضينا يومًا بأكمله في أحد الأبنية النوبية القديمة، وهو يقرأ لها القرآن والرقية، ويطلق البخور لمحو تلك اللعنة التي سطَّرتها نازلي، ودفنتها في قبر مجهول منذ خمسين عامًا. ثم أخذت معها أحجبة كثيرة للاستحمام ببعضها، والاحتفاظ بالبعض الآخر كما أمرها الرجل، وحين وصلنا في المساء طلبتني مرتاعة وهي تقول همساً: هل علمت بما حدث؟ لقد اختفى الحجاب وسط المياه التي أعددتها للاستحمام، بل تبعثرت المياه وسالت على الأرض، ولم أستطع الاستحمام أبدًا! إن السحر أقوى من أن ننتصر عليه.

في ذلك المساء طفقنا نحكي عن الأرواح وحكايات عن السحر، ولم تنم، في الصباح قالت لي: عندي مفاجأة، ورفعت غطاءً أبيض في غرفة نومها من فوق حاجز أمام الشباك، فإذا بلوحة صاخبة الألوان مطموسة المعالم، تطل بها وجوه مخيفة من قلب العتمة، قالت لي إنها أمضت الليل تفرغ فيها شحنة رعبها وحاولت أن تجسِّم بها تلك (القوى المجهولة)، وأطلقنا عليها ذلك الاسم، هذه هي الملكة البسيطة في عقائدها، المثقفة، المتناقضة مع نفسها في شتى المجالات.



شريط الذكريات

وبعد..

فما بقي لي منها بعد ذلك، هو تلك الومضات الساحرة واللوحات المنطبعة في الخيال والواقع، لوحات أتحسسها بأصابعي ولوحات أعيشها بقلبي وخيالي، وتحفظها ذاكرتي لأستعيدها كلما أحببت أن أحياها معها مرةً أخرى ومرات.

فصورتها لا تغادرني في ثيابها القطنية البسيطة، في مرسمها تمارس أحب هواياتها، وتعيش وتعمل بين لوحاتها، ثم.. في شورت قصير أسود – قبل مرضها- نشيطة تمارس تمريناتها الرياضية، أو تستمع إلى الموسيقى وتعمل بمنزلها، أو تقود دراجتها في الصباح الباكر بطرق المعادي.

كل الناس زمان كانوا مؤدّبين

ثم ها هي صورتها مرة أخرى، ثوب تركواز، يبرز نصاعة جيدها، بينما يلف شعرها إيشارب حريري أبيض، تقف معي على رصيف كورنيش النيل بالجيزة في بساطة شديدة، وسط حشد من الصعايدة



الملكة فريدة تستمع إلى سامية إمام مديرة منزلها



والمارة تصفق معهم كالأطفال. وهي تشاهد في فضول رقصات الخيل العربية، أمام سفينة الدكتور حسن رجب (رائد البردي)، إنه معرض الشيخ رمضان سويلم الفنان الشعبي.

تعشق الفنون الشعبية

فوق المركب تقوم سيدة أنيقةٌ في مثل عمرها فتصافحها ثم تتنحى عن كرسيها في احترام لرجل مسن. وأنظر مستنكرة لأنها سيدة فترد علي بدهشة (إنها لا تفعل سوى الواجب وكل الناس زمان كانوا كده مؤدبين).

تارة أخرى في سهرة شعبية بأتيليه القاهرة، حيث جمعية أصدقاء سيد درويش مع أبناء الفنان وأصدقائه. تجلس القرفصاء في تواضع بينهم وتردد الأغنيات القديمة معهم. وهي تشدو مستمتعة بفن ذلك الفنان المصري الأصيل الصميم.

كانت متعصبة لكل ما هو مصري صميم وأصيل. كانت تقول: إن مصر هي الريف.. الحواري.. الفلاحون والصعيد.. الجرة.. القلة.. الزير.. هذه الأشياء الأصيلة أصبحنا نفتقدها في حياتنا.

وفي مطعم "فلفلة" كثرت زياراتنا لأكل الفول والطعمية والطحينة والبصارة. كانت تقول إن الفول أحب وأشهى إليها من كل اللحوم.

وتتعاقب على خيالي صور أخرى عديدة تحمل الذكريات.. أراها في روب كحلي حريري منزلي. تتناول الشاي في هدوء. فجأة يدق جرس التليفون وترد ثم تنفعل. ويعلو صوتها بعصبية شديدة تفقدها الكثير من جمالها واتزانها. هكذا كانت في آخر سني حياتها. وكان ذلك يفقدها الكثير من أصدقائها. لم يكن أحد فيما يبدو يغفر عصبيتها. لأن أحدًا لم يكن يكلف نفسه جهدًا في سبيل فهمها أو احتمالها أو التماس أي عذر وراء انفعالاتها. ولكن أنا و"نيفل" كنا أكثر الناس احتمالاً وفهمًا لها. لذا استمرت صداقتنا حتى آخر لحظاتها.

كانت كالطفل الذي ينطلق صياحه تلقائيًا دون قصد من أذى أو شر. دون سبب ظاهر.

إن كل أسبابها تصطرع بالداخل. ولا يمكن أن تبوح تفصيليًّا لإنسان بما تشعر. ما عذابها؟ ومَنْ معذبوها وكيف ومتى ولماذا؟!

لم تكن تثق في الناس ولم يكن لها أصدقاء. ذات يوم جاءتنا باقة ورد كبيرة رائعة، ودهشت أنه لا يجاملها أحد. واقتربت وقرأت البطاقة. ثم ضحكت كثيرًا وهي تقول لي: هل تدرين من أرسل هذه الورود؟ إنه عيد ميلادي! وتذكرتُ! وسألتها من؟ أجابت: إنها تحية كاريوكا!

فنانة أصيلة ذات ذوق. طيبة. وكريمة. وشجاعة جدًّا، وأحبتني كثيرًا. هيا نتصل بها ونشكرها.



وفعلنا ذلك، بعدها صار بيننا اتصال دائم متبادل بالفنانة التي تمنت الزيارة لكن لم تسمح ظروفنا بالطبع، وهذا لون من الناس لا يخطر ببال أحد ذوقه أو شجاعته.

كانت كاريوكا هي الشخص الوحيد في مصر كلها؛ الذي ذكر عيد ميلاد ملكة مصر وقام بتهنئتها.

طريق الآلام

كل الجروح والإهانات والآلام، بدأت معها منذ كانت صبية في أول شبابها، ومنذ بدأت تتناول المهدئات كما حكت لي.

بعد أول يوم أنجبت فيه ابنتها الكبرى فريال، وخاب أمل الملك، وأثناء انتظاره وليًّا للعهد في كل مرة تحمل بها كانت تعيش على العقاقير والمهدئات طوال فترة الحمل، بل انحدرت إلى تنفيذ الوصفات البلدية للمساعدة على إنجاب ولد، وكان هذا سببًا في إنجابها الأميرة فوزية، وهي مصابة بشلل الأطفال منذ ولادتها حتى آخر العمر. هكذا كان يقتلها التوتر والقلق. ثم تأتي الولادة ومعها بنت أخرى، ويشتاط فاروق غيظًا، ويقوم جدار غير منظور بينهما، وتنهار وتستسلم أكثر للعقاقير، منذ ذلك الحين وهي تعاني نوبات الاكتئاب الحادة.



الملكة فريدة مع الناقد الراحل مختار العطّار والفنان الفطري رمضان سويلم





الملكة فريدة في غرفة جلوسها بشقتها في سرايات المعادي

ثم بدأت الجفوة بينها وبين الملك تتسع بعد ذلك، إلى أن أصبح الجرح جرحين، بعد أن تعرف إلى إحدى وصيفاتها بالقصر، وهي سيدة على جانب من الوقاحة. كانت تكيد لها وتجاهر بعلاقتها بالملك، وأدى ذلك بالملكة إلى تحديد علاقتها به، حتى أصبحا غريبين تحت سقف واحد. كان ذلك بداية طريق الآلام.

أذكر مرة ونحن في طريقنا إلى المستشفى، إثر إحدى نوبات مرضها الأخير، كانت تمسك بكلتا يديَّ وهي ترتجف كأنها تتوسل وتردد: **أريد مهدئًا كبيرًا قويًّا يطفئ كل أحاسيسي فأنسى، أنسى تمامًا كل حياتي** وأرتاح.

كثير من التناقض يبدو لي تجاه مسلكها مع نفسها، فأراها في أحيان أخرى كثيرة تعشق الحياة إلى حد التفاؤل والأمل وهي في قمة اليأس.

وكثيرًا ما فكرت فيما حدث لها وهلعت، إنه شيء فوق تصور البشر.

ملكة في قمة المجد والأبهة والترف، تخلع بيديها التاج لتهبط بعد ذلك إلى أدنى من مستوى امرأة عادية. كيف؟ كيف استطاعت أن تقنع بالحياة وحيدة في غرفة صغيرة في شقة متواضعة في الغربة بباريس؟ اشتراها لها شاه إيران السابق، وعلى دخل محدود كان يرسله لها وأحيانًا كان مكسبها الضئيل من بيع لوحاتها؟





كانت تقرأ بثلاث لغات الفرنسية والإنجليزية ثم العربية

كيف؟! وقد باعت ملابسها هناك قطعةً لتسد مصاريف الأطباء بعد انهيار عصبي شديد أصابها، تستعيد قوتها مرةً ثانيةً ويدفعها الأمل للحضور إلى مصر محاولةً البدء من جديد، وبأمل آخر مختلف. قوة ما بعدها قوة..

كانت تحب اللون الأخضر، أذكر يوم أن اختارت مقر معرضها بالدور الأرضي لديَّ، نظرت إلى الحديقة الذابلة ولم تعجبها، وأحضرت البستاني وأمرته بتشجير المكان، وإحضار نباتات اقترحتها، وزرع الزهور في كل مكان، وأخيرًا وقفت بإعجاب وحماسة تنظر إلى ما حولها قائلةً: «هكذا يستطيع الإنسان أن يعيش وسط الخضرة والزهور، بقي أن نجمِّل المكان أكثر بالكراسي، ونجتمع كل مساء وندعو الأصدقاء، وترسل لنا رتيبة الحفني فرقة أم كلثوم للموسيقى العربية لتعزف وتغني وتدعو لنا د. نعمات أحمد فؤاد الأدباء والفنانين وأعرض لوحاتي وسط هذا الحشد الفني الجميل.. هيا نعيش».

لم تكن تتحسر أبدًا على ضياع المُلك أو القصور والجاه والمجد، بل كانت على استعداد للحياة البسيطة في أي مكان صغير ونظيف ومريح، والاستمتاع في حدود استطاعتها.

لم تكن تيأس أو تستسلم ولم تكن رافضةً للحياة. رأيتها يوم اكتشف الأطباء مرضها اللعين (اللوكيميا)، تقضم التفاحة بشهية وتخبط بقدميها الأرض صائحةً مثل الأطفال «المرض بالشلوت.



سأعيش وأتغلب عليه..»".

كيف كانت تتأرجح رغباتها بين الحياة والموت؟

الإنسانة

وأمضي أتحسَّس ميداليةً ذهبيةً في سلسلة بصدري أهدتها إلي في عيد ميلادي، مرسومًا عليها عين مكتوب بها الله، إنه دائمًا الخوف من الحسد واللجوء إلى الله. وأسألها يوم عيد ميلادها، ماذا تحب أن أهديها؟ فتطلب قرطًا مستديرًا من الفضَّة. هذا القرط وجدته ضمن أشياء تعتز بها تخفيها في درج خاص بها، وهي تقول أحب الفضة كثيرًا وأتفاءل بها.

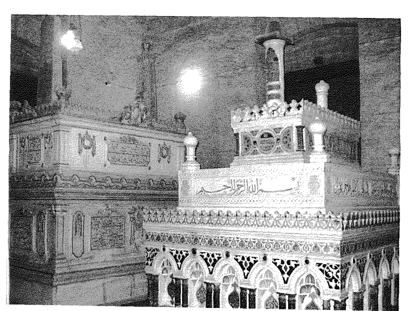
هكذا كانت تخفي أيضًا عواطفها، وربما أظهرت عكس ما تبطن. ولكن كثيرًا ما كنتُ أضبطها متلبسةً بتلك العواطف والمواقف الإنسانية.

أمام قبر فاروق

ذات يوم قارس البرد من أيام الشتاء، طَلَبَتْ منِّي الذهاب معها بسيارتي إلى المقابر، وحين شارفنا مسجد الرفاعي، طلبت منِّي الابتعاد قليلاً ونزلت وحدها تزور قبر فاروق، وغابت أكثر من نصف الساعة، ثم عادت محمرة العينين من البكاء.

هذه الحادثة تكررت كثيرًا، ولا يدري أحد لماذا كانت تذهب؟ حقيقة مشاعرها في العودة، أكانت تسعد بتلك الزيارة أم تكفِّر عن ذنب لم تقصد أبدًا ارتكابه في حق صاحب القبر؟ طالما قالت ردًّا على اتهامات أقاربها وذويها (لو كنت أعلم أن افتراقي عنه سيسبِّب له كل تلك المشكلات، وسيغيِّر وجه تاريخ مصر كما تقولون ما طلبت أبدًا الطلاق منه).

كان ذلك الشعور بالذنب يلازمها حتى آخر أيامها، وكانت تشعر في عذابها بأنها تكفِّر عن ذنب تخليها عنه في زمن حرج. كان بحاجة فيه إلى احتواء مخلص من أقرب الناس إليه وهي تقول:







نظرة عميقة من ملكة كانت تعيش سنواتها الأخيرة في قلقٍ

(إن فاروق ظل طفلاً طوال حياته وبحاجة إلى أم ترعاه بعد أن تخلَّت عنه أمه، وانصرفت إلى حياتها الخاصة، وكانت تغار عليه وتحيطه بسيطرتها وتؤذي كل من يحبه).

وأسألها في قمة عذابها: لماذا فعلتِ بنفسك ذلك؟

وأستطرد .. كل النساء تعسات، الغنية منهن والفقيرة، ولم أر واحدة تضحي بسهولة بالزوج أو البيت أيًّا كان.. وألح في فضول:

لماذا لم تتزوجي؟

كنتِ جميلةً ورائعةً وبعد المُلك ألف من كان يطمع ويريد، ألم تري فيما فعلت جاكلين كيندي الصواب؟ وهي التي كانت ملكةً على أكبر العروش؟

ثم أعاود الإلحاح: ألم تندمي بعد كل ما أصابك؟ وكيف تحسِّين اليوم بمكان فاروق؟ ثم... ألم يكن ملكًا؟ أيحاسب الملوك كما يحاسب الأزواج العاديون؟ أكنتِ امرأةً عاديةً حتى تغاري وتغضبي؟

أليس في التاج والعرش مسئولية تكفي لكبح جماح العواطف؟ وتقييد المشاعر والارتفاع فوق معاني الكرامة والكبرياء والأنوثة؟ أو استبدالها بمعانٍ أخرى تناسب الملكية؟



ألم تكن لك رسالة تفوق في أهميتها كل هذه المفاهيم؟ وهي تارة تجيب وأخرى تلوذ بالصمت، تارة تجيب بحدَّة ثم بهدوء، ثم بشرود ثم بثورة.

إجابات كثيرة ومتعددة ودائمًا وأبدًا تحتفظ لنفسها بالكثير.

قالت: لا أحد يعرف فاروق كما عرفته، وكل الناس أساءوا به الظن. لقد كان طيبًا وكريمًا ونقيًّا، وكان ضحية الذين يملأون القصر، وكنا أطفالاً بجانبهم وبلا أدنى خبرة بالحياة، لا .. لم يكن تهورًا منِّي طلب الطلاق ولكني كنت طفلة لا أبصر النتائج.

فاروق لم يكن يريد، لكنهم أجبروه على توقيع وثيقة الطلاق، كما طلبوا منِّي إرجاع هدايا الزواج: التاج والعقد وكثير من أشيائي.

لم ينقذها سوى فنها وصداقتنا



من القصر الملكي إلى شقة صغيرة في سرايات المعادي

حين كانت تعاودها نوبات الاكتئاب، كانت تنبطح أرضًا وتأخذ والدتها في أحضانها وتظل ساكنة هكذا ساعات طويلة، بل كانت هذه الأم التي تعدَّت التسعين من عمرها والتي لا ترد ولا تتكلم أو حتى تعي شيئًا.. كانت تأنس إلى صحبتها وتحدثها كما لو كانت تسمع أو تفهم قائلة لي: (إنها لا تعرفني ولكنها الإنسان الوحيد الذي يسعدني الجلوس إليه) ، وظلَّت حتى آخر يوم في مرضها تمشطها وتعد بنفسها حمامها وتعطرها، وتعالجها وتعتني بها في حب وعذوبة شديدين، تدللها وتخشى عليها من البرد والحر.

ذات مرة طلبت مني أثناء سفري، شراء مروحة صغيرة جدًّا ذات بطارية لتضعها بجوار رأسها حين يشتد الحر. كذلك مجفف للشعر رقيق وأنيق تستعمله حين خروج الأم من حمامها حتى لا تبرد.

كانت تفتقد الأصدقاء، وتغضب وتحزن إذا تخلفنا أنا و«نيفل» عن زيارتها يومًا أو يومين، كانت تقول: لقد تركت باريس بعد أن عذبتني الوحدة بها كثيرًا إلى مصر حيث آنس بدفء الناس.

وحين يلح عليها الأطباء في منع المنومات كانت تقول لنا: إذا مكثتم إلى جواري فلن أتناول المنوم أبدًا، إنني أتغلب به على الوحدة.

وكثيرًا ما كانت تنتابها نوبات من الرعب والهلع، لتصورها نفاد نقودها فتموت من الجوع أو تذل أو تُهان، فيدفعها القلق إلى مضاعفة جرعة المهدئات مما أثَّر على الكبد في أعوامها الأخيرة.



وتتوالى الصور

في شوارع سرايات المعادي.. بعد الغروب، والصمت يلف الأشجار والبيوت والظلمة تزحف على الطرقات، أسير إلى جوارها كعادتنا معظم الأمسيات، أقول لها: أتدرين أن السير بالمعادي في ذلك الوقت أصبح خطيرًا فالحوادث كثيرة؟ ترفع بيدها عصا وباليد الأخرى بطارية وتقول: معي هاتان، فمن يقترب منا ألقي الضوء على وجهه وأحطم رأسه بالعصا.

وأضحك فتجيبني جادة: أنا لا أخشى أحدًا أبدًا، لا أخشى إلا الله والله معي دائمًا.

رغم كل شيء كانت تؤمن بأن عناية الله تحرسها، وكل ما يحدث لها هو خير رغم الشر في ظاهره.

في جبل المقطم كل عصر نصعد لدقائق، تنعطف بنا السيارة وتقف في أحد المنحدرات. معها (ترموس) مليء بماء المقدونس المغلي، أصبُّ لها وتشرب، تشرب كثيرًا، كانت تميل إلى الأعشاب ولا تحب الدواء، تستنشق الهواء النقي في متعة وهي تقول: يا ليتنا نسكن هذا المكان النقي، أستمتع بالسكون وغروب الشمس وراء الجبل وصفاء الجو بعيدًا عن القاهرة.

كانت لديها آمال خاصة، تتوق إلى الحياة بطريقة أقرب إلى الزهد منها إلى المتعة الحسية.



ظلت ملكة في كلامها وسلوكها
ومظهرها حتَّى اليوم الأخير في حياتها



مجوهرات الملكية مزوَّرة

وتقفز إلى ذهني صورة أخرى جميلة، أتوقف بالذاكرة لأتأملها مليًا، في ثوب من قطعتين آية في الأناقة منقَّط أبيض في أسود. وهي تميل لتركب بجواري السيارة في طريقنا إلى أحد المعارض، وأشهق من الإعجاب.

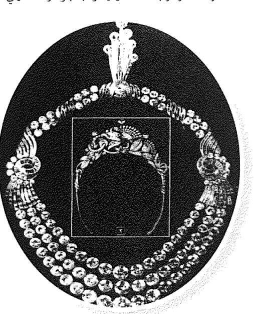
هذه الأناقة المفرطة والبساطة المفرطة والرقة والذوق والاحتشام، حشد اجتمع في هذه الإنسانة الرائعة، وذوب شخصيتها ولب جوهرها. فهي تبهر وهي تفتن دون تصنُّع أو مبالغة، وهي تترك أثرًا غير عادي في قلب من يجيد معرفتها.

وانظر بإعجاب إلى قرط كبير من اللؤلؤ في أذنيها. وأسألها بفضول: أبقي لك شيء من مجوهرات الملكية؟

وتضحك كثيرًا وهي تجيب (ده فالصو يا عبيطة، هل تظنين لو بقي لي شيء كنت أصل إلى هذه الحال. لقد مضت سنون منذ سلمتهم مجوهراتي، وأنا لا ألبس إلَّا الفالصو).

فهل يتصور أحد أنها جمعت بيديها كل كبيرة وصغيرة من مجوهراتها وذهبها، وسلمتها بيدها في طبق إلى رجال الثورة يوم زاروها، ولم تحتفظ لنفسها بأقل شيء، وكان يمكنها ذلك بسهولة، بل إنها عثرت بعد ذهابهم على أشياء نسيت أن تضعها ضمن ما أخذوا فاستدعتهم لأخذها ثانية.

بهذا الخُلُق كانت فريدة تواجه الحياة حتى آخر يوم لها. وحين سألت نبوية الدادة التي رافقتها في طفولتها، وكانت معها في ذلك اليوم تحمل ذلك الطبق الثمين، لماذا فَعَلَتْ ذلك يا دادة نبوية؟ فتجيبني العجوز لأنها مش حرامية.



العقد الثمين الذي أهداه الملك فاروق إلى عروسه الملكة فريدة بمناسبة عقد قرانهما السعيد وهو حلية نادرة المثال ذات ثلاثة فروع من الماس الأبيض وتنتهي الفروع من الناحيتين بمسّاكتين ذات ماسّتين نادرتين. أما التاج فقد أهدته الملكة نازلي والدة الملك فاروق إلى الملكة فريدة بمناسبة زواجها ، وفي وسطه زمردة نادرة



وكانت تظن أنهم سيخجلون، ويعاملونها بالمثل، أو يقدرون ما فعلت ويعيدون إليها بعض أشيائها، ولكن ليس كل إنسان تربى على الخلق نفسه.

وتؤكد الملكة لي: **لقد رأيت بنفسي مجوهراتي فوق صدر إحدى زوجات رجال الثورة، ويا ليتها ذهبت إلى مصر أو حتى بقيت في المتحف، ثم تعقّب معلقةً على ما عُرِضَ من مجوهرات أسرة محمد على في قصر الأميرة فاطمة بالإسكندرية:**

(إنها جميعها مزوَّرة وليس فيها شيء واحد من مجوهرات الأسرة الحقيقية: والتي سُرقت لأنهم لم يكونوا يدركون قيمتها).. وقبل أن يشتد بها المرض جاءت سيدة عربية وعرضت عليها إقامة معرض للوحاتها في بلدها، نظير أن تقبض ثلث ثمن كل لوحة مباعة. وقبلت فريدة على مضض واتفقنا على الموعد، واتصل بنا مندوب وزارة الثقافة بالبلد نفسه، بعد ذلك يعرض عليها إقامة المعرض دون أن يتقاضى من البيع شيئًا وفرحتُ وقلت لها: هذا العرض أفضل، لكنها رفضت قائلةً: **لقد وعدتُ من سبقت، وأنا لا أرجع في كلمتي ولا أكذب، هكذا كانت، وبتلك المبادئ تواجه الحياة حتى آخر يوم.**

رحم الله الملكة الفنانة، فقد ضحت وعانت وعاشت من أجل القيمة والمعنى والجمال.

وفي مرارة تذكر قصرها في الهرم: الذي استولت عليه الثورة، عقب سماحهم لها بمغادرة البلاد بعد احتجازها دون ذنب ستة أعوام، والحيلولة بينها وبين رؤية بناتها اللاتي سافرن إلى الخارج مع والدهن الملك.

لم تكن تتصور أنها حين تعود سوف تجدهم وقد استولوا عليه، ولم يعد لها مأوى في بلدها مصر، ويعدها الرئيس جمال عبد الناصر بتعويضها عن ثمنه ودفعه لها بالخارج، وتنتظر الشهور والسنوات دون جدوى، ثم تأتيها المعونة من شاه إيران، تسمع بعد ذلك أنهم استعملوه مقرًا عسكريًا في عهد السادات، ثم بيع بأقل من ثمنه كثيرًا لأحد شيوخ البترول.

جمال سالم يطلبها للزواج

وللأمانة والتاريخ، أجد لزامًا على ذكر حادثة، أخبرتني بها، وهي أنه فور موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على عدم المساس بشيء من ممتلكاتها، زارها الضابط جمال سالم، وكان رئيسًا للجنة المصادرة وليخبرها بالنبأ، ثم.. طلبها للزواج، وثارت ثورة عارمة على ذلك (المحسوب على الثورة).

أنا بعد فاروق أتزوجك أنت؟ وطردته شر طردة، وبعدها توالت عليها النكبات دون ذنب، ودون رحمة.

وحين ضاقت بها الوحدة والحياة في باريس بعد سويسرا، واستعانت بالرئيس السادات، سمح لها بزيارة مصر، وأمر لها بشراء شقة محترمة بالجيزة على النيل، ثم قال لها لا تسافري قبل تسلمك الشقة.



وتستطرد: لكني حين ذهبت إلى السيدة جيهان السادات، رفضت تسليمي الشقة، وطال بي الانتظار حتى نفدت نقودي، وليس من مكان لي أرتاح فيه في بلدي فغادرتها مرة أخرى إلى باريس.

ثم أخيرًا وفي شدة مرضها، استعانت بالرئيس مبارك؛ الذي رحَّب بها في مصر ثانيةً، وحملت لها السيدة سوزان مبارك المبلغ الذي خُصِّص لها، فتمكنت به من شراء شقتها الصغيرة في المعادي، والسيارة اللادا الصغيرة فاستقرت بمصر.

وحاولت الاتصال بالمسئولين وذهبت إلى د. عاطف صدقي - رئيس الوزراء - وذهبت معي بالسيارة، وهي متخفية لرفع معاشها الذي كان مائتي جنيه شهريًّا، ولكن قال لي: إن هذا أكبر معاش في الدولة، أما ما يصرف لزوجات الرؤساء السابقين فلا يسمى معاشًا بل مخصصات، ولماذا لا تصرف مثل هذه المخصصات لهذه المسكينة لتعويضها عما أخذ منها دون ذنب جنته؟

مساعدات مصطفى أمين

كان يزورنا دائمًا وَيُحْضِرُ معه عربًا أو أشخاصًا لشراء لوحاتها لمساعدتها دون خدش لكبريائها، وذات مرة أحضر معه شخصًا من السعودية، وانتحى بي جانبًا وهو يقول: اختاري له أسوأ لوحة عندك، واطلبي أغلى ثمن لأنه لا يفهم في الفن إنما هو فقط يريد رسم الملكة أو مساعدتها.

وأحضر السعودي معه هدايا ساذجة كثيرة، منها أقمشة حريرية بلا ذوق، وبلح وحلوى وعقود خرز، لكن الملكة كانت تتلقى الهدايا فرحة جذلة كطفلة صغيرة، وتقول إنه يريد إسعادي وأنا مبسوطة بالبلح والحلويات.

سؤال بلا جواب، كتب عليها أن تكد وتكدح حتى آخر يوم في حياتها وتعيش من عرقها.

وأعود مرةً أخرى لأستعرض لوحات الذكرى.

في الإسكندرية..

وقد أقبل الشتاء بسمائه الملبدة بالغيوم، وبحره الأزرق العميق ولسعة



في حوار مع الشيخ عيسى بن راشد وكيل وزارة الإعلام بالبحرين وقتذاك في معرضها الذي أقيم في البحرين





الملكة فريدة ويظهر معها في الصورة صديقها البريطاني «نيفل» الأول من اليمين

برد تسرى في الهواء، تضاعف الشعور بالحزن والكآبة.

أمام قصر المنتزه. (لا.. ابتعدي بي من هنا لا أطيق رؤية هذا المكان، إنه يثير في نفسي أتعس وأجمل الذكريات، لقد قضيت به أغلى أيام عمري).

وأبتعد.. أحترم شعورها، ولا أسألها أو ألح في المواساة، حين ألمح في عينيها الواسعتين دموعًا لا تجف.

ولكن أكانت هكذا تجاه كل أماكن ذكرياتها؟ على العكس تمامًا، في أسوان حين دعانا المحافظ اللواء قدري عثمان للعشاء، واختار خصيصًا وتكريمًا لها – جناح فاروق في فندق الكتراكت والذي قضت به فترة في شهر العسل – لقد بدت سعيدة وهادئة هدوءًا غريبًا في تلك الليلة، متشبثةً بالبقاء أطول مدة ممكنة. ماذا حرَّك خواطرها أيضًا في تلك الليلة، وأثار أحلى أفكارها حتى طغت على كل هذا السحر والجمال والهدوء؟

لغز يتحرك، بل روح تهيم بالأحاجي والألغاز، وغرائب ما يمر به إنسان.

في أسوان، في الشاليه المعد لنا بفندق الأوبروي، تتعانق نخلتان وتشرئب أعناقهما داخل الفراندة الواسعة، حيث نجلس، تحيط بنا مياه النيل العظيم من كل جانب. أقرأ لها في أحد كتب نجيب محفوظ الملأى بالرموز، وهي تنصت في إعجاب واهتمام شديدين.. وَتُكْثِرُ من الأسئلة.



يقفز علي وشامل حفيداها من ابنتها الصغرى فادية، شابان دون العشرين يداعبانها ويقطعان علينا القراءة. إنها المرة الأولى التي يزوران فيها مصر.. وتنحدر الشمس للمغيب، فيقفان مبهورَيْن بروعة المناظر الخلابة.. الجبل.. النخيل.. النهر العظيم، والقرص القاني يغوص في مياهه الذهبية العميقة، وطيور المساء تحلِّق وتشقشق فوق الأفق. وينتحي بها جانبًا أحب أحفادها إليها علي، ويهمسان مليًّا وتنساب دموع الشاب بينما تنخرط هي في بكاء مرٍّ طويل.

وأنزعج ولكني لا أتعجب ولا أسأل، إنها تكره كثيرًا أن يسألها أحد ما بك؟ تكره الفضول والتدخُّل لأنها ليست فضولية. لم أرها يومًا تسألني شيئًا يخصُّني إلَّا في عبارات موجزة سريعة، ولم أرها تهتم بأخبار أحد أو الحديث عن أحد. تكره الغيبة والنميمة والكذب والنفاق كرهًا عظيمًا.

لكنها أيضًا تفهم ما بداخلي، وداخل الناس بالسليقة والذكاء النفَّاذ والشفافية التي لا تخيب. تعرف دون أن تسأل أو تسعى لتعرف.

فوق سطح المركب تمخر بنا العباب من أسوان حتى الأقصر. كانت مرحة، تحادث الجميع تشرح لحفيديها ما غمض عليهما من تاريخ مصر والأجداد. فوق المركب التقت بالكثيرين من اليهود الأثرياء، الذين غادروا مصر بعد الثورة وجاءوا إلى زيارة أسوان، احترام هؤلاء اليهود لها كان مثلاً من أمثلة التقديس والإجلال، فالانحناءة وتقبيل اليد والتنحي والوقوف وخفض الصوت.

كانت تعامل كملكة لم تغادر العرش. ولكن كان هناك نموذج آخر من المعاملة ينتظرها في مطار الأقصر. فحين وقفنا أمام باب الأمن لإبراز تذاكر السفر، فوجئنا بموظف سخيف يسألها – وهو أكيد يعلم – من هي؟ وبادرته أنا: (إنها الملكة فريدة). فقال ساخرًا: ملكة من؟ لم نعرف ملكة لمصر.

وأصرَّ على أن تبرز بطاقتها الشخصية وإلَّا فلن تمر. وفتحت حقيبتها بسرعة ليرى البطاقة. وإذا به يتمادى في بذاءاته قائلا: «جيتي منين، آه.. انتوا إللي خربتوا مصر».. وجاء رئيس العمل بعد أن أخطرته لإنقاذ الموقف وتأديب الموظف، فما كان منها إلَّا أنها احتجت بشدة ولم تقبل أبدًا أن يعاقبه. لكنها علقت قائلة: **(ده معذور لأنه من جيل جديد لا يعرف إلَّا التاريخ الغلط).**

هي إذن كما عرفتها. ذات ضمير نقي، وقلب طيب وذكاء حاد، وحس مرهف وحدس وشفافية، تدرك تمامًا الصدق من الكذب والصحيح من النفاق.



الملكة فريدة على سُلَّم الباخرة توت بأسوان



حين تثور، تختلط عليها الأشياء ولا تعود تدرك من تحادث، ولا ماذا تقول، لا تهدأ حتى تفرغ شحنة غضبها، ثم تندم حين تكون قد فقدت الصديق والمحب. ولكني أنا أحببتها كثيرًا واحتملتها وعذرتها كثيرًا، وكانت بالنسبة لي حياة غريبة طويلة حافلة بصنوف الأحاسيس والمفاجآت. كانت ترسم البورتريه بمزاج خاص جدًّا وتقول إنها لا ترسم إلَّا من تحبهم.

وقد أحبت خادمتها النوبية إيمان الصغيرة، ورسمتها بكل أحاسيسها، فكانت الصورة من أجمل ما رسمت من بورتريهات. ولكن الخادمة هربت يومًا، وتحدثت عنها بما لا يليق، وبلغها الكلام فنزعت البورتريه ومزقته قطعًا، رغم احتجاجي بأنه قطعة فنية لا تُعوَّض ولا شأن لنا بصاحبتها. إلَّا أنها قالت: لم أعد أطيق رؤيتها. وحاولت أن ترسمني مرارًا بل ذهبت معي إلى الفنان صبري راغب أثناء قيامه بعمل بورتريه لي، وجلست إلى جواره الساعات ترسم بطريقتها، لكنها أخفقت ومزقت الرسوم أكثر من مرة.. لم أدر ما السبب.

في أواخر أيامها كانت ترسم في سريرها بالباستيل، فتصور مشاعرها وقلقها ومرضها وهواجسها، فجاءت كل لوحاتها الأخيرة من فراش المرض، خطوطًا بوهيمية مختلطة، وألوانًا صاخبة محتشدة ومتخبطة، ووجوهًا غريبة بين الشكل الآدمي والحيواني. كانت هكذا آخر لوحاتها مبهمة مخيفة غامضة.

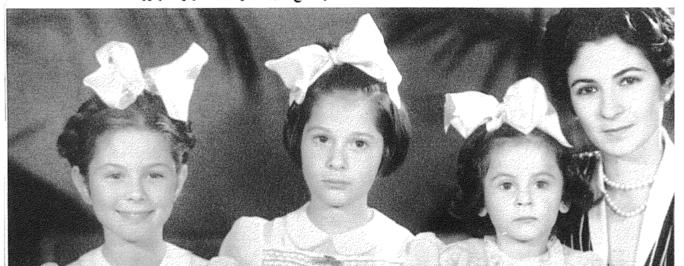
بناتها

أحب بناتها إليها فادية كانت تقول: إنها الوحيدة التي يمكنني التفاهم معها أما فريال فلها عالمها الخاص، وأما فوزية فهي الذكية والعقل المفكر المدبر للجميع، كانت تصطدم بشخصيتها كثيرًا.

وأحب أحفادها كان «ساشا» أو «علي» ابن فادية الأصغر، وهو لازال على اتصال بي، أما فوزية فكانت تتصل بي دائمًا حتى وفاتها، لتعرف منِّي الأخبار وتسأل وتدقق ماذا يقول الناس عن الأسرة المالكة، وما هي الأخبار، والشلل يسري في جسمها حتى قالت لي يومًا لم يبق لي إلَّا السمع..



الملكة فريدة مع بناتها الأميرات فادية وفريال وفوزية





وبدأت رحلة المرض

ذات صباح وبعد عودتها مساء الليلة السابقة من الأقصر، بعد مشاهدة أوبرا عايدة حادثتها هاتفيًا، وإذ بصوتها متهدج وضعيف، وهي تشكو من ارتفاع كبير في درجة حرارتها، فجأة بعد إجراء التحاليل في مستشفى القوات المسلحة بالمعادي، وجدت بالتقرير كلمة (لوكيميا الدم) وارتعدتُ ولم أصدق، أخفيتُ عنها الأوراق واقترحتُ أن نعيد التحاليل في مستشفى مسجد الدكتور مصطفى محمود، وهناك واجهنا الحقيقة المرة، وتأكدنا من وجود المرض وصارحوها بلطف شديد بأن ما لديها ليس مما يخشى منه، إنما هو نوع غير خبيث ويمكن أن تعيش به فترات طويلة ويمكن علاجه أيضًا، وأخذتها فورًا لأدخلها مستشفى الصفا، وأعادت الدكتورة مؤمنة كامل التحليلات ثم طلبت ثمنًا باهظًا لعملها واعترضت حرم الدكتور طلعت صاحب المستشفى، ثم بدأوا يحاسبونني على العلاج ولم أعترض بالطبع.

لكن في المساء التقيت بزوجة الدكتور عاطف صدقي (في حفلة مقامة لموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب بمناسبة حصوله على الأسطوانة البلاتينية) وأخبرتها بما حدث، وفي اليوم التالي اتصل بنا المسئولون ليبلغونا قرار الحكومة بصرف نفقات العلاج، وكان موقفًا إنسانيًا جميلاً، والمندوب يناقش مسئولي المستشفى وكل منهما يصر على دفع نفقات العلاج!

وجاءت الدكتورة مؤمنة وتنازلت عن أتعابها، واعتذرت وبدأ علاجها على يد الدكتور ياسين عبد الغفار، الذي طلب مني أيضًا - حسب ما رأى - أنها بحاجة إلى طبيب نفسي، واختار الدكتور عادل صادق الذي بادر بمباشرة علاجها فور اتصالي به.

د. لوتس عبد الكريم والملكة فريدة في احتفال افتتاح أحد المعارض التشكيلية التي كان ينظمها الدكتور حسن رجب





الملكة فريدة وسط عدد من اللواتي جئن لمشاهدة أحد معارضها التشكيلية

كما أخبرتني باحتياجها لطبيب أمراض نساء، فأحضرت لها الدكتور محمود المناوي، والذي نصحنا بأن نبادر بتسهيل سفرها إلى فرنسا بباريس لتعالج في مستشفى متخصص في السرطان، وهي (جوستاف روسي).. وقام وزير الصحة بتسهيل سفرها للعلاج بتكليف من الدولة، وتمت الموافقة على السفر إلى باريس سريعًا، لتعالج في معهد الأورام العالمي المعروف هناك (جوستاف روسي) ثم طلبت لها الدكتورة نعمات فؤاد جواز سفر دبلوماسيًّا للمرة الأولى لتسهيل تحركاتها، قالت الدكتورة نعمات للمسئولين: (أرجوكم أريد أن تعامل كملكة لا تجريح ولا تنويه للصحف بهذه المصاريف مراعاة لشعورها فالدولة مدينة لها).

وبالطبع لم يحدث هذا وعلم الجميع بما حدث لها، وكتبت كل الصحف أن الدولة تساعد فريدة، ولم يقل أحد أبدًا إن الدولة مدينة بكل ما سلبت من فريدة بغير وجه حق، سافرت معها ليلى زوجة شقيقها سعيد كمرافق.

وسمعت الأخبار.. لم يرحها العلاج في باريس بهذا المعهد، وشكت من غلظة الأطباء به، وفظاظة سلوكهم، وبشاعة منظر المرضى في الممرات وهم في مرحلة متأخرة مما أضعف روحها المعنوية بالإضافة إلى سوء سبل العلاج.



وفهمت أنه طبعها. التدخل في كل صغيرة وكبيرة، سواء الحقن أو الأدوية، ومحاولة فهم كل ما يحدث وكل شيء عن المرض بالتفصيل، ولأن لديها فكرة واسعة عن الطب والتطبيب لم تستهوها العقاقير ولا طريقة العلاج. ثم طلب لها عمل نقل دم فرفضت خشية الإصابة بالإيدز. ثم طلبت السفر إلى ڤيينا وتحويل مصاريفها إلى هناك، حيث سمعت عن طبيب عجوز يعالج هذا المرض بالأعشاب. وكانت من أنصار العلاج الطبيعي. كان هناك السفير محمد شاكر وزوجته منى اللذين اهتما بها وأخذا يرسلان لها الأعشاب إلى مصر.

بعد أسابيع قليلة عادت إلى مصر، ومعها مجموعة كبيرة من عقاقير الأعشاب والأدوية الطبيعية، وخطابات من الأطباء بالخارج إلى الدكتورة نازلي جاد المولى، أستاذة الأورام في مصر – لمتابعة علاجها – وبدأت عمليات التحليل كل أسبوع بعد تناول الأدوية مع منقوع الأعشاب، الذي تسير به أينما ذهبت في (ترموس)، مع عصير المقدونس المغلي، وكانت تعتقد – على خلاف كلام الأطباء – أنها تتحسَّن كثيرًا على تلك الطريقة، وأنها أصبحت (زي البمب)، ولكنني أحضرت لها الدكتور زكريا الباز، والذي قرر أن العلاج بالأعشاب تخريف ولن يفيدها أبدًا، لكنها لم تأبه لكلامه وسافرت إلى تركيا للاستجمام.

حينما عادت إلى القاهرة بدأت تعاودها نوبات الإرهاق الشديد، ثم تحدد خروجها كثيرًا وأحيانًا كانت تثور (سأخرج وأتغلَّب على المرض).

تتحدث لكنها كانت تضعف وتتهاوى وتنهار بالتدريج. أقصى ما كنا نفعله هو الذهاب بالسيارة إلى المقطم معظم الأمسيات لاستنشاق الهواء النقي.. وقلَّت زيارتها إلى المرسم، ولم تعد تأتي كل صباح كعادتها، وفي الأيام قبل الأخيرة كان الخدم يحملونها على كرسي حتى الدور الثاني لتمارس هوايتها.

الملكة فريدة خلال إقامتها الباريسية



وأحيانًا تتناول الغداء بجوار لوحاتها.

وازداد ضعفها، فأكدت الدكتورة نازلي ضرورة عملية نقل دم لها، وأصرَّت الملكة على استكمال علاجها بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي، وكان لها ذلك، في اليوم المحدد لعملية نقل الدم، ذهبت معها ومعنا خادمة وممرضة متخصصة، ومكثنا بالغرفة المحجوزة لها يومًا كاملاً، حتى تمت عملية نقل أكثر من لترين من الدَّم. كانت تبدو مرحة وتضحك قائلة: (إن هذا دم العساكر فلابد أن تنتقل إلي قوتهم). وهكذا رتَّب لها القدر بداية الكارثة، فقد كانت تخاف عملية نقل الدم خارج مصر لكيلا تصاب بالإيدز ولكن كان ينتظرها إيدز من نوع آخر.

وتحسَّنت حالتها وعادت تعيش حياتها الطبيعية لأكثر من شهر، ثم أخبرتني ذات صباح باعتزامها السفر إلى أمريكا، بدعوة من العالم المصري الدكتور فاروق الباز في بوسطن لافتتاح معرض توت عنخ آمون.

وفي أمريكا دخلت أحد المستشفيات لإجراء بعض التحاليل من باب الاحتياط.. فاكتشفوا أن لديها مرض الكبد الوبائي، بسبب عملية نقل الدم وحادثتني تليفونيًّا من منزل الدكتور الباز بلهجة عادية جدًّا لتخبرني بالأمر (وجدوا عندي هيباتايتز)، وأصابني الذعر والحزن الشديد، وسهلت لها مع زوجي الدخول إلى أحد المستشفيات الأمريكية التي يتعامل معها بحكم عمله، واتصلوا بنا من هناك بأنه لا علاج لها ويجب عودتها. ثم علمت بطريقتي من المستشفى الأمريكي هناك بأنه لا علاج لها وأنهم أشاروا إليها بالعودة إلى مصر، لأن حالتها ميئوس منها تمامًا. وعادت.

وراعني ما علا وجهها من اصفرار عجيب، ثم بدأت جولة الأطباء وإجراء التحاليل بين يوم وآخر،

الملكة فريدة في إحدى المناسبات في جنيف



وحالتها في تدهور مستمر، حتى كان ذات مساء في وقت متأخر حادثتني سامية (التي تعتبر نفسها سكرتيرتها بالمنزل ومسئولة عن نظامها) تليفونيًا قائلة: أرجوك الحضور فورًا لأن الحالة تزداد سوءًا.

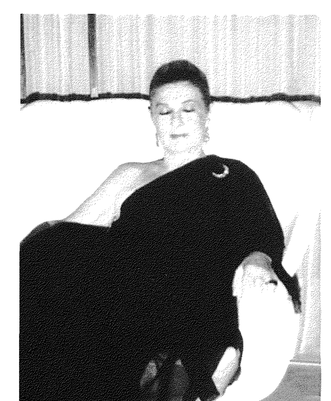
وذهبت على الفور حيث وجدتها في حالة لا يجدي معها المكوث دقيقة واحدة بالمنزل. بسرعة رتبت كل إجراءات الانتقال إلى المستشفى حسب أوامر الدكتور ياسين عبد الغفار أستاذ الكبد حيث يعمل.

في اليوم التالي أخذتها في سيارتي، وهي تتكوم في حجري كطفل صغير، نصف فاقدة للوعي، وقد علاها الشحوب والاصفرار الشديدين، حتى ظننت أننا لن نصل إلى المستشفى. ولكن لعجبي الشديد بعد استقرارها هناك بأيام تحسَّنت حالتها تحسُّنًا ملحوظًا، بعد عناية فائقة وبذل مجهود غير عادي من الأستاذ الدكتور ياسين عبد الغفار ومساعديه، وبقية الممرضات وإدارة مستشفى الصفا بالمهندسين، وحضر شقيقها سعيد وزوجته من الإسكندرية، ثم شقيقها شريف وبقية أقاربها لرؤيتها.

مع تحسنها بدأت تتحدث بطلاقة، وتطلب منِّي تنفيذ أشياء كثيرة، وكانت تخشى علي من العدوى، وتأمرني بالابتعاد عن الفراش (المليء بالميكروبات) بتعبيرها وغسل يدي بماء الكولونيا، لكن الله كان يحفظ كل من ساعد هذه الإنسانة سيئة الحظ.

كنت ألحظ تحسُّنها بسرعة مذهلة، لانتظامها بدقة في تنفيذ أوامر الأطباء، حتى أنني زرتها ذات صباح، فوجدتها تتألق وتتوهج بجمال غير عادي، وكأنها عادت سنوات إلى الوراء، هادئة تبتسم في خفر، كأنها طفلة. وأحسست بخطر غامض، وقالت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد: إنه توهج الشمعة قبل أن تنطفئ .. وقال الدكتور ياسين عبد الغفار لشقيقها شريف نحن الآن في عرض البحر وسط الأمواج، والله وحده بيده اللطف، فوظائف الكبد تتعطل يومًا بعد يوم كما تشير التحليلات.

بعد أيام بدأت تتلعثم وتردد كلامًا غير مفهوم، فجأة أمر الدكتور ياسين بإبعاد كل المنومات والمهدئات، التي اعتادت تناولها، موضحًا أن ذلك هو بداية الغيبوبة الكبدية، وكان صارمًا في أوامره مما أثار جنونها، ورفضت أن تعامل كطفلة، يمنع عنها الدواء الذي اعتادته كل سني حياتها، وجاء طبيب نفسي لعلاجها لكنها ثارت ثورة عارمة، وأصرَّت على مغادرة المستشفى وفشل الجميع في محاولة إقناعها



صورة نادرة لم تُنْشَر من قبل للملكة فريدة ، وهي في لحظات تجلٍّ وإشراق ، حيث يستعيد الجسد بهاءه وتسترجع الروح عالمها الغامض السري



بالعدول فتركوها.

لقد ظنت أنها شفيت فسافرت إلى سويسرا لرؤية بناتها وأحفادها. وقالت لي: لن أحضر قبل شهر أكتوبر، وقد كان. وهناك حدث ما هو متوقع فانهارت مرة أخرى وأدخلوها المستشفى طوال أشهر الصيف، وكانت سفرة الوداع، حين وصلت إلى القاهرة كانت في النزع الأخير.

ترقدين في سلام

باقة من الزهور البديعة التي أحببتها في حياتك.. الفل الأبيض، عصفور الجنة، القرنفل والريحان.. أحتضنها وأنا أدفع الباب الحديدي العريض إلى الحديقة الصامتة بصبارها الملتف كأعناق الثعابين، وأشجارها الضخمة تظلِّل الساكنين، والشواهد البيضاء القائمة في مهابة ووقار، والغراب ينعق والعصافير تزقزق، والصمت، الصمت الرهيب ولا أحد هناك سواي وأنت ترقدين في سلام وأمان.

وهكذا أسدل الستار على ملحمة من المجد والأبهة، من الفن والعشق والجمال، من الحياة الحافلة الملأى بشتى المتناقضات، أخيرًا.. من المرض والمعاناة والكفاح المرير.

أقترب من موضعك وأضع الزهور فوق مرقدك، وأنادي على الحفار، يحضر لي كثيرًا من السعف وكثيرًا من الماء، حتى لا تذبل الورود سريعًا، وتؤنسك في وحدتك، وتختلط رائحة الفل برطوبة الفناء، فأقرأ لك قليلاً من القرآن، وتنساب دموعي.

ترى أين أنت منِّي الآن؟ هل رأيتني؟ وسمعتني؟! أوحشتني يا صديقتي.. أوحشتني كثيرًا.



الأميرات (من الشمال) فريال وفوزية وفادية بالأسود بعد وفاة أمهن الملكة فريدة



الملك أَحْمَد فُؤَاد (ابن الملك فاروق والملكة ناريمان) يلقي النظرة الأخيرة على جثمان الملكة فريدة



لقاء الأحباب والذكريات بعد رحيلها

حين يغيب في أحشاء الزمن وجه اعتدت الالتصاق به لسنوات في حياتك. وحين تتأكد من أنه قد أصبح في عداد الذكريات التي حفل بها العمر. وانزوت في أركان النسيان. يعود الوجه مرةً أخرى بقوة إلى خيالك. في مناسبات وأوقات معينة. ويتوالى بشدة وبتداعي المعاني كل ما ارتبط بهذا الوجه من حكايات وصور وروايات.

من ألمانيا مع طيف فريدة

تقلني الطائرة إلى جينيف. للمرة الأولى أزور الأراضي السويسرية بدافع شخصي. فأنا ذاهبة لزيارة بنات الملكة فريدة بعد غيبة ثلاث سنوات. فريدة مصر. وجهها لا يفارقني منذ حجزت تذكرة السفر



د. لوتس عبد الكريم أثناء تناول الغداء في مدينة لوزان السويسرية حيث تجلس فادية ثم المؤلفة ثم فريال ثم ساشا وله اسمان آخران ألكسندر وعلي وهو ابن الأميرة فادية من زوجها الأمير الروسي بيير أورلوف ثم ياسمين ابنة الأميرة فريال ثم الأمير بيير أورلوف



من ألمانيا، بل إنها بادرتني بالزيارة في المنام، حلمت بها ليلة السفر، كانت متوردة الوجه جميلة تبتسم وتحتضن حفيدها الأصغر والأحب إليها «ساشا» أو علي، ابن فادية ابنتها الصغرى، ولا أدري أحقيقة يحس الموتى بأفعال الأحياء فتأتي رسائلهم ورغباتهم عبر الأحلام؟

أم هو العقل الباطن يختزن الصور، فيترجم رغبات العقل الواعي؟! هل يشعر الموتى ويردون ويزورون؟ هكذا رأيتها قبل السفر.

لم تحادثني ولكنها كانت تبتسم في مرح وتألق، وكأنها مبتهجة لكوني لازلت أذكرها، وأقوم عنها بزيارة أحب الناس إليها، انتابني الخوف ووجهها يزداد التصاقًا بي في كل خطوة أخطوها، وأنا أسمع صوتها والطائرة تقترب من موعد الأحباء، أطل من النافذة، يعم الفضاء كله محيط من مياه البحيرة العظيمة، تحيط بها الخضرة فتجدد الأفق وتفصل بين الماء والسماء، قصور بيضاء تتناثر في قلب المحيط الأخضر على الشاطئ، ثم أبعد .. فأبعد.

سويسرا بلد الأغنياء، في بنوكها وقصورها يستقرون في أمان لأن السرية تامة والرعاية كاملة.

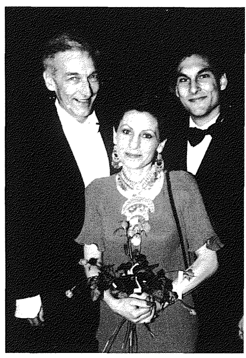
إلى لوزان

ما كل هذا البهاء، والأناقة والنظافة بمطار جنيف؟ وجوه المسافرين إلى جنيف تحمل طابعًا يختلف عن وجوه المتجهين إلى ألمانيا أو فرنسا أو إنجلترا، فكأني ألمس عليها مظاهر الرخاء والرفاهية، اتجهت إلى شباك تذاكر القطار الذاهب إلى لوزان، أفضل دائمًا ركوب القطار في هذه المناطق الجميلة لأستمتع أكثر، لكن يقترب مني شخصان: شاب ورجل، متشابهان جدًّا رغم فارق السن بينهما، والشيب الخفيف الذي يغزو شعر أكبرهما، لكن تقاطيع الوجه والسمات الواحدة تنبئ بأنهما أخوان.. عرفتهما، الصغير أعرفه جيِّدًا إنه «ساشا» ابن فادية الأصغر، والأكبر والده (بيير أورلوف) ولم أكن رأيته من قبل، جاوز الأربعين ويبدو أصغر مما توقعت.



الدكتورة لوتس عبد الكريم والأميرة فريال الابنة الكبرى للملكة فريدة والملك فاروق بشقة المؤلفة على نيل المعادي عام 2009 في احتفال أقامته لها د. لوتس





الأميرة فادية وزوجها الأمير بيير أورلوف وابنهما ساشا

كانا يعرفان موعد وصولي، لكني لم أتوقع وجودهما بالمطار لاستقبالي، وأثار اللقاء في ثلاثتنا مشاعر شتى متباينة، أثرت الحوار الدائر بيننا أثناء الطريق بالسيارة، ومضيت أتأمل ذلك الروسي القادم من الشمال، ليحمل على جناحه أميرة مصرية قادمة من أراضي النيل الخضراء، ذات جذور ملكية أرستقراطية ونشأة أوروبية لعبت بها الظروف والأحداث ما شاء لها اللعب والتقلب.

هو أيضًا ينحدر من أسرة عريقة، ينتمي أفرادها إلى الحكم السابق على الشيوعية في روسيا، وكان قد وصل لتوه من سفرة طويلة في روسيا. فقد أرسل المسئولون في طلبه حين راحوا يبحثون عن أبناء الأسر الكبيرة القديمة، لتسهم بنصيب في الوظائف المهمة والعمل المستقبلي، كان سعيدًا وهو يقص عليّ أحداث الحياة الجديدة في روسيا، معتزًا بشرف انتمائه إلى الملكة المصرية فريدة، والتي يحتفظ بصورتها في محفظة في صدره على الدوام.

نبيل روسي متعصب لبلاده، للنظام الذي يكفل الراحة والسعادة للجميع، كل حركة وكل لفظ يصدر عنه ينبئ عن الأصالة والذوق الرفيع، فيلهجته الفرنسية الرائقة لكنة أرستقراطية، في هدوئه وحواره أناقة تقربه من كل من يحادثه.

لاشك في جدارته بالمكانة التي كانت له عند الملكة والدة زوجته، والتي طالما حدثتني عن اعتزازها به، حتى إنها كانت تفضله أحيانًا على بناتها، وكان موضع ثقتها وأسرارها.

جنة الله وعصافيرها

الطريق من جينيف إلى لوزان يسبح في الخضرة والجمال، سبحان الله الذي خلق فأبدع، أينما تلفت حولي لا أجد ما أقوله سوى الله .. الله..

سويسرا هي جنة الله في أرضه، على ضفاف بحيرة ليمان تناولنا الغداء في أحد الفنادق العديدة القائمة على الطريق، أتيت مرارًا ومنذ سنوات عديدة إلى هذا المكان ولكني أبدًا أجده يتغير ويتشكل بألوان الجمال الذي يفترشه، وأثناء الغداء كانت العصافير تأكل معنا.

هل صادفت عصفورًا يقف هكذا بين يديك، تطرده فلا يطير، بل يسير في طمأنينة آخذة ليأكل



من سَبَت الخبز الذي تأكل منه. ويواجه عينيك اللتين تتأملان ريشه ومنقاره وجناحيه وألوانه العديدة المتناسقة، ثم يأتي عصفور آخر على حافة المقعد وثالث تحت رجليك.. وتحتفل العصافير بقدومك في طابور بهيج يزف الألفة والمشاركة والحب. إنها العصافير السويسرية.. عصافير الجنة.

ونكمل الطريق

البط والطيور البرمائية تحط فوق المياه، وترفرف في جذل وسعادة، ويتوقف "ساشا" في أحد المنعطفات على البحيرة صائحًا: أرجو النزول دقيقة واحدة وإلقاء نظرة على الكازينو. فاليوم تقيم الأوركسترا احتفالاً بمناسبة بعض الأعياد، وما أكثر أعياد الفرح في أوروبا.

وننزل لنشاهد الفرق الموسيقية داخل القصر، وهي تعزف وترقص مرتدية زيًّا هو بين الأبيض والأحمر والكحلي مثل علم سويسرا، نتابع السير في طريق مونترو.. يا للروعة والمهابة والجلال، الذي يكتنف الجبال القائمة فوق مياه البحيرة، جبال الألب الشاهقة تنحدر فوقها الثلوج البيضاء فتبدو كالحليب المنسكب على رءوسها، على يسارنا الورود والأشجار تحتضن المنازل والقصور الصغيرة المتناثرة هنا وهناك.



د.لوتس عبد الكريم والأميرة فريال في منزل الأخيرة الريفي بلوزان في سويسرا



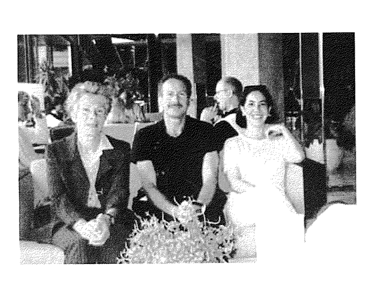
أبدًا لم اجد عمارةً شاهقةً، أو بناءً ضخمًا يزاحم الجمال ويلوثه، أو يحجب الهواء ومياه البحيرة، بل الجمال ينبسط في عرض الأفق وطوله، فينثر الإحساس بالراحة والهدوء.

لاحظت أن الشاطىء محدد بسور منخفض من الأزاهير والرياحين، والخضرة المنسقة في أشكال هندسية بديعة، وفى بعض الأماكن توجد حواجز قصيرة من المشغولات الحديدية المطرزة كالدانتيل الرقيق، لم أجد سورًا من الأسمنت القبيح، ولا سدًّا قائمًا يحول بين عيني وبين المياه، وبين الجمال.. ثم .. في منطقة أخرى.. يتحول لون الجبال إلى اللون الأسود الداكن، وينعكس ذلك على المياه الزرقاء، فيسود الكحلي لونًا فريدًا خلال السطح الرائق المجعد غريب اللون للمياه، كنت أرسل بصري طوال الطريق في تسبيحة .. طويلة، وشهقات متصلة مأخوذة بإحساس عميق نادر، الله .. الله. لاشك أن الله يسكن تلك المناطق لفرط الجمال والانسجام.

لوحة ربانية نادرة

نتابع السير، ترتفع بنا السيارة.. وترتفع، نعتلي الهضاب فنقطع السهول والحقول الشاسعة، لا أحد، لا سكن سوى الأبقار المنتشرة بأجراسها تصلصل وتخور في الفضاء العريض.. أراني أمام لوحة أخرى ربانية نادرة، أتوقف لأشبع عيني وقلبي بالجمال، وصلنا، وسط هذا الفضاء الشاسع والحقول المترامية، منزل خشبي صغير مثلث السطح، حوله سور خشبي وأبنية خاصة بالخيل، فأصحاب المكان كانت لديهم خيول بيعت قبل فترة وجيزة، والسكن كله كأنه سكن للخيل، دخلت وصعدت على سلم خشبي قصير إلى الدور الأعلى، حيث بعض الغرف البسيطة التي تخص هؤلاء السكان القائمين على خدمة الخيل.

كانت هذه هواية بيير أورلوف منذ تزوج بالأميرة فادية ابنة فريدة وفاروق، وتربَّى ولداهما في أحضان الخيل، ويقال إن هذه الهواية جلبت الشؤم على الأسرة إذ أصيب أورلوف برضوض



الملك أحمد فؤاد مع أخته الأميرة فريال



أثّرت على العمود الفقري، إثر سقطة من على ظهر الحصان. أقعدته سنوات طويلة عن العمل، وكانت فادية هي التي تعمل وتعول الأسرة حتى كبر الأولاد، حيث كانت تشتغل مرشدةً سياحيةً ومترجمةً لساعات طويلة من اليوم.

لقاء الأحباب والذكريات

استقبلتني فادية والأخت الكبرى فريال وابنتها ياسمين بالترحاب. جلست أتأمل المكان، هذا الفوتيل الكبير بالركن كان المفضل للملكة الأم، كانت تجلس عليه الساعات تتأمل من هذه النافذة، صورة ضخمة للملك فاروق فوق الكرسي، مكتب منخفض عليه أوراق مكدسة وأباجورة أثرية.

في المكان كثير من التحف القديمة بلا نظام، صناديق على الأرض ملأى. نظرت إلى فادية قائلة: إننا نستعد لبيع المنزل والذهاب إلى جينيف، لأن شامل الابن الأكبر بدأ يعمل في جينيف (في الصحة العالمية) مع شركاء مصريين، و«ساشا» يوشك أيضًا على العمل، والأب بين روسيا وسويسرا، فماذا أفعل وحدي هنا؟

إنه لمكان مخيف فعلاً أن يسكن فرد واحد هذا الفضاء الشاسع، كيف أحبته الملكة فريدة وكانت تؤثره على جميع الأمكنة؟ فادية كانت في أحسن حالاتها، أما فريال فكانت متوترة مرهقة، وتبدو أكبر من عمرها بسنوات، حزينة لأن ابنتها الوحيدة ياسمين قررت أن تسافر وتعيش بمصر، وتعمل في هندسة الكمبيوتر بالفنادق.

قلت لها لماذا لا تأتين معها؟ أجابتني مستنكرة: أنا لا أستطيع مغادرة بيتي الصغير الذي اعتدته أبدًا.

تعيشين وحيدة؟

لا .. مع كلابي وقططي وببغائي.

والعمل؟

منحت نفسي إجازة، لديَّ دخل بسيط يكفيني، فأنا لا مصاريف لي، وَشَرَدَتْ..



ياسمين حفيدة الملكة فريدة وابنة الأميرة فريال



لقد كافحت طويلًا، وعملت بيديها أعمالاً لا تتفق ونشأتها، مات والد ابنتها منذ زمن طويل، وارتبطت بآخر انتحر منذ سنوات، عصبيتها وخطوط الزمن بوجهها تقول إنها ذاقت الأمرَّين.

حنين للوطن البعيد

قلت لياسمين.. الحياة في مصر ليست مثلها في سويسرا، خصوصًا لفتاة صغيرة وجميلة، وحفيدة الملك فاروق، ستلاحقك وسائل الإعلام وربما الفضوليون من غير المصريين، فيجب الاحتراس الشديد، قالت لي فريال: إنها شخصية مستقلة ويجب أن تجرِّب حظها.

سألت عن فوزية الأميرة الوسطى، المرض ازداد بها حتى أصبحت في حالة لا يمكن أن تطلع عليها أحدًا، اكتفيت بمحادثتها تليفونيًّا، لا تزال - رغم المرض - على ذكائها واهتمامها الشديد بكل ما يُقال عن الأسرة في مصر، وماذا كتبت الصحف عن أمها، وكيف يتحدثون عن مذكراتها، ويجب حسم هذا الموضوع سريعًا وبشدة، واللجوء إلى القضاء، وطمأنتها إلى تفهم رؤساء تحرير الصحف هذه الحقيقة، وأنه لن تكون هناك أية إساءة إلى الملكة فريدة، قالت لي: إن الشلل أصاب كل جسدها، وهي تتحرك على كرسي بمشقة، وتقضي معظم الوقت بالفراش، وحتى القراءة حُرمت منها لأنها أصيبت بالعمى، ومصدر الحياة لها الآن هو السمع، تسمع كل إذاعات العالم، الصبر بلا حدود رفيق هذه المسكينة التي عاشت في مأساة منذ سنين طويلة، وقد كانت والدتها تتوقع لها الموت منذ زمن طويل، لكنها إرادة الله.

وانقضى وقت مثير، ولا أقول ممتعًا، لأنه مثقل بالهموم ومشحون بالجراح، الحوار.. الأحزان.. الأحداث.. الذكريات.

كما قاست تلك الملكة المسكينة، وكم تعذبت بناتها في الغربة، وكافحن الكفاح المرير، حتى ترك الزمان بصمات قاتلة في حياة كل منهن، لماذا؟ وماذا جنين حتى حل بهن كل هذا الانتقام؟

هكذا تنقضي السنوات وينقشع التاريخ تاركًا جزءًا منه، يقبع مع تاج وعرش ومجد وثراء — كان — مكومًا في صناديق، وعلب كرتون، وأكياس تقطن غرفة مظلمة في كوخ خشبي صغير، يتأرجح وحيدًا في العراء، بين السهول والجبال والوديان، في بقعة من بقاع الله، وموطن من مواطن الجمال، قطعة من تاريخ مصر طواها الزمن وعلاها النسيان.



رحلة العودة

في العودة كنت أشعر بالراحة والامتلاء، وفي قلبي المزيد من الوفاء لذكراها. تلك التي تركت في حياتي وطريقي آثارًا لا تزول، أتزود منها وأرتوي كلما اعتراني الملل، واستبد بي الشوق، وعصفت بي اللهفة، وأضناني السير في خلوات موحشة، وزاد حنيني إلى الصدق والصراحة والنظافة والقيم العالية، حنيني إلى لقائها في دروب الفن الأصيل والحقيقة والجمال.

في مطار جينيف ودعني حفيدها الثاني شامل أورلوف. لقد انتهى من دراسته في أعلى كلية اقتصاد بسويسرا، وأكمل دراساته بجامعة نيويورك، في الثالثة والعشرين من عمره، يتكلم خمس لغات، ويحاول تعلُّم العربية. ولديه الأمل في أن يعمل في الاقتصاد العربي، ويحنُّ حنينًا بالغًا للإقامة بمصر، هؤلاء هم أحفاد الملك فاروق والملكة فريدة. باقة من الورود والحب والإخلاص في ذكراها الغالية، فريدة مصر بكل الصدق والحقيقة.

المولد والنشأة

في اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة 1921م وفي قصر محمد سعيد والد الفنان محمد يوسف، بمنطقة جناكليس برمل الإسكندرية، رزقت السيدة زينب ذو الفقار حرم يوسف ذو الفقار، بطفلة بديعة التكوين، هي أول ما رزق الله هذين الزوجين الكريمين من ذرية، فأطلقا عليها اسمًا تركيًا جميلاً كما كانت عادة الأسر العريقة هي: (صافي ناز – أي الدلال المحصَّن).

ويرجع نسب الملكة فريدة إلى أصول تركية، فقد جاء جدها لوالدها إلى مصر من تركيا وعمره سبع سنوات، رباه محمد علي وأدخله الجيش فأظهر مواهبه العسكرية خلال فتوحات إبراهيم باشا. وتولى عام 1854 قيادة الجيش المصري لمساعدة تركيا في الحرب الروسية التركية، وَسُمِّي ذو الفقار نسبةً إلى سيفه.

وقد انتقل هذا اللقب إلى أسرته، فحمله نجله «علي» جد الملكة فريدة، علي ذو الفقار، الذي صار محافظًا للقاهرة وأنجب ثلاثة أنجال وكريمتين، منهم والد الملكة فريدة الذي تدرَّج في مناصب القضاء، حتى اختير مستشارًا في محكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية.

أما والدة الملكة فريدة فهي السيدة زينب ذو الفقار، كريمة المغفور له محمد سعيد باشا، الذي رأس الوزارة المصرية غير مرة، واشترك للمرة الأخيرة في وزارة المغفور له سعد زغلول، الذي وجد في الرجل أحد الساسة المصريين المشهود لهم بالذكاء وبُعد النظر والتبصُّر بعواقب الأمور.



شجرة أسرة ذو الفقار

جلالة الملكة فريدة

شريف ذو الفقار

سعيد ذو الفقار

سعادة يوسف ذو الفقار باشا وحرمه زينب هانم

سعيد بك ذو الفقار

محمد بك ذو الفقار

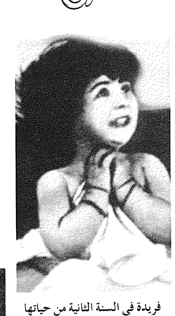
سعادة علي باشا ذو الفقار وحرمه عزيزه هانم

المرحوم يوسف بك رسمي

تبتدئ الشجرة بالمرحوم يوسف بك رسمي والد سعادة علي باشا ذو الفقار الذى تزوّج عزيزة هانم كريمة المرحوم محمد مقبل باشا. وأنجب هذا الزواج سعادة يوسف باشا ذو الفقار الذى تزوّج السيدة الجليلة زينب هانم كريمة المرحوم محمد باشا سعيد. وصاحبي العزّة محمد بك وسعيد بك ذو الفقار وتمتد الشجرة بعد ذلك إذ أنجب زواج يوسف باشا جلالة الملكة فريدة وشقيقها سعيد وشريف ذو الفقار.









فريدة واقفة إلى جوار والدتها وهي في سن الثالثة وقد حملت الوالدة الشقيقة

فريدة في السنة الثانية من حياتها السعيدة تنظر في ابتهاج إلى الطفولة ومرحها







الملكة فريدة في مراحل سنية مختلفة من عمرها

الملكة فريدة مع الملكة نازلي والدة الملك فاروق زوجها



وللملكة فريدة أخوان هما سعيد وشريف ذو الفقار، هكذا.. لم تكن فريدة - قبل زواجها - من أميرات البيت المالك، ورَاقَ لأوساط القصر وصفها – إبان الزواج من الملك – بأنها من صميم الشعب، رغم أنها كانت من أرستقراطيات مصر آنذاك.

مادمنا تطرقنا إلى الصورة التي أشاعها القصر لها، إبان الزواج من الملك، فلا بأس من أن نقتطف سطورًا من التعريف الذي قدَّمه القصر للشعب يومها:

«وقد جُبِلَتْ جلالة الملكة منذ حداثتها، على الميل إلى البساطة التامة في ثيابها وزينتها، فلم تكن ترتدي إلَّا ما هو أقرب إلى الحشمة بعيدًا عن الكلفة، ولهذا فإن معظم فساتينها طويلة الأكمام تغطي الصدر حتى الرقبة، وفضلاً عن ذلك فهي لا تميل إلى استعمال المساحيق وأدوات الزينة، وكان مأثورًا عن جلالتها في عهد التلمذة أنها مُقِلَّة في اختيار الصديقات، لا تميل إلى الاختلاط كثيرًا..» والمهم أن الملكة فريدة تلقت دروسها في «نوتردام دسيون» بالإسكندرية، وانتظمت في سلك التعليم ثماني سنوات، فأتقنت اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ولما لاحظ والدها حاجتها إلى الاستزادة في اللغة العربية، أحضر لها مدرسًا خاصًا، وكان يعطيها – علاوة على ذلك – دروسًا في اللغة العربية والدين، بحضور من كن يذاكرن معها من زميلاتها وصديقاتها.

ومن المصادفات التي شاعت عن فريدة، أنها انتخبت وهي في المدرسة لتمثيل دور إحدى الملكات في حفل من الحفلات.

وذات أمسية من شهر أغسطس 1937 – وكان الملك فاروق في مصيفه بالإسكندرية- قصد بسيارته الخاصة سراي يوسف ذو الفقار، وحدث ذلك فجأة، ودون إخطار سابق، فلم يجد بالمنزل إلَّا كريمة رب البيت الآنسة «صافي ناز» ذات الخمسة عشر ربيعًا، لأن والدها كان قد سافر إلى بورسعيد، ليبحر منها إلى لبنان، وكانت السيدة والدتها قد ذهبت إلى سراي شريف صبري باشا لتقضي سهرتها مع أسرته، وما إن استقر المقام بالملك حتى راح يسأل الآنسة «صافي ناز» إن كانت تقبله زوجًا لها؟ وكانت مفاجأة سارة لم تملك الفتاة إزاءها إلَّا أن تحني رأسها وتتمتم في صوت حبسه الخجل والسرور: «هذا شرف عظيم يا مولاي».. وعندئذ صحبها الملك في سيارته إلى سراي خاله، حيث أفضى إلى والدتها بما كان بينه وبين صافي ناز، فطفرت من عينيها دمعة الفرح وقالت لجلالته: «تلك نعمة من الله وشرف كبير».

وقصد الثلاثة بعد ذلك إلى سراي المنتزه، حيث زف نبأ خطبته إلى والدته الملكة نازلي وقدم لها خطيبته.

لم تكن الخطبة مفاجأة، فقد كان الملك يعرف صافي ناز منذ زمن، ذلك أن زينب ذو الفقار والدتها، كانت كعادة العائلات الأرستقراطية، من وصيفات الملكة نازلي الأم، ولما حان وقت تقديم الابنة حين كبرت إلى العائلة المالكة، طلبت أمها منها أن تلبس أجمل ثيابها، وأن تحرص على إبداء



خصالها الكريمة وعاداتها الأرستقراطية، لأنها ستدخل عالمًا كل شيء فيه محسوباً، ترصد كل وجه جديد فيه آلاف العيون.

ومن يومها دخلت صافي ناز ذات الخمسة عشر ربيعًا دائرة الضوء، فتعرفت إلى الأميرات فوزية وفايزة وفتحية، شقيقات الملك فنسجت الصداقة خيوطها حول قلوب الفتيات.

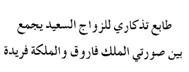
ولعب القدر لعبته حين وقع بصر الملك فاروق على وجهها الملائكي الجديد، بمعنى اسمها (الدلال المحصَّن).

وحين تلاقت العيون خفق قلب صافي ناز، فمن لا يخفق قلبه للملك الصغير الوسيم القوي، ولم تكن الخطبة أمرًا مفاجئًا أيضًا، فقد تعرف الملك إلى فريدة عن قرب، أثناء مرافقتها والسيدة والدتها – بطلب خاص منه – للملكة والملك والأميرات في رحلة كان قد قام بها للتو إلى أوروبا.

كان والد صافي ناز يوسف ذو الفقار، قد سافر كما أسلفنا إلى بورسعيد ليبحر منها إلى لبنان، فطلب الملك إلى خطيبته والسيدة والدتها أن يظل أمر الخطبة سرًّا حتى يفاتح الأب.

وأرسل برقية إلى يوسف ذو الفقار في بورسعيد، يطلب إليه أن يلغي سفره ويعجِّل بالعودة إلى الإسكندرية، فذهبت بالأب الظنون كل مذهب دون أن يخطر بباله أن القدر كتب لكريمته أن تكون ملكة





طابع تذكاري للزواج السعيد يجمع
بين صورتي الملك فاروق والملكة فريدة



صورة لفريدة وفاروق من الزفاف الملكي



على مصر.

ونزولاً على رغبة الملك، تم تغيير اسم صافي ناز إلى اسم عربي. ولما كانت الأسرة الملكية تتفاءل بأن تبدأ أسماء أفرادها بحرف (الفاء) فقد استقر الرأي على اختيار اسم فريدة، لأنه اسم شعبي كما أشاع القصر في حينه.

وتم الزفاف الملكي في 20 من يناير 1938 وكانت مناسبة كشف الشعب فيها عما يكنه للملكين الشابين من حب وود.

كانت ليلة الزفاف ليلة من ليالي ألف ليلة، وقد ازدان بهاء العروس بالثوب الأبيض المزركش بالفضة، والذي صنع خصيصًا لدى أشهر وأغلى مصممة أزياء (وورث) في باريس عاصمة الأناقة، ووصل طول ذيل الثوب خمسة أمتار، وحمله ثمانية أطفال منهم شقيق الملكة شريف ذو الفقار، وحملت العروس في يدها مروحة بيضاء من الريش الأبيض.

بينما كان يتلألأ على رأسها تاج الملك - الماس. وقد بلغ طول الكوشة 32 مترًا من الخشب المغطّى بالحرير الأبيض والأخضر الذي تعلوه فراشات ذهبية.

واستمرت احتفالات مصر كلها بالزواج الملكي أيامًا وليالي. وما إن انتهى العرس حتى وجدت الملكة فريدة أو الحمامة الصغيرة، نفسها داخل القصر الملكي في حياة كلها بذخ وأبهة من الظاهر لكنها تحمل باطنًا شرسًا. ولم تكن ظروفها قد سلحتها بالتحلي بما يناسب هذه الحياة من دهاء وروح شيطانية، كما لم يكن بالإمكان أن يجدي القلب الطاهر المفعم بالأمل ومروحة ريش النعام شيئًا، مع دهاليز القصور وألاعيب الحاشية.

عاشت فريدة رفاهية مادية تذهب بعقل أي إنسان، ولكنها كانت تدفع الثمن غاليًا، فقد عزلت عن الحياة نفسها، ظلت تراقب ما يدور في العالم من خلال حائط عازل يغربل كل خبر قبل أن يصل إليها.

ودارت حياتها في دائرة محسوبة الخطوات والمسافات، وعاشت جوًّا من المؤامرات والدسائس، وتصورت أن في مقدورها تغيير زوجها وتغيير حاشية الفساد، لكنها كانت واهمة، إذ سرعان ما جاء الشيطان الإيطالي «بوللي» ليأخذ زوجها إلى حياة الليل، وبينما كانت تواصل إنجاب البنات، زين للملك مصادقة الراقصات والخليلات، اللاتي انهمك الملك في اجتذابهن إلى جناحه الخاص، بينما تحاول فريدة تبرير تصرفات زوجها بصغر السن، وإغراء وإثارة التجارب الجديدة، وحب استطلاعه الذي لن يلبث أن يخفت.

لم تملك فريدة طويلاً أن تعترض، إذ كان يشيع إحساس بأحقية الملك في أن ينال ما يريد، أليس ملكًا؟ لهذا كانت الملكة تنزوي في جناحها مع بناتها الأميرات: فريال وفوزية وفادية اللاتي أنجبتهن تباعًا، متصورة أنها تحمي بناتها من الفضيحة والعار.

وكثيرًا ما كانت تسمع: «كفى الملكة أن تختال بالتاج على رأسها وتتمتع بالملك»، ولكن هل يعوض الترف والجاه الإحساس بدفء الحياة الأسرية السوية واستقرار العلاقات في جنباتها؟



رفضت طبيعة فريدة الملائكية، التحوُّل إلى شيطان مادي يحول كل شيء إلى حسابات، يحول الحلم إلى رصيد من الذهب، ويقتل في نفسه كل شعور إنساني.

هكذا راحت ثورة عاتية تتفاعل في نفس فريدة، ثورة امرأة مطعونة في الظهر، عليها أن تختار بين مشاعرها وكبريائها كإنسانة، وبين مصلحتها في أن تستمر كملكة، واختارت في النهاية أن تعصم إنسانيتها من العبث.

وتشبثت بطلب الطلاق الذي تم عام *1949*، بعد زواج دام إحدى عشرة سنة، وهكذا خرجت فريدة من القصر وودعت الحاشية والأبهة.

وتضاعفت عواطف الشعب نحو الملكة فريدة، بقدر ما تضاعفت مشاعر الاستنكار لسلوك الملك وأسرته في الأربعينيات، حين كانت المظاهرات تهتف ضد الملك وفساده، وتمزِّق صوره وتدوسها بالأقدام، كما كان صوتها يرتفع أيضًا بما معناه أن فريدة هي رمز الطهارة وليس مكانها في قصر الدعارة.

وكان قد اشتهر عن فريدة، أنها نصير الشعب، خصوصًا المرضى والفقراء، لما دأبت عليه من نشاط اجتماعي منذ الصغر، حيث كان يشيع عنها أنها لا تكف عن حض زميلاتها على الإحسان للفقراء.

وقد واصلت فريدة هذا الدأب بعد اعتلائها العرش، فاستحوذ عليها النشاط الاجتماعي، وعملت على مساعدة المرضى والفقراء، وكثيرًا ما كانت تطالع الناس في ملابسها البيضاء وموكبها يتجه إلى مستشفى قصر العيني، كما كان لها نشاط واسع بين تلميذات المدارس، حيث تكونت جماعات المرشدات (الكشافة).

بعيدًا عن القصر

عادة عند الطلاق تستحوذ على عقل المرأة فكرة واحدة تدور حول أطفالها، وهل تستطيع الابتعاد عنهم؟ ولم تكن فريدة تتصور أن يستخدم فاروق سلاح الأطفال في الانتقام منها، فإلي جوار تحريمه نشر صورها، أو ترديد اسمها في الصحف والمجلات، جَهِدَ في حرمانها من بناتها، إضافة إلى تخلِّي الأصدقاء والأقارب عنها خوفًا من انتقام الملك.

وجدت نفسها فجأة منزويةً في بيت أهلها، «تتلصَّص» على أخبار بناتها من مربيتهن الأجنبية. انزوت فريدة وابتعدت وأصرَّت في إباء وكبرياء، وظلت تنزف شوقًا لأطفالها، كان فاروق مستمتعًا باللعبة، يتعمد أن يخترع أية مناسبة لأخذ الأطفال بعيدًا عن أمهن يوم الزيارة المخصَّص لها، كما كان يمنع المربية من الاتصال بفريدة لطمأنتها على أخبار البنات.



تماسكت فريدة وهي تخوض المحنة، وفيها انكشف معدنها، إذ عمدت إلى تحويل المأساة إلى حياة نابضة طالما افتقدت بين أعمدة القصر.

بدأت تشارك في كل كبيرة وصغيرة، عند بناء بيتها (في الهرم) ، الذي أصرَّت ألَّا يشبه تصميمه القصور، حتى إن مصمم الفيلا كان قد وضع عمودين رخاميين وسط صالة الاستقبال، كنوع من الديكور، لكنها طلبت منه إلغاءهما قائلة «كفاني أعمدة رخامية».

اختارت كل شيء في الفيلا بذوقها الخاص، الذي حرمت من ممارسته سنين كثيرة، وأصرت على أن تحوي الفيلا ساحة انزلاق وملعب تنس لبناتها، لكن كل ما خصص لهن ظل خاويًا ينغِّص عليها حياتها.

حين تم بناء الفيلا حاولت أن تلتزم بنظام خاص لمعيشتها، فهي تستيقظ في الصباح تركب حصانها، ثم تتناول طعام الإفطار، ثم تجلس وحيدةً مع كلابها، تمد بصرها عبر الصحراء والأهرام.

لم يكن يزورها أحد إلَّا والدها ووالدتها يوم الجمعة من كل أسبوع.. كانت تستمع إلى الموسيقى، وتقرأ الكتب وفى بعض الأيام تشاهد الأفلام على شاشتها الخاصة، لكنها ظلَّت تحس بأن حياتها على هذا النحو ينقصها الكثير.



محكمة مصر الشرعية

إشهاد طلاق

بالمجلس المنعقد بقصر عابدين العامر بالقاهرة في الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر
من يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم سنة ١٣٦٨ الموافق للسابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٤٨
لدينا نحن أبو العينين المصري رئيس محكمة القاهرة الابتدائية الشرعية في حضرة مولانا
حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ملك مصر أيده الله بروح من عنده
وأمده بمعونته، اقتضت إرادة جلالته فأشهد حفظه الله استجابة لرغبة الطرفين
بأن أوقع جلالته على زوجته حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة كريمة
حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا ابن المرحوم علي ذو الفقار
باشا ثلاث طلقات متفرقات متعددة وبكل واحدة منها ايقاع الطلاق
بأن قال في كل مرة: زوجتي فريدة طالق مني، وبذلك تكون قد بانت
من جلالته بينونة كبرى.

وبأمر جلالته أثبتنا هذا بحضور حضرة صاحب المعالي إبراهيم عبد الهادي باشا
رئيس ديوان جلالة الملك، وحضرة صاحب السعادة محمد نجيب سالم باشا
ناظر خاصة جلالة الملك.

وقد سجل ذلك بسجل خاص برقم ٢ متتابعة، وسلمت صورتين لكل من الطرفين
إحداهما لجلالة الملكة، والأخرى لجلالة الملك منه.

جلالة الملك

رئيس ديوان جلالة الملك
إبراهيم عبد الهادي

ناظر خاصة جلالة الملك
محمد نجيب سالم

كاتب محكمة القاهرة
الابتدائية الشرعية
[illegible]

رئيس محكمة القاهرة الابتدائية الشرعية
أبو العينين المصري



النشأة في مناخ فنِّيٍّ

يحسن أن نقطع سير الأحداث هنا، لنعود إلى طفولة فريدة ونشأتها، لنلتقط بداية الخيط الذي شكل جانبًا أساسيًّا في نسيج حياتها بعد ذلك، ويهمنا في البداية التأكيد على أنه كانت لفريدة هوايات كثيرة في صباها، لعل أولى هذه الهوايات الموسيقى، وبنوع خاص العزف على البيانو، الذي أجادته إلى حد كبير. ويرجع الفضل في ذلك إلى والدها، الذي يعتبر من مجيدي العزف، والذي أشرف على تعليمها إياه حتى أتقنته ونبغت فيه.

ولم يكن يوسف ذو الفقار عازفًا ماهرًا على البيانو فحسب، بل كان رسامًا بارعًا أيضًا، حتى ليجد الداخل إلى سرايته صورة زيتية كبيرة لفريدة، قد زين بها المدخل بعد أن رسمها بنفسه، ولا غرابة بعد ذلك أن تكون فريدة قد تتلمذت على يد والدها في الرسم وقتًا غير قصير.

وإلى جوار البيت نشأت فريدة في مناخ فني بالغ الثراء، فعمها حسين ذو الفقار كان مشرفًا على



الملكة فريدة مع محمد محمود خليل باشا في قصره حيث لوحاته الفريدة



تنسيق الحدائق بالقاهرة، ويرجع إليه الفضل في إقامة حديقة الأندلس، تلك التحفة الفنية التي شيدت على الطراز العربي، أما شقيقها «شريف ذو الفقار» فقد اشتهر كمصور فوتوغرافي متميز، ناهيك عن أن ابن خالها سعد الخادم كان رسامًا وأستاذًا للفن، وكان يعد مرجعًا موثوقًا به في الفنون الشعبية.

وإلى جوار هؤلاء وقبلهم جميعًا، يأتي بلا شك خالها محمود سعيد، الذي كان صاحب الفضل الأول في ممارستها الرسم، ومحمود سعيد أحد الأعمدة الذين قامت على أكتافهم نهضة الفنون الجميلة في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين.

كانت فريدة تتردد في طفولتها على خالها في مرسمه، وقد رسم لها لوحة شخصية عام 1933 أطلق عليها اسم «ابنة أختي»، واللوحة التي تصور فريدة وهي لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها بعد، جالسة في حديقة قصره تحت الأشجار، تعد من أهم الروائع المعروضة في متحف «محمود سعيد» اليوم، والمتحف تشرف عليه وزارة الثقافة المصرية، ويشغل قصر محمود سعيد نفسه، ولا بأس من الإشارة هنا إلى أن محمود سعيد أصبح مقررًا للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، الذي شكلته الثورة بعد قيامها، كما أن محمود سعيد كان أول فنان منحته الدولة جائزتها



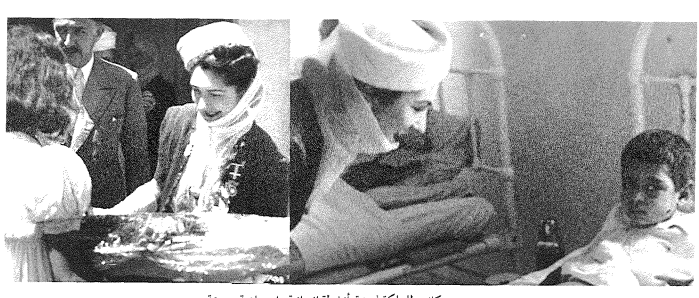
الملكة فريدة متأملةً منحوتات وتماثيل .. لقد عاشت في الفن ومعه منذ طفولتها حتى آخر لحظة في حياتها



التقديرية في فن الرسم، تقديرًا لموهبته وجهوده في ميدان الفنون الجميلة.

وما يهمنا التأكيد عليه هنا، قبل العودة إلى سياق سيرة فريدة، هو أن ميولها قد وجدت أيام الصبا تشجيعًا كبيرًا من أسرتها، ذلك فضلاً عن المناخ الثقافي المنتعش الذي عاشته الإسكندرية، فيما بين الحربين، عندما كانت المدينة تحتفي بالفنون التي تصل إليها عبر البحر المتوسط، وتضم عددًا كبيرًا من مراكز الإشعاع الثقافي، وتعج بالشخصيات اللامعة في مجالات الأدب والفن من المصريين والمستوطنين الأجانب، لكن الفن قد خرج من دائرة اهتمام فريدة عند زواجها من الملك، ومع الانفصال والوحدة والمعاناة بدأت الصلة تنسج خيوطها من جديد.

وهنا لا بأس من العودة إلى تسلسل حياة فريدة، بعد التأكيد على أننا أسهبنا في الحديث عن أزمة فريدة مع الملك، لأن هذه الأزمة هي ما أملي على فريدة كل خطواتها اللاحقة، ومنها اختيار الفن كوسيلة للتعبير عن نفسها، تلك النفس التي أجج من إضرامها اختيار فريدة النبيل أن تصمت في كبرياء، وألَّا تقول كلمة واحدة ضد فاروق سواء بعد طلاقها أو بعد خروجه من مصر، بل إنها كانت تمنع المحيطين بها من ترديد ما يعرفونه عن أخطاء الملك وخطاياه: **«لا تنسوا أنه والد بناتي والإساءة إليه هي إساءة إليهن»**.



كانت للملكة فريدة أنشطة إنسانية واجتماعية متنوعة



دنيا الفن

كما ذكرنا كانت الملكة فريدة تعاني وحدةً قاتلةً في فيلا الهرم. حاولت أن تشغل نفسها ببعض الهوايات، تعلمت هواية التفصيل من الكتب، وأجادتها لدرجة باتت معها تصنع ملابسها بنفسها، حاولت أن تشغل نفسها بالقراءة، وبزيارة والديها في الزمالك. لكن كل ذلك لم يشف غليلها، وواصلت بحثها عن مخرج جديد.

أتاحت لها وحدتها فرصة التأمل. فبيتها يطل على حقول الفلاحين المجاورة، ووجدت ضالتها هناك في يوم مشرق. نظرت إلى اللوحات التي تغطي جدران منفاها الاختياري، وأشرق شيء في وجدانها سرعان ما كبر وكبر وتجسَّد في صورة فرشاة وألوان استعادت عوالم طفولتها.

جاءت بقطعة قماش أبيض وشدتها على اللوحة ووقفت تتأمل: «هذه حياتي صفحة بيضاء وعلي أن أوقِّع عليها تفاصيل محنتي ومعاناتي وأحلامي الخاصة.. دموعي وآهاتي ورغباتي وآمالي، لأشكل دنياي بيدي ولتمسح فرشاتي الدموع عن عيني وتخفِّف الألم عن قلبي».

كانت فريدة تعيش كما قلنا قرب أهرام الجيزة عام *1954*، لا يفصلها عنها سوى المزارع والحقول، فرسمت الحصاد والعمل في الحقل، كما رسمت الأهرامات. وشاهد محمود سعيد هذه الرسومات، ولما سألته المشورة ناشدها أن تخرج كل ما في داخلها، وبيَّن لها أن رسوماتها تنتمي إلى نوع من الفن الفطري الذي يمارسه الكبار، وأبدى لها إعجابه بتجربة المربي الرائد حبيب جورجي، الذي أجرى تجربة تربوية حول الفن الفطري عند الأطفال المصريين بين عامي *1939* و*1951*، ووجَّهها خالها لمشاهدة هذه الأعمال والتعرف إليها حيث إن لرسوماتها الروح والمذاق نفسه.



الملكة فريدة في مرسمها الذي أقامته في فيلا الدكتورة لوتس عبد الكريم



وبعد فترة دعاها خالها لتشغل مرسمه الموجود فوق سطح قصره بالإسكندرية، وهناك راحت ترسم الوجوه بالطريقة البدائية نفسها التي طبعت أعمالها.

هكذا عشقت فريدة الرسم والتلوين، ولم تتعلم على يد أحد، ومضت على فطرتها بإحساسها وثقافتها منذ صغرها. وتفجرت مواهبها الإبداعية بعد سن الثالثة والثلاثين، وأصبحت تنتمي إلى طبقة الفنانين الفطريين. وهم الذين بدأوا إبداعهم في سن متأخرة وغالبًا ما يتلقون قسطًا كافيًا من الدراسة الفنية، ويطلق عليهم اسم فناني (القلب الخالي) أو فناني (يوم الأحد) ، لأنهم كانوا يمارسون هوايتهم أيام العطلة، ولا يدفعهم إلى عملهم الفني سوى الموهبة والفطرة، دون أي هدف مادي أو شهرة..

ودخلت فريدة عالم الفن في ظروف نفسية صعبة، وكان الانغماس في الرسم يمثّل محاولة للهروب من المشكلات، والظروف المحيطة بها، وعاملاً على تفريغ الشحنات النفسية الضاغطة عليها. ومع الرسم كان الحرمان من أطفالها يسرى في دمها كالسرطان، ينخر في عظامها ويمتص منها رحيقها رشفة، رشفة فلقد حرمت نهائيًّا من رؤيتهن بعد أن خرجن مع الملك فاروق.

استمر مسلسل المعاناة، وكانت الدولة تأذن لها بالاتصال ببناتها تليفونيًّا، ولكن خمس سنوات كاملة مرت قبل السماح لها بالخروج لرؤيتهن.

لوحة « النيل في النوبة» *1986* ميلادية ، ويشكّل النيل عالمًا أساسيًّا من عوالم الملكة الفنانة فريدة ، كما أنه كان ملهمًا ومثيرًا لها ، إذْ تستجيب لصوتها الداخلي كلما رأته ، أو عاشت مع مياهه مستبطنةً أسراره، والنيل لدى فريدة لا يأتي دون نَخْلٍ أو بشرٍ

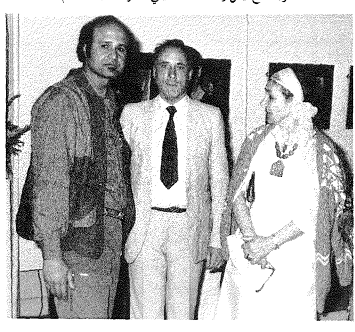


سنوات الاغتراب

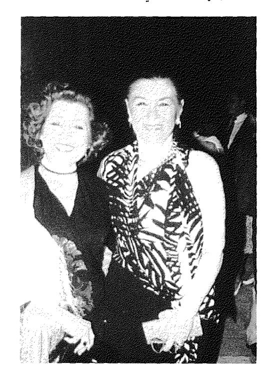
حصلت فريدة على إذن السفر عام 1963 فسافرت إلى لبنان أرض غربتها الأولى، حيث واصلت رسم وجوه الشخصيات الاجتماعية والمحيطين بها، لكن الأمر لم يكن أكثر من هواية لتمضية أوقات الفراغ. وبعد أن تحقق الحلم ورأت بناتها بعد غياب، شعرت بأنهن يستقبلنها استقبال الغرباء، الأمر الذي عمق معاناتها ودفعها إلى محاولة دفن هذه المعاناة المؤلمة. وبعد أن عاشت في لبنان أربع سنوات، انتقلت إلى سويسرا لتعيش بالقرب من بناتها، كان ذلك في 1967، وهناك استغرقت في العمل الفني كل الوقت، فقد انتقلت من الدفء والحنان والمحبَّة التي أحاطتها بها لبنان العربية، إلى البرودة والجفاف والشتاء والثلوج في أرض غربتها، واستمرت إقامتها في سويسرا ثلاث سنوات، كانت تتردد خلالها على باريس ولبنان.

وفي باريس أقامت معرضها الأول الذي غلبت عليه سمات الفن الفطري، النقاء والبراءة والسذاجة، التي تقرِّب النتاج الفني إلى رسوم الأطفال، تلك السمات التي استمرت مع فريدة حتى النهاية فنًّا وسلوكًا على حد سواء.

الملكة فريدة مع نيڤل والفنان التشكيلي د. رضا عبد السَّلام



الملكة فريدة مع
صديقتها سعاد حمدي





الأيقونات والمنمنمات والقدم

وفي عام 1970 انتقلت فريدة لتعيش في باريس. وتعمَّق إحساسها بالحاجة إلى دراسة تاريخ الفن. فأنفقت عامًا كاملاً في زيارات منتظمة إلى المتاحف والمعارض الفرنسية. كما التحقت بمدرسة متحف اللوفر لتاريخ الفن.

ولكي تتعمَّق في دراسة الفنون القديمة. نقلت بفرشاتها بعض الأيقونات الروسية والبيزنطية. ثم حاولت أن ترسم على منوالها. وكان لجذورها الأرستقراطية وثراء طفولتها. أثر في اختيارها للأسطح المذهبة والفضية. مستلهمة المنمنمات الإسلامية في رسوم الكتب وزخارف الأطفال.

كما حاولت إضفاء طابع العراقة والقدم على إنتاجها. فكانت تعرض ألوانها الزيتية للحرارة لتبدو محترقة. وكأنما رسمت منذ زمن طويل. أو لتبدو كالصور القديمة والأيقونات. كما كانت تطلي أعمالها بطبقة من الورنيش السميك فتلمع كالأواني الخزفية.

السنتيسيزم

واستخدمت أجهزة إضاءة إلكترونية على لوحاتها. تخفت وتسطع. للحصول على تأثيرات الغسق والشفق والظهيرة. ثم الليل في فترة لا تزيد على دقيقة واحدة. أما الهدف الجمالي فكان تحقيق نوع من الحركة التي يطلق عليها السنتيسيزم.

الليتوجراف

وبعد ذلك التحقت بمرسم متخصص في تعليم الطباعة اليدوية الفنية. على الحجر. المعروفة باسم «الليتوجراف» فيها يرسم الفنان تصميمًا على سطح صلب كالحجر ثم يطبع منه عددًا محدودًا على الورق. وإذا كانت لوحته ملونة تحتم عليه أن يرسم كل لون مستقلاً على سطح الحجر ليطبعها تباعًا على لوحته. الأول فالثاني وهكذا. فهو يطبع لوحته عدة مرات ليضيف في كل مرة لونًا جديدًا.

وقد أتقنت فريدة هذا النوع من العمل. حتى أخرجت أعمالاً بها ستة ألوان. لكن رائحة الأحبار وكيماويات المطابع أثرت - بالإضافة إلى المجهود العضلي الذي تتطلبه عملية الطباعة — على صحتها.



لهذا توقفت بعد فترة عن إنتاج هذا النوع من الفن. لتستمر في الرسم بالألوان الزيتية. وزاد نشاطها الفني بعد معرضها في مدريد وآخر في جزيرة (بالمادي مايوركا) بإسبانيا، ثم أقامت في العام التالي معرضًا خاصًا بقاعة المركز الثقافي المصري بباريس. ثم توالت معارضها في فرنسا 1987 وفي القاهرة عام 1980، ثم جينيف 1981، وفى بلغاريا 1982، وفى تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية 1983، ثم بالقاهرة 1984 و1986.

التجريد الإيهامي

استخدمت الإضاءة الخارجية 1976، وكانت تواكب بها موضة التجديد والتجريب التي غمرت أوروبا وأمريكا في السبعينيات، وكان أبرزها (التجريد الإيهامي) الذي يستخدم أشعة الليزر في إيهام المتلقي بأنه يرى تركيبات غير موجودة على الإطلاق.

ورغم ذلك احتفظت فريدة ببكارة إبداعها شكلاً وموضوعًا، بطابع النقاء والصدق. لا ترسم إلَّا ما تريد وبالطريقة التي تراها، بقيت نسيجًا فريدًا بين الفطريين والخريجين والمدربين.

فريدة حتى في إبداعها، ترسم وتلون، وهي واقفة لا تحمل لوحة الألوان والفراجين في يدها ككل الرسامين بل تضعها أمام حامل الرسم على منضدة ما، لا تجهز ألوانها قبل بداية العمل، بل تخرجها من الأنابيب الواحد بعد الآخر، كلما احتاجت إليه. وهي طريقة غريبة وغير منطقية. لم تتعلم من أحد كيف تنظِّم الألوان على «الباليته» أو كيف تعد تصميمًا لموضوعها، فهي ككل الفطريين طراز خاص بين الفنانين حتى في أسلوب العمل.

ولأنها لا تتبع مدرسة بعينها، لذا نلتقي بكثير من الأساليب مجتمعةً على صفحة لوحاتها التعبيرية، في النسب التأثيرية في إشاعة الجو الضبابي، وكأن أشخاصها خارجون من حلم.

الإيقاع الموسيقي

وأحيانًا ما يكونون أشباحًا بلا ملامح ولا تفاصيل، الإيقاع الموسيقي له دخل كبير بين ألوانها وظلالها، وهو تأثير دراستها للبيانو في الصغر، تسقط أحاسيسها وأحلامها على اللوحة، ترسم من الذاكرة بالتصميم – كما يفعل اللاشكليون – تسترجع ماضي حياتها فتتلاحق صور الطبيعة في الحقول المترامية، القوارب والمراكب والنخيل، وشواطئ النيل والفلاحات بجرارهن وثيابهن القروية، صورت



النيل كما شاهدته في رحلاتها التي قطعتها من القاهرة إلى أسوان مرات عديدة، طافت في لوحاتها بقراه وبيوت الطين والمآذن وأبراج الحمام.

النزعة الصوفية

وعشقت فريدة في لوحاتها الحياة الصميمة، وتغنَّت بها ورأت آيات الله في مياه النيل، فصوَّرت لفظ الجلالة يسبح مع القوارب، وفي الآفاق، وكتبته بصور عديدة بإحساس صوفي عميق.

هكذا كانت فنانة صوفية، تمزج بين حب الحياة والإيمان العميق، الحقيقة بالخيال والواقع بالأساطير، وظل الحزن والقلق والشتات طابع ألوانها.

وخطوطها ترمز إلى الدموع، تسيطر على التكوين العام لكل لوحة، وكأنَّ فريدة كانت تبكي في لوحتها غربتها، أو تنسج على منوال الكلمات الشعبية (وهي السمكة تسيب الميه.. داحنا من غير مصر نموت). مصر وعشق مصر كان موضوع لوحات الملكة فريدة.

أنا وسط بين التجريد والتعبير

تقول فريدة: **خطوطي سريعة، ولا أعرف ماذا سأرسم وأنا أمام (التوال) اللوحة البيضاء، ولذلك لا أتبع مدرسة معينة في الرسم، ولا برنامجًا معينًا، ولكنني أعبر عن ذاتي بحرية، أنا وسط بين التجريد والتعبير. التجريد لغة العقل والتعبير لغة العاطفة، وبين الاثنين كان طريقي.**

اللوحة الزيتية ليست مجرد رسم، ولكنها نغمات متناسقة من الألوان، تبدو وكأنها سلم موسيقي، وهذا التناغم هو التعبير عن مزيج العقل والعاطفة في روح الفنان.

- الألوان هي الأحاسيس المختلفة والمتبادلة بين الرسَّام والمتفرج، ومن الألوان ما ينقل الانفعال بالدهشة، أو الخوف، أو الغضب، أو الهدوء، أو الحزن، أو الفرح، أو السرور.

العودة إلى الوطن

كانت فرحة فريدة غامرة بعد انتصارات أكتوبر، وكانت تعترض كل مسئول في السفارة المصرية بباريس - حيث كانت تعيش يومها — وتقول له في فرحة غامرة: رفعتم رءوسنا.. رجعتم لنا الابتسامة



وفخرنا بمصر. وكانت فريدة من أوائل من ذهبوا إلى السفارة المصرية، ليعبروا عن فرحتهم بالعبور، ومن أوائل من تبرَّع لأسر جنودنا البواسل، لكن قصة عودة فريدة بدأت بمقال نشره الدكتور لويس عوض في جريدة الأهرام، عن حياة بعض أفراد الأسرة المالكة في أمريكا، وأحدث المقال دويًا في جميع الأوساط، وكان ذلك تمهيدًا لأن تفتح مصر أحضانها لكل من يريد العودة إلى الوطن.

ويومًا تلقت جيهان السادات رسالة من الملكة فريدة، تشكو فيها من تصريحات أدلى بها «علي أمين» للتليفزيون البريطاني، في برنامج تاريخي عن مصر قال فيه: إن فاروق أصيب بالجنون بعد حادث القصاصين. وعلقت الملكة فريدة في رسالتها بأن قول علي أمين قول غير لائق، لأنه كان عليه أن يراعي أن لفاروق ثلاث بنات ستضار مشاعرهن عندما يسمعن أن الأب كان مجنونًا وعن غير حق.

وردت جيهان السادات على فريدة، مبلغة إياها بأن علي أمين قد أبلغ بملاحظتها، وتضمنت الرسالة ترحيبًا بأن تعود فريدة إلى أرض وطنها في أي وقت تشاء.

وفى باريس كان الدكتور عاطف صدقي المستشار الثقافي (رئيس الوزراء الأسبق)، بينما كان فاروق حسني ملحقًا ثقافيًا، ومشرفًا على المركز الثقافي المصري في باريس، والذي فيما بعد صار وزيرًا للثقافة في مصر.

والتقى فاروق حسني بفريدة عام 1975 في المركز الثقافي، حيث استقبلها الدكتور عاطف صدقي، وقاما بتشجيع اتجاهها إلى الفن، وقدما إليها دعوة للاشتراك في (معرض الفن المصري المعاصر) الذي أقيم في القصر الكبير (الجراند باليه) ذلك العام وكان المعرض يضم أعمالاً لكبار الفنانين المصريين.



الملكة فريدة وإلى جوارها الفنان فاروق حسني في العاصمة الفرنسية باريس



وفي العام التالي استضاف المركز الثقافي بباريس، معرضًا خاصًّا لفريدة. وقد شكلت هذه اللقاءات نهاية لعزلة فريدة، وبداية لمرحلة العودة لعناق أرض الوطن من جديد. وسرعان ما عادت إلى أرض الوطن بالفعل.

وفي عام 1980 أقامت فريدة أول معرض لها بالقاهرة، في فندق المريديان. وكان يضم 77 لوحة، وقد أطلقت على معرضها اسمًا متصلاً بأساطير الشرق هو: ألف رؤية ورؤية.

وقد أثار هذا المعرض اهتمامًا عامًا. ووصف الناقد الراحل كمال الملاخ لوحاتها قائلاً: (إنها تسكب فيها أحلامها ورؤى الماضي، من أيام الطفولة والصبا والشباب، تجتر فرشاتها صورًا تتابع مع البراءة المناظر الطبيعية الواقعية، التي عاشتها أو زارتها. سواء عند زرقة شاطيء البحر، أو خضرة الأرض أو الرمال المترامية عند أبو سمبل، أو سيناء وجبل موسى وسانت كاترين).

وتبقى كلمة لها علاقة بهذا العمل الذي نطالعه: لقد سئلت فريدة يومًا: ماذا أعطاك الفن؟ فكانت إجابتها: **أعطاني الأمل والرغبة في الاستمرار، كنت في الماضي أخاف الوحدة، اليوم أحتاجها لوقفة تأمل، لتفجير معاناتي فنًّا، باللوحة والفرشاة والألوان، لم تعد وحدتي وحدة بل صارت حياة وضجيجًا.**



الملكة فريدة مع المايسترو فاروق السيسي الذي حضر افتتاح معرضها «العودة إلى الوطن» والذي أقيم بفندق المريديان في فبراير 1986





فريدة

أحاديث وحكايات



الدكتورة لوتس عبد الكريم
تكشف أسرارًا في حياة ملكة مصر فريدة

فَكَّرتُ مَرّةً أن أجري حوارًا مع فريدة ذو الفقار ملكة مصر. فقيل لي: إنَّ الطريق إليها يمر عبر الكاتبة والأديبة الدكتورة لوتس عبد الكريم مؤسِّسة مجلة الشُّموع، ورئيس تحريرها وصاحبة امتيازها.

وظلّت الفكرةُ مختمرةً في ذهني، خصوصًا أنَّ الملكة فريدة كانت لا تتحدَّث إلى الصحافة إلَّا نادرًا، كما أن شخصيتها - خصوصًا بعد ذلك - كفنانة تشكيلية كانت تروق لي، وكنت أعرف أنَّها تحمل الكثير من التجارب والخبرات.

ولم أكن أعرف الدكتورة لوتس عبد الكريم وقتذاك، ولم أكن من كُتَّاب مجلتها «الشُّموع»، ولا من الذين يرتادون صالونها، أو من الحاضرين إلى القاعة التي خصَّصتها لإقامة معارض للفنون التشكيلية.

وتأجَّل مشروع الحوار سنينًا، ورحلت الملكة، وسافرت الدكتورة لوتس عبد الكريم طويلاً، ثم عادت وسافرت مرَّات، إلى أن فوجئتُ بها ترسل إليَّ كتابها عن إحسان عبد القدوس، فاتصلتُ بها شاكرًا، والتقينا، واستضفتُها في برنامجي التليفزيوني «كشف المحجوب» لمدة ساعة، حيث تحدَّثت عبره عن إحسان عبد القدوس، ومحمد عبد الوهاب، ويوسف السباعي، وأفردت مساحةً مهمةً للملكة فريدة، التي تابعتُ سيرتها بعد ذلك، من خلال الدكتورة لوتس عبد الكريم، وحاورتها حول الملكة في أكثر من مكان، وعرضتُ لكتابها عن الملكة، والذي أصدرته عقب وفاة فريدة بعام واحد، وكان كتابًا مهمًا ولافتًا وخاصًّا ولايزال، إذ أنَّه يقدِّم سيرةً ذاتيةً لم تكتبها الملكة، وإنما عاشت تفاصيلها الدقيقة كاتبتها: الدكتورة لوتس عبد الكريم، التي منحت الكثير من وقتها وعقلها وقلبها ووفائها للملكة، وصارت «الحارس الأمين» على أسرارها، والمدافع عنها في كل محفلٍ، والعارفة بأحوالها وشئونها، والمؤتمنة على أوراق حياتها الشفهية أو التحريرية.

إنَّني أمام أنموذج حقيقيٍّ من الوفاء، يتمثَّل في الدكتورة لوتس عبد الكريم، يتلخص في علاقاتها برموز الأدب والفن والفكر في مصر.

لقد استطاعت الدكتورة لوتس، أن تعيد إلى الملكة فريدة اعتبارها، وأن تجعلها حاضرةً في كل مناسبة ومحفل، تحتفي بذكراها وتجمعُ أيةَ ورقة تخصُّها أو أية صورة لها، تقتني كلَّ ما يتعلَّقُ بالملكة، ولا تزال على اتصال بمن بقي من عائلتها، خصوصًا ابنتها فريال - التي تعيش في سويسرا - وحفيدتها

حوار أجراه أحمد الشَّهاوي - مجلة اليقظة - الكويت - م 16/1/2008.



ياسمين التي تعيش في القاهرة، بعد زواجها من مصريٍّ.

ما عند الدكتورة لوتس عبد الكريم، ليس عند أحدٍ حتى بناتها، إذ أنَّهن عِشْنَ بعيدًا عن أمهن، ولا تربطهن بها حياةٌ مشتركةٌ وذكرياتٌ وخصوصياتٌ وشئون صغيرة لا تُنْسَى.

والدكتورة لوتس عبد الكريم، على الرغم من أنها تحمل الكثير في صدرها وروحها وقلبها عن الملكة فريدة، فإنَّها لم تقل كل شيء يخصُّ الملكة، ودومًا ما تفاجئني بالجديد والمثير والخاص، الذي لم يدونه التاريخ الحديث - للأسف - كما أنَّها تزيل العديد من الالتباسات حول كثيرٍ من القضايا والمسائل المتعلقة بفاروق وفريدة، خصوصًا أن الملكة قد أسرَّت إليها بالكثير، بحكم أن الملكة كانت شبه مقيمة لديها، في فيلتها بالمعادي، ترسمُ وتعرض لوحاتها، إذ خصصت د. لوتس طابقين للملكة.

وفي هذا الحوار الذي أراه يتواصل مع الكتاب الذي سبق أن أنجزته الدكتورة لوتس عن الملكة فريدة،

د. لوتس وفريدة معًا في شقَّة الملكة



ويضيف إليه، يجيب عن أسئلة قد تثار أمام قارىء الكتاب، الذي يتعطَّش ويرغب في معرفة المزيد من الكاتبة الدكتورة لوتس عبد الكريم، صديقتها ورفيقتها في الحياة والفن والفكر والثقافة والمزاج، وحتى اللغة (فكلتاهما تتحدث الفرنسية منذ الطفولة).

■ **لماذا كان يمانع الملك فاروق في رؤية طليقته الملكة فريدة بناتها الثلاث، عندما كن يعشن معه في سويسرا. ثم وافق بعد ذلك عام *1958* لأن تقيم معهن لمدة شهر؟**

❑ كان الملك فاروق يحب أن تكون بناته في صفِّه، ويتبنين آراءه، وليس آراء أمهن الملكة فريدة. وكانت تقول دائمًا: إن البنات أقرب إلى أبيهن منِّي، وكذلك قالت البنات لي: إنَّهن فاروق ولسن فريدة.

ويجوز أن يكون الملك فاروق، قد ضعف وحنَّ إلى الماضي، وآثر ألَّا يؤذي مشاعر فريدة أو يعذّبها أكثر.

ولم يكن هناك إصرارٌ من البنات الثلاث على الإطلاق لرؤية أمهن، أولاً لأنهن لم يعتدن معاشرتها، وثانيًا ككل الأقارب والقريبين من أسرة الملكة فريدة، كان اعتقادهم أنَّها السبب الرئيسي في «خراب وضياع» المُلك، وقيام ثورة 23 يوليو، وبالتالي فقر الأسرة وانهيارها.

ولم تكن تتكلم إطلاقًا أو حتَّى تنوِّه عن أسباب إبعاد الملك لبناته عنها، بل كانت تلقي اللوم - ربما - على الظروف.

■ **قرأت أنَّه لمَّا طُلِّقت الملكة فريدة، انتقلت معها ابنتها الأميرة فادية، بينما ظلت الأميرتان فريال وفوزية في كنف أبيهما الملك فاروق؟**

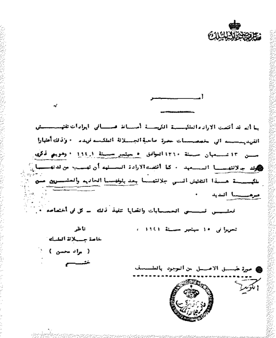
❑ هذه المعلومة غير صحيحة. وفاروق احتضن البنات الثلاث، وقد خرجن معه على اليخت إلى إيطاليا أولاً، وبقيت الملكة فريدة في مصر، وكان قد خَيَّر البنات حين أذن الرحيل بين بقائهن مع أمهن في مصر ، أو الذهاب معه هو والملكة ناريمان، ومنحهن ساعةً واحدة للتفكير والرد، وبعد أن سألهن أجبنه بالإصرار على الذهاب معه، وليس البقاء مع أمهن الملكة فريدة.

■ **كان الملك فاروق بعد طلاقه لفريدة، قد تنازل عن «تفتيش الفريدية» الذي أوقفه لعصمتها منذ عام *1941* ومساحته ألفا (*2000*) فدان بمديرية الشرقية. إلى أين آلت هذه المساحة؟**

❑ أعرف أن ثورة يوليو *1952*، قد استولت على كل ما امتلكته فريدة سواء هدايا من فاروق، أو ميراث من والدها، وكان ضمنها قصر الطاهرة، الذي كان هديةً من فاروق ومسجَّلا باسمها، وقصر الهرم الذي كان هدية من والدها، ولم تدفع الثورة مليمًا واحدًا إزاء هذا الاغتصاب لأشياء تملكها فريدة، وهي مُطلَّقة من الملك، وليست ملكةً، كما أنَّها ليست من أسرة محمد علي.

وقد عاشت سنواتها الأخيرة - كلها - في احتياج وعوز وفاقة، وعاونها الكثيرون من السعودية، وكذلك محمد رضا بهلوي شاه إيران. وكان دخلها في مصر - وهو قليل جدًّا - من بيع لوحاتها، التي تواظب ليلاً ونهارًا على رسمها في لذّة ومتعة بالغتين.





أمـــر

بما أنه قد أقتضت الارادة الملكية الكريمة أضافة صافي ايرادات تفتيش الفريدية الي مخصصات حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة ، وذلك أعتبارا من ١٣ شعبان سنة ١٣٦٠ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ ، وهو يوم ذكرى مولد جلالتها السعيد ، كما أقتضت الارادة السنية أن تصبح من لدنها ملكية هذا التفتيش الي جلالتها بعد بلوغها الحادية والعشرين من عمرها المديد .

لمفتش تسوية الحسابات والقضايا تنفيذ ذلك كل في أختصاصه .

تحريرا في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ ،

ناظر
خاصة جلالة الملك
(مراد محسن)
ختم

صورة طبق الاصل من الموجود بالملف

■ هل صحيح أن الملكة فريدة كانت قد اشترت ماكينة تريكو عام *1963* لتشغل وقتها، وتهدي ما تنتجه إلى صديقاتها، وأنها كانت تشتري ملابسها وقتذاك من «لاجراند مدموازيل» الذي كانت تمتلكه نيفين سرّي؟

□ لم تقل ذلك. ونيفين سرّي هي ابنة الأميرة شويكار، وزوجة سعيد ذو الفقار شقيق الملكة فريدة الأكبر، الذي يعيش في كندا حاليًا، وقد توفيت عام (*2006*) في الإسكندرية. ونشرت كتابًا عن أسرة محمد علي، على نفقتها الخاصة كتبته أولا بالفرنسية، ثم ترجم بعد ذلك إلى العربية، ونشر باللغتين في مصر، ثم إنها كانت تعيش في الإسكندرية حيث كان يعمل زوجها سعيد ذو الفقار مديرًا لبنك الإسكندرية.

■ هل صحيح أن الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإرشاد، كان قد اتفق مع الملكة فريدة عام *1963* على استئجار قصرها في الهرم وتحويله إلى مسرح وملهى ليلي، يُخصَّص لاستعراضات الفرق العالمية، ويدخل ضمن البرنامج السياحي الليلي الذي يشاهده السياح؟

كيف؟

لقد استولى عليه عبد الناصر، وحوّله إلى ثكنات عسكرية، وفي عصر السادات بيع إلى أحد أمراء البترول، ولم تنل منه قرشًا واحدًا، بل تم الاستيلاء عليه وكان يحوي ملابسها وأوراقها الخاصة وأشياءها الشخصية، وأثاثات ومفروشات نادرة، وقد رأيت عبد القادر حاتم مع الملكة فقط خلال معارضها



التشكيلية التي أقامتها في القاهرة.

■ **لماذا كانت ترتدي الملكة فريدة اليشمك الملكي الأبيض أيام وجودها في بيروت، خلال حقبة الستينيات من القرن الماضي، ثم خلعته بعد ذلك؟**

□ ربما هو لونٌ من الحنين إلى الماضي الملكي، الذي كانت قد تركته وشيكًا، حيث اعتادت ارتداءه وهي ملكة، أما السنوات التي كنا فيها معًا فلم تكن ترتديه، بل كانت غاية في البساطة، في أزيائها ومظهرها بشكل عام، رغم ذوقها الرفيع، ومراعاة الاحتشام في ملابسها، وما اليشمك إلاّ صورة من صور الاحتشام.

■ **قرأت أن الملكة قد أقامت في بيروت لبعض الوقت مع بناتها الثلاث عام 1964، أي أنها كانت تَرَاهُن في بلدان أخرى غير سويسرا.**

□ أنا متأكدة من أن بناتها الثلاث لم يعشن معها في بيروت، وهي التي كانت تذهب إليهن، ولم تقم في بيروت إلاّ مدة قصيرة. وقد شَكَرَتْ كثيرًا في لبنان وأهل لبنان، وكرم ضيافتهم لها. ولم تنقطع



الملكة فريدة مع الدكتور عبد القادر حاتم في أحد المعارض التشكيلية



علاقتها بالكثيرين منهم، حتى بعد مغادرتها لبنان.

■ **لما كانت الملكة فريدة في بيروت، سافرت إلى الكويت لتعرض مجوهراتها للبيع على بعض قرينات شيوخ الكويت، ولم تنجح في ذلك. فهل هذا صحيح؟ وكيف لها أن تحتفظ بمجوهرات ملكية بعد ما صادرت الثورة ما تملك من أشياء شخصية، هي التي سلمتها بنفسها لرئيس لجنة المصادرة من خلال وصيفتها نبوية صالح متولي؟**

□ لا أظن أن هذا الكلام صحيح.

لأنها لم تكن تملك شيئًا يباع أو يُعرض. وربما فُسِّرت زيارتها إلى الكويت بهذه الطريقة التي لم تحمل شيئًا من الحقيقة. أما «الدادة» نبوية فكثيرًا ما جلست معنا قبل وبعد وفاة الملكة فريدة، وحكت لنا كيف قدَّمت بيديها على الصواني لرجال الثورة تيجان الملكة السبعة عشر المرصَّعة بأحجارها الكريمة المتنوعة الثمينة والنادرة، وكانتا (الملكة ونبوية) تظنان أن كلمة المصادرة لا تحمل معنى الخطف أو السرقة، وربما هي للعرض فقط ثم الإعادة. ولكن خاب ظنهما، وضاع كل ما تمتلك، وبيع في خارج مصر بأبخس الأسعار، لأنهم لم تكن لديهم فكرة عن قيمة مجوهراتها وتيجانها النادرة.

■ **في أبريل عام *1966*، حلّت الملكة فريدة ضيفة على الملك حسين في زيارة خاصة لم تُعْلَن تفاصيلها، هل أسرَّت لك بأسرار هذه الزيارة؟**

□ بوجه عام، كنا نتكلم عن مقابلات مثل هذه مع ملوك أو رؤساء، ولكن ليس بصفة خاصة أو تفصيلية، لأني لم أكن أهتم بالإلحاح عليها في معرفة تفاصيل، ربَّما لم تكن تحب الخوض فيها، وهذا من ضمن الأشياء التي كانت تعجبها في صداقتنا، أنا لستُ فضولية، ولا ملحة في معرفة أسرار حياتها الملكية، وكان يكفيني معها حوارنا الثقافي والفني، والحياتي بالطبع، فقد سافرنا معًا إلى الأقصر وأسوان أكثر من مرة، والإسكندرية كثيرًا (بحكم أن كلينا من الإسكندرية) وكانت تحب كثيرًا الاقتراب من قصر المنتزه، الذي عاشت فيه معظم أيامها، ولم ندخل إلى القصر أبدًا، بناءً على طلبها، ولكنني اشتريتُ شقة قريبة من القصر، لتطل من خلالها على ذكرياتها الحميمة والقديمة التي تجدّدها دائمًا.

أما في أسوان فقد أكرمها اللواء قدري عثمان محافظ أسوان وقتذاك، بأن استضافها في الغرفة ذاتها التي قضت بها أيامًا من شهر العسل في فندق كتراكت القديم.

■ **ما الذي منع الأميرة فريال ابنة فاروق وفريدة من المجيء إلى مصر، التي خرجت منها عام *1952*، إلّا في ديسمبر عام *1974* بصحبة أمها فريدة التي كانت قد غابت *14* عامًا عن مصر.**

□ أظن أنهما كانتا تخشيان نظام ثورة يوليو، أو التعرُّض إلى أية إهانة من الحكم.

وهذا قد حدث بالفعل، لأن البنات كن قد طلبن إقامة في مصر، فحددت الإقامة بمدة لا تتجاوز أيامًا.

■ **في أكتوبر *1973*، تقدمت الملكة فريدة بطلب إلى السفارة المصرية في باريس، تعرض فيه أن**



تضع نفسها في خدمة بلادها، وقدمت للقائم بالأعمال المصري وقتذاك شيكًا بمبلغ خمسة آلاف فرنك. كما أنها كانت ضمن الذين تظاهروا أمام السفارة المصرية في العاصمة الفرنسية يوم العاشر من أكتوبر 1973 تضامنًا مع مصر في حربها ضد إسرائيل.

كيف كانت ترى الملكة فريدة مصر والوطن بعد أن صارت «ملكة سابقة»؟

❑ فريدة كانت عاشقة لمصر.

وليست مثل بناتها اللائي لم يعتدن الحياة فيها والتمتُّع بكل ما في مصر، مما كانت تراه فريدة، فكانت عاشقة للنيل والنخيل والصحراء والقرى والفلاحين، والصعايدة، والمزارع الشاسعة، وقد برز كل ذلك في لوحاتها التشكيلية.

وكانت تحب الشعب المصري الذي بادلها حبًّا بحب، وتقول: إنه أطيب الشعوب جميعًا، أي أنها كانت مصرية متعصبة، لكنها كانت تنتقد بشدَّة كل ما يهبط بالذوق، والتغيُّر الكبير الذي لحق بمصر من تدهور أخلاقي، وتلوث بصري وسمعي.

إنها كانت حزينة من أجل مصر، وكانت تتمنى لو كان في استطاعتها عمل شيء لها. وتقول: إن هناك قوى من خارج مصر تسيء إلى مصر والمصريين، وتلوث سمعتهم ومظهرهم، لأن المصري لا يسيء إلى بلاده أبدًا، والبلد في انحدار مستمر.

■ هل صحيح أن شقيقها المصور الفوتوغرافي شريف ذو الفقار، كانت لديه كافيتريا اسمها «لقمة» تقع في حي الزمالك؟

❑ هذه الكافيتريا بدأها في العجمي بالإسكندرية، حيث كانوا جميعًا (فريدة وأمها وأخواها) يقيمون في الإسكندرية بعد طلاقها مباشرة. وكانت الأم تطبخ بيديها وتعاونها الملكة وشريف يتعاون معهما في تقديم المأكولات التي هي عبارة عن مزَّات.

وكانت مقصد الطبقة الأرستقراطية في الإسكندرية، ثم أغلقت. ولم أسمع بأنه امتلك كافيتريا بالاسم نفسه في الزمالك.

وكما يعرف الجميع أن أم الملكة زينب هانم، كانت ابنة أحد رؤساء وزراء مصر السابقين.

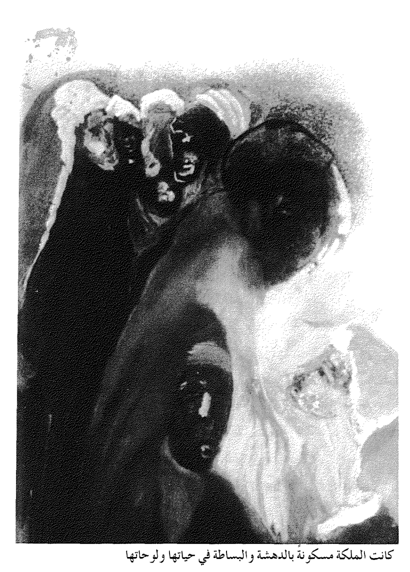
■ «التصوير عندي ضرورة وحاجة جسدية وروحية، وعندما أبقى زمنًا من غير أن أرسم، أكون حزينة».

وتقول: «أريد أن أجعل نَفَس الشرق يظهر بين يدي. ولقد تأثرت حين بدأت بفن الأيقونة، وأما الآن فأظنني تحررت من سلطان هذا الفن. وعندي أن الخيال هو الأهم، فنحن في حاجة إلى الشرود والفرار والرسم هو فرار أولاً للرسام، وينبغي أن يكون كذلك حيال الذين ينظرون إليه».

ألهذه الدرجة كان الرسم علاجًا للملكة فريدة وفرارًا من أحزانها وآلامها وذكرياتها؟



ـ هذا صحيح. لأنها قالت لي مرة: لولا الفن لانتحرتُ منذ زمنٍ طويل. فمنذ بدأت ترسم بالفطرة وهي في قصرها بالهرم وحيدة. كانت الفرشاة ملاذها وملجأها من الوحدة. حتى علم خالها الفنان الكبير محمود سعيد بهذه الموهبة الفطرية. فأتى بها إلى مرسمه. وظل يعلمها أصول الفن التشكيلي. لكنّها حتى بعد أن اكتسبت منه الخبرة. ظل فنها كما يطلقون عليه «فن الفطرة» إلى أن ذهبت إلى باريس ودخلت مدرسة اللوفر. لتدرس الفن على أصوله ومن منبعه.



كانت الملكة مسكونةً بالدهشة والبساطة في حياتها ولوحاتها

وتعلمت هناك شيئًا جديدًا هو إضافة في الفن التشكيلي اسمه «السنتيسيزم». وهو عبارة عن استعمال إضاءة للوحات بصفة خاصة. تحوِّل اللوحة من شكل إلى آخر وقد رأيتُ في قاعة «الشموع» أنَّ الضوء المصوّب نحو اللوحة يتدرّج في الإضاءة بصورةٍ غريبة لم أرها قبلاً، حتى إن لوحة لسيدة شابة تتحول فجأة إلى عجوز، والشتاء الغامق يتحول إلى صيفٍ مضيء، ثم تعاد مرة أخرى الظلمة. ويتجدَّد هذا الفن ويتدرج في كل لوحة حسب مشيئة الفنانة. ولما كنتُ أبدي دهشتي، كانت تضحك عاليًا ضحكة طفولية مرحة، وهي تقول: أنا أول واحدة تعلمت هذا الفن من باريس وهو السنتيسيزم.

■ كثيرون وجهوا انتقادات إلى الملكة الفنانة فريدة ذو الفقار، لأنها كانت تضع لوحاتها في معارضها التي أقامتها في القاهرة على حوامل، ولم تضعها في إطارات كما هو معتاد، فهل هذه وجهة نظر فنية من الملكة أم ماذا؟



❑ هذه الأشياء كانت تحدث في بداية معارضها فقط، حين كانت مفلسة. وحين أتت إليّ للمرة الأولى لإقامة معرض، وصنعت من بدروم فيلتي المهجور قاعة فسيحة ملأى بالحوامل واللمبات، والفن الخاص بها، وكانت فعلاً اللوحات دون «براويز» وقالت: أنا هكذا ومن يعجبه يشتري، ومن لا يعجبه يترك، ولن أبروز ولن أضيف شيئًا إلى بساطة هذا المعرض. رغم ذلك أقبل الناس واشتروا لوحاتها.

■ **الفنان الرائد محمود سعيد هو خال الملكة فريدة، وكذا الفنان الرائد سعد الخادم هو ابن عمتها، إلى أي مدى أثَّرا في حياتها الفنية كرسامة؟**

❑ محمود سعيد علَّمها الرسم. وسعد الخادم كانت تحبه جدًّا، وكان قريبًا منها. لكنَّ كليهما كان عبقريًّا في فنه، ولم تكن لتدرك هذه الدرجة من العبقرية، لكنها تأثرت بلا شك بتعليماتهما الفنية.

وحقيقي أن البعض انتقد طريقتها في الرسم، وقالوا: هذه خربشة وليست فَنًّا، ولم تكن تهتم بآراء من يقول هذا الكلام، لكن البعض شاهدوا لوحة أو لوحتين لديَّ وسألوا عمَّن رسمهما، وأصيبوا بإعجاب وانبهار . بل وذهلوا عندما عرفوا أن هذا رسم الملكة فريدة.

كانت تعشق ڤان جوخ، وتولوز لوتريك كرمزين في خطواتها الفنية.

ومن انتقدها ربما خطر بباله أن شهرتها جاءت من كونها كانت ملكة مصر، وليست عن طبيعة فنانة، ومع ذلك كان معظم من يشتري لوحاتها يتوقون فقط إلى توقيعها أيًّا كان ما باللوحة من رسوم أو خربشة.

■ **عندما أقامت الملكة فريدة معرضها في مارس *1980*، بفندق الميرديان، وكان عمرها وقتذاك *59* سنة، والذي ضمَّ *77* لوحة، زارها كبار الفنانين وعلي رأسهم شيخهم راغب عياد وكان وقتذاك في عمر (*88* سنة).**



د. لوتس والملكة فريدة والفنان الراحل صبري راغب خلال حضورهم معرض الفنان راغب إسكندر





الملكة فريدة مع السّادات المدير بفندق المريديان بالقاهرة الذي أقامت فيه معرضها

■ **كيف كانت علاقتها بالفنانين التشكيليين، وهل كانوا يجاملونها، بحكم قرابتها وكونها ابنة أخت محمود سعيد، وابنة خال سعد الخادم؟**

❑ ربما كان ذلك صحيحًا أولا.

لكنني لم أحضر هذا المعرض، وقد سمعت عنه بالطبع منها، ومن الناس حيث كنت أعيش خارج مصر وقتذاك. ولم تمكث وقتها سوى أيام قليلة في القاهرة، بعض الفنانين لاشك كانت علاقتهم بها للمجاملة، والبعض الآخر كان يشجعها ويعطف عليها، والبعض كان يعجب حقيقةً بفنها وإصرارها على المضي في التعلُّم والإتقان، لكنها كانت محبوبة من الجميع.

وممن كتبوا عنها بموضوعية الناقد الكبير الراحل مختار العطّار، والناقد الدكتور صبحي الشاروني.

■ **في أبريل 1984 التقت الملكتان فريدة وناريمان صادق (الزوجة الثانية لفاروق وأم ابنه الأمير أو الملك أحمد فؤاد باعتباره كان وصيًّا على العرش عندما قامت ثورة يوليو عام 1952). كيف كانت ترى ناريمان، خصوصًا أن لقاءها بها جاء بعد 33 سنة من القطيعة. وكما تعرفين أن المبادرة جاءت من ناريمان عندما أرسلت زهورًا إلى فريدة، حينما علمت بوجودها في القاهرة؛ ومن ثم أرسلت إليها فريدة دعوة لحضور معرضها الفني في فندق الميرديان، مع دعوة أخرى على فنجان شاي في شقتها بالمعادي؟**

❑ إحساسي بفريدة ومشاعرها وخلقها، ربما يتركان في نفسي الانطباع الذي يصوِّر لي شعورها تجاه



الملكة الأخرى ناريمان، حتى دون أن تتحدث عنها أمامي، ولو أنها تحدثت قليلاً.

مثل «نعم رأيتها»، «مسكينة»، «حظها سيئ»، «هي كمان عندها مشاكل». لكنّي لم ألحظ أي أثر لغيرة أو تحامل أو كراهية لها. وهذا يعني الكثير، أولاً أن الملكة فريدة تدرك تمامًا منزلتها - هي - من الملك فاروق، والظروف التي تزوَّج فيها من ناريمان، كما تنفذ بذكائها الحاد إلى شخصية ناريمان، التي لم تثر فيها كل هذه المشاعر.

لكن ما أعرفه، ومتأكدة منه، أنها كانت تحب ابنها (ابن ناريمان) الأمير أحمد فؤاد وكذا بناتها يحببنه.

وتفسيري للقائهما، أن فريدة لم تمارس في تصرفها تجاه الملكة ناريمان أكثر من المعتاد منها كإنسانة ذات خلق رفيع، وذوق عالٍ، وأدب جم.



د. لوتس والملكة فريدة ومعهما الفنان إيهاب شاكر حيث حضرتا معرضه



الدكتورة لوتس عبد الكريم تفتح خزانة أسرارها مع ملكة مصر

قَرَأْتُ كُلَّ ما حفظه مركز المعلومات بالأهرام، عن الملكة فريدة، ملكة مصر السابقة، واندهشت أن ليس لها إلاَّ ملفٌ واحدٌ، وهو لا يليق بتاريخ ومكانة الملكة. فالكتابات عنها قليلة، لأنها لم تكن على صلة وثيقة بالصحفيين، كما أنَّها لم تكن متاحة للإعلام، وكذا بسبب خروجها من مصر لسنواتٍ طويلةٍ.

أغلب الكتابات، إنْ لم يكن معظمها، صادرة عن أقلام وعقولٍ قرأت عن الملكة أو درست تاريخها، وهي بصدد دراسة تاريخ الملكية في مصر، لكنّني لم أجد إلَّا الكاتبة الدكتورة لوتس عبد الكريم التي كتبت عن الملكة من منظور المعايشة لها (طوال خمس سنوات)، وكذا قراءة تاريخها أيضًا الذي هو جزء مهمٌ في سياق تاريخ الملكية في مصر، بل تاريخ مصر الحديث.

وكتابة الدكتورة لوتس عبد الكريم أتت من لحم ودم، ليست كتابةً مجرَّدة، أو مجرَّد تسويد صفحات، أو نقل من مراجع وكتب، دون تمحيص أو بحث. كما أنها كتابة مُحِبَّةٌ وجارفة في شعورها وشعريتها، وكذا دقيقة في رصدها للتفاصيل والأحداث. لذا كان لابدّ أن أعرف أكثر عن الملكة من الدكتورة لوتس عبد الكريم، بعد أن قرأت كتابها عن الملكة فريدة الذي صدر في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، أي بعد وفاة الملكة فريدة بعامٍ واحدٍ.

ولا أنكر أن هناك أشياء كثيرة لم تقلها الدكتورة لوتس عبد الكريم، ربما لحساسيتها، أو لأنها تمس أشخاصًا لازالوا ولازلن على قيد الحياة، لكن على كل حال في هذه المحاورة، يستطيع المرءُ أَنْ يجد جديدًا يُضاف إلى كتابة الدكتورة لوتس عبد الكريم عن «فريدة مصر» – كما كان يُطْلَقُ عليها – ربما لم يسعفها الوقت لإنجازه عندما اضطلعتْ لتخصيصِ كتابٍ سيريٍّ فنيٍّ عن حياةِ فريدة (صافيناز) ذو الفقار وفنها، ومن ثم يمثِّل هذا الحوار وحوارات أخرى أجريتها معها، عن الملكة فريدة، نظرات

حوار أجراه أحمد الشّهاوي – مجلة اليقظة – الكويت – 23/1/2008 م.



ورؤى ووقائع جديدة ومختلفة، تُشكل مع الكتاب سيرةً ذاتيةً لم تكتبها الملكة. ولكن كتبتها وعاشتها صديقتها ورفيقتها الكاتبة الدكتورة لوتس عبد الكريم.

■ **في عام 1984 عثر «بنك مصر» في إحدى خزائنه الخاصة بزوجة سياسي مصري سابق، على تاج للملكة فريدة بين مجوهراتها، التي كانت قد رَهَنَتْها في مقابل قرضٍ بلغت قيمته 15 مليون دولار.**

هل تعرفين من هذه الزوجة؟ وكيف وَصَلَ التاج إلى يدها؟

❑ كُلُّ ما أعرفه أَنَّ الملكة فريدة كانت قد أودعت أموالاً في أحد البنوك، التي خضعت للحراسة، وتم الاستيلاء على هذه الأموال، التي كانت قد أتتها من أحد الأشخاص، فأقامت دعوى بأنها لا تخضع للمصادرة، باعتبار أنها أموالها الخاصة، ولا تمت بِصِلةٍ إلى أموال أسرة محمد علي، محاولةً استردادها، وإيقاف المصادرة، ولكنها لم تحصل على مالها.

وما عرفته منها أيضًا أن رجال الثورة استولوا على مجوهراتها وتيجانها، ضمن الأشياء التي صودرت بواسطة لجنة المصادرة. وبعد ذلك عَلِمَتْ أنها وزعت على نساء وبنات رجال الثورة، وجاءها الخبر أنها تُباع في أسواق سويسرا بأبخس الأثمان، لأنهم كانوا لا يدركون قيمتها، وعرف تجار المجوهرات قيمة ما أخذوه بأنها مجوهرات ملكية.

وقد أخبرتني ببعض الأسماء التي لا أستطيع ذكرها. وقالت لي: لقد رأيتُ بعيني مجوهراتي على صدر إحداهن.

■ **«تقول الملكة فريدة: من خلال بحثي الفَنِّي وصلتُ إلى ما يُسمَّى بـ «السنتيسيزم» وهو عبارة عن الحركة الضوئية الظاهرة للعين، المشكلة الأساسية في الدراسة التأثيرية هي انعكاس النهار أو الليل على اللوحة، وقد بذلتُ مجهودًا كبيرًا لتجميع ساعات النهار من الشروق حتى الغروب وبالعكس على لوحاتي».**

هكذا قالت الملكة فريدة ذو الفقار كفنانة تشكيلية.

هل كانت كائنًا ليليا أم نهاريًّا؟ وهل كنتما تتحدَّثان معًا بالعربية أم بالفرنسية أم بمزيجٍ بينهما؟

❑ كنا نتحدث بالعربية والفرنسية معًا، ولم تكن تسهر الليل أبدًا، بل كانت تنام مبكرًا وتستيقظ مبكرًا أيضًا، تتناول إفطارها في السابعة صباحًا، ولا تأكل إلَّا القليل جدًا.

■ **فكَّرت الملكة فريدة في عام 1975 أن تترجم القرآن إلى اللُّغة الفرنسية، مشيرةً إلى أنَّها درست اللغة العربية الفصحى دراسة كافية وتكلمها بسهولة عن العامية المصرية، وهذا يُسَهِّل لها الترجمة خصوصًا أنها قد قرأت القرآن كثيرًا.**

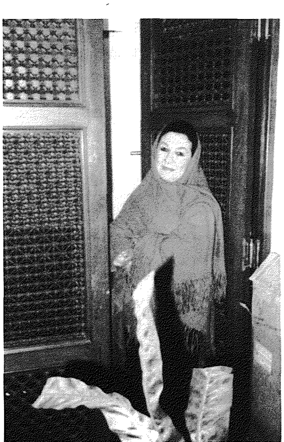
كيف كانت علاقة فريدة بربها، أو بالأحرى: هل كانت لديها ثقافة دينية واضحة؟



كانت لديها ثقافة دينية. وكانت شديدة الإيمان بالله، وبمعجزاته، وكان لهذا أثره على صمودها وتقبلها لما حدث لها من صدمات. كانت تحتفظ إلى جوارها بالقرآن والإنجيل وتقرأ في كليهما، وكانت تحيط ملابسها بالمصاحف الصغيرة والكبيرة. وكذا في مكتبتها وحقائب يدها، وقد أخذتُ عنها هذا التقليد. إذ كانت تتفاءل بالقرآن كثيرًا، وكانت تطلب منّي تفسيرات لآيات صَعُبَ عليها فهمها، أو تكلفني بالسؤال عنها لدى علماء الدين. وكانت تقول: إن الدين سلوكيات أكثر منه مناسك.

واتجهت في مرحلتها الأخيرة اتجاهًا صوفيا عميقا وعارمًا، إذْ كانت تختلي بنفسها ساعات لتناجي ربّها في صلاة طويلة خاشعة. وكنتُ أسألها وأنا أمازحها: كيف تتحدثين إليه، وبأية لغة؟ وأنت لا تتقنين لغة القرآن. وماذا تقولين له؟ وتطلبين منْهُ؟ فتجيبني مقطبة: أطلب السَّتر. **رغم أن الظروف لم تسمح لها بأداء مناسك العمرة أو الحج.**

أما أن الدين لديها سلوكيات. فهي في كل سلوكها كانت تُعبِّر عما تشعر بأنَّ به إرْضاءً لله. تعطف على المحتاجين. كريمة رغم حاجتها، صادقة في حديثها وتصرفاتها، لا تؤذي أحدًا حتى بالكلام. وترفض أن تسمع حتَّى التلميح بأي انتقادٍ للغَيْر. وكنتُ حين أبدأ الحديث عن شخصٍ ما، تُشيرُ لي بيدها أن قفي، إياك أن تحدثيني بشيء سيىء، أو أسمع أي كلام فارغ عن هذا أو ذاك. حين تزوج أخوها سعيد ذو الفقار من زوجةٍ أخرى اسمها «ليلى» من الإسكندرية، وهي كانت إحدى صديقاتي. منذ زمن قديم. رغم أنه كان زوجًا للأميرة نيفين يسري ابنة الأميرة شويكار، وله منها ثلاثة أولاد انتحر أحدهم الأكبر وكان طبيبًا. قلتُ لها: ليلى هذه أنا أعرفها لماذا فعل ذلك؟ فصاحت بي صيحةً شديدةً إياك أن تنطقي حرفًا واحدًا في حقّها «مالناش دعوة بالناس»، وهو حرٌّ في اختياره ويجب أن تحترميها؛ لأنها أصبحت زوجة أخي،



صورة نادرة للملكة فريدة وهي بـــ «الحجاب» في شقتها بسرايات المعادي



وأرسلت إليهما لوحة جميلة هديةً من رسمها: «أنا ما أحبش الكلام الكتير».

هكذا كانت كل أحاديثنا عن أشياء لا تهم أحدًا إلَّانا: الفن والجمال والله وذكرياتنا الخاصة. أما الناس - حتى أقرب الأقربين إليها - فلم تكن تحب الخوض في سيرة أحد.

وكنتُ أحيانا أسمع من بعض أقاربها أو من يعرفونها كلامًا لابد من إخبارها به. وفور أن أبدأ نطق أول كلمة تفهم هي ما سأقول وتنهرني على الفور قائلةً: «لا أريد أن أسمع».

كان فيها من أخلاق النبوة، كانت مؤمنةً، سليمة النية، نظيفة، مؤدّبة، محتشمة، لا تطيق أن تسمع الإساءة إلى أحد. وكانت تقول لي: الناس زمان كانوا كلهم مؤدبين. وكانت تنتقدني بشدّة أحيانًا، ومن باب الحب، فتقول لي أنت فوضى، حياتك بحاجة إلى تنظيم وتُعاملين الناس بسذاجة، وعفوية، لأنك طيّبة، وهذا - أيضًا - ضدك. كنتُ أضحك لأنها أطيب منِّي، وسذاجتها تفوق سذاجتي.

■ شَكَت الملكة فريدة من أن الصحافة الفرنسية لم تهتم بمعارضها وفنّها التشكيلي قائلةً: إنها ليس لها مكان في الصحف الفرنسية التي يسيطر عليها اليهود، معلِّلةً ذلك بأن كبار نقاد الفن التشكيلي في فرنسا ينحدرون من أصول يهودية.

كيف كانت تتعامل مع الذين يتناولون أعمالها الفنية. وإلى هذا الحد كانت حريصة على الصحافة، خصوصًا أنني أعرف أنّها كانت تجمع كل ما يُكتب أو يُنْشَر عنها في الصحف والمجلات؟

□ هي كانت تعتد كثيرًا بفنها، وتقول: «أنا فريدة، وفريدة في رسوماتي.. سيان أعجبتُهم أم لم اعجبهم».

وهناك الكثيرون الذين كانوا يعجبون بفنها، لأنه فن مخصوص مدروس، وكانت تحكي لي قصة كل لوحة، والإيحاء بها، وتقول: لا أرسم شيئًا لا أحبه. أحبَّت مصر فرسمت مصر، وكانت هذه أول لوحة رأيتها في منزلها في أول زيارة لي، وهي عبارة عن خطوط أفقية، ووجه مطموس المعالم تنحدر منه خطوط صغيرة كثيرة كأنَّها الدموع.

توحي بأنَّها لوحة امرأة حزينة مشوهة تبكي دموعًا غزيرة، حين سألتها قالت: هذه هي مصر. وكانت ترسم النيل والنخيل والحقول الشاسعة والسفن السارية، لأنها



د. لوتس والملكة فريدة في إحدى المناسبات



كانت تحب طبيعة مصر التي انطبعت في خيالها فرسمتها وهي في الغربة من خيالها، وكانت تحب الفلاحين والطقوس الشعبية الاحتفالية مثل رقصاتهم وحفلات السُّبوع وجني القطن، كل ذلك من الذاكرة التي كانت تعشق الفلاحين وحياة مصر الخضراء.

بدأت دراستها الجدية بالحفر «الليتوجراف»، وهو أصعب مراحل الفن التشكيلي، حتّى تعبت من الأبخرة والنقش على الحجر. فتحولت إلى طريق آخر هو «السنتيسيزم»، ومارست بقية دراساتها في مدرسة متحف اللوفر بباريس، فقال عنها النقاد الفرنسيون كلامًا جميلًا، وكان اسْمُها «فريدة مصر» لفرط رسومها المطبوعة في خيالها عن مصر. رسمت ابن البواب بحب في صورة، وأسمت الصورة «حُسَيْن». ورسمت الخادمة النوبية التي كانت تعمل لديها ثم سمعت عنها ما جعلها تكرهها فمزقت اللوحة. وأيضًا هي لم تكن على صلة بالصحافة إطلاقًا، وكانت تتجنَّب الرد على أي صحفي أو كاتب أو فضولي وربما كان ذلك هو السبب في عدم كتابة الكثير عنها.

■ **تقول الملكة فريدة: «بدأت حكايتي مع الرسم عام 1956 بتشجيع من خالي الفنان الشهير محمود سعيد الذي قال لي: ارسمي فالرسم ينسيك أحزانك، وعندما بدأت لم أجد خيرًا من الريف المصري أعكس فيه طموحي للهدوء والاستقرار والألوان الغنية التي كانت مفقودةً في القصر الملكي. وعندما هجرتُ القاهرة عام 1963 ارتحلت إلى بيروت لا أحمل معي سوى الريشة والرغبة بحياة عادية هانئة. ومن هناك انتقلت إلى باريس؛ لأبدأ من عاصمة الفن، وأبدأ بتشجيع العديد من الرسَّامين المعروفين. بدأتُ كإنسانة عادية طموح فنيًّا، ولا أنكر أن صفتي كملكة سابقة ساعدتْ على شهرتي. لكن ذلك ما كان ليتم دون عنصر الإبداع الحقيقي لديَّ. فكان أن أقمت عددًا من المعارض في كبرى العواصم العالمية.**

إلى أي مدى كانت الملكة تشعر بالحزن وتحمله داخلها عميقًا؟ وهل حقًّا كانت ترغب - كما تقول - في «حياة عادية هانئة». ومن أين أتى لها حب الريف المصري الذي لم تعرفه أساسًا في حياتها؟

❑ كانت إنسانة حزينة بمعنى كلمة الحزن، أي مكتئبة، وكانت تعالج من الاكتئاب بالإسراف في أخذ العقاقير التي أضرتها أخيرًا. ولا عجب فقد كانت ملكة فوق عرش ذي تاج، وانحدرت بها الأيام إلى امرأة عادية



الملكة فريدة مع شقيقها سعيد ذو الفقار



لا تملك حتى ثمن الدواء، واكتشفت في تلك الفترة طبيعة البشر الحقيقية، من لؤم وخسة ونذالة وخداع وكذب وخيانة، إذ انفض عنها الجميع حتَّى أفراد عائلتها وأقربهم إليها: بناتها وإخوتها والكل يتهمها بأنها السبب في تعاستهم، وكارثة لبلد بأسره بسبب طلاقها الذي قامت بعده ثورة يوليو *1952*، وأصبح الجميع في فقر وبؤس وَعَوَز وكانت كثيرًا ما تبكي وتقول لي: أتظنين حقًّا أنني السبب في كل ما حدث لمصر من كوارث. لو كنتُ أعلم هذا، ما انفصلتُ عن فاروق أبدًا، على الأقل من أجل سعادة هؤلاء البشر، وهذا البلد المنكوب.

رغم ذلك هي لم تكن تتوق أبدًا أو تندم على العرش والتاج، بل كنتُ أراها بسيطةً جدًّا تعشق البساطة في كل شيء: ملبسها، مأكلها، سلوكياتها، نزهاتها، وكانت تقول: يكفيني أن أعيش في راحة بال دون المظاهر التي تُسبِّب المشكلات والتعب.

لقد سألتها السؤال نفسه فضحكت وهي تقول: يا عبيطة أنا كنت ملكة هذا البلد ومعي ملك نطوف معًا جميع أرجاء مصر.. الريف والصعيد، حيث رأينا معًا كل ما شاهدت وصورتُ في لوحاتي.

■ الملكة فريدة ولدت عام *1921* وطُلِّقت من فاروق عام *1946*، فهي لم تتزوجه إلَّا أحد عشر عامًا فقط، وكانت لا تزال في أوج نضجها الأنثوي، ألم تفكر في الزواج بعد طلاقها مثلما فعلت الملكة ناريمان التي تزوجت مرتين بعد طلاقها من الملك فاروق؟

□ حينما سألتها السؤال نفسه، أجابتني: لقد كنت لفاروق، ولن أكون لأحدٍ غيره حتَّى أموت.



لوحة «الفَلَّاح» هي عملٌ تجريديٌّ شفيف يتعانق فيه الأزرق مع الأبيض ويشكلان متنًا أساسيًّا للوحة، وتأتي هذه اللوحة في سياق شغف الملكة بالفقراء والمهمشين والمعدمين



وفعلاً أنا لم أكن أراها تهتم بمظهرها الأنثوي، فتتجمل وترتدي الملابس الكاشفة، وتتبرج، وتمازح الرجال.

بالعكس كانت بسيطةً جدًا، جادة، ملتزمة، رغم جمالها الذي لم تنقص منه السنون، كانت فقط تهتم بالرياضة، رياضة بسيطة بالمنزل كل صباح، ثم ركوب الدراجة في شوارع المعادي ساعة أو ساعتين حسبما يحلو لها.

■ لماذا طلب الملك فاروق عند طلاقه فريدة من شيخ الأزهر وقتذاك أن يُوضع شرط في وثيقة الطلاق بعدم زواج فريدة من أحد لكن الشَّيخ رفض؟

□ هي كانت ترضخ دون أمرٍ من فاروق، لم تكن بحاجة إلى أوامر من فاروق لكي ترضخ، لأنها لم تكن تنوي أبدًا الارتباط بغير فاروق حتَّى الممات هكذا قالت وكانت تقول دومًا.

أما الملك فربما كانت من وجهة نظره أولاً أنه لم يطلقها كرها، وإنما كان هو الآخر يحبها ويغار عليها، وربما أنه استكثر أن تكون مليكته لرجلٍ آخر من بعده، وهذا ينتقص من شأنهما معًا.

■ قرأت أن الملك فاروق عرض على فريدة بعد ثورة يوليو 1952 أن تقيم في نابولي بإيطاليا حيث كان يقيم مع بناتها ولكنَّها رفضت ثم هاجرت إلى لبنان، وبعدها انتقلت إلى باريس ثم إلى لوزان بسويسرا وكان ذلك سنة 1963.

□ ربما لأن الجرح كان لايزال ينزف وقتذاك، ولم يكن قد جف بعد، والإهانة مازالت عالقة به، وهي التي تثير لديها كبرياءها وأنفتها ورفضها للقرب من إنسان أبعدها، وربما أيضًا لم تكن لتطيق وجوده قريبًا منها مع زوجة أخرى (ناريمان) وهما مفترقان، وربما أشياء أخرى كثيرة.

■ أليس غريبًا أن الوحيد الذي كانت تسأل عنه باستمرار هو أحمد فؤاد ابن الملك فاروق من زوجته الثانية الملكة ناريمان؟

□ ربما كان هذا ليس مؤكدًا.

ولو أني سمعتها - أيضًا - تتكلم عنه كثيرًا وبلونٍ من العاطفة، وأظن أن ذلك مرجعه إلى أنه حقَّق أمنيةً لفاروق الذي كان حبها أولًا وأخيرًا.

أما البنات فكن يعشقن أخاهن، وقد أقام عند فوزية (الابنة الوسطى) معظم أيام عمره حين ذهب إلى سويسرا، ثم انتقل إلى فريال بعد موت فوزية، وفريال (الكبرى) هي التي تقوم بالعناية به حاليًا، ويتقاسمان المعيشة بعد طلاقه من زوجته فضيلة.

والأمير فؤاد حسب ما رأيته مراتٍ عديدةً هو شخص يُحب فعْلاً، فهو إنسانٌ خجول، مؤدب، هادىء، تبدو في قسماته طيبة قلب شديدة وهو يُشْبه والده تَمَامًا.

■ وأنا أطالع ملف الملكة فريدة، لم أر أي اهتمام من جيهان السادات بالملكة فهي لم تزرها في مرضها، ولم تذهب لأداء واجب العزاء بعد وفاتها ولم.. ولم.. ولم..



بينما كانت سوزان مبارك على اتصال بها في المرض، ثم ذهبت إلى شقتها الصغيرة (غرفتان وصالة فقط) في سرايات المعادي وقدَّمت العزاء إلى بناتها وشقيقيها.

فكيف كانت علاقتها بجيهان السادات؟

❑ لم يكن لها بها أية علاقة. وهناك أشياء كثيرة لا تُقَال.

■ **قال عنها الفنان التشكيلي صلاح طاهر: إن فريدة كانت «هاوية للفن التشكيلي تعبِّر في تلقائية بالألوان والمساحات»، وهو كلام مُرْسَل يَنْفِي عنها أنَّها فنانة. كيف كانت علاقتهما معًا: فريدةً وصلاح طاهر؟**

❑ كانت علاقة حميمة، بل كانا صديقيْ فن، يلتقيان في الفن. وكلام صلاح طاهر له أساس من الصحة، إذ أن فَنَّها كما سماه النقاد كان فنًّا فطريًّا، وليس معنى هذا أنها لم تكن فنانة. وإنما هم يعنون أن به «براءة الأطفال» خصوصًا في البداية، حين خطت أول خط من خطوطها على ورقةٍ بيضاء دون دراسة، وهذه التجربة ضرب بها مثلًا خالها محمود سعيد حين قال: إنه فن رسومات الأطفال، وشجَّعها على الاسترسال في دراسة أعمق للفن.



هكذا دومًا كانت الملكة فريدة في حالة دهشة كما أن عمقها كان يدهش الجميع



صلاح طاهر كان طاهرًا بالفعل وقد عاشرتُه وعرفتُه عن قرب، لم يكن غيورًا أو حاقدًا ولم يكره أحدًا. لكنه كان مغرورًا بفنِّه، يفرق بين الجيّد والسيىء، ولم أسمعه مرة ينتقد رسومات الملكة فريدة، وقد حضر كل معارضها وكانت تحضر معارضه، بل كانت تزوره، وتأخذ عنه، وتستشيره.

■ قالت فريدة في إحدى المجلات الفرنسية ذات يوم: «لقد كان فاروق حبي ومع هذا ثرتُ عليه، ولم أعط قلبي لأحد من بعده». من المؤكد أن هناك أسبابًا وأسرارًا وراء هذا الطلاق لم تُنْشَر بعد، ربما يكون لديك بعضٌ منها؟

ـ لقد سبق أن قلت: إن فاروق وفريدة وقت الطلاق كانا طفلين لا يدريان من أمرهما شيئًا، ولم يكن أحدهما يعني كلمة طلاق أي أنهما اتفقا على الطلاق وهما لا يعنيان الطلاق، بل كأنهما يمزحان والذي حَدَث أنَّ بالقصر دسائس وخبايا ونيات سيئة تزعمها علي ماهر، الذي شجَّعه مع البعض على هذا الطلاق وهو وآخرون ممن كانوا يقصدون سحب العرش من تحت فاروق، لأن فريدة كانت أيقونة الحظ بالنسبة لفاروق، وكان الشعب المصريُّ يعبدها عبادةً، وبطلاقها منه فقد مَحَبَّة المصريين.

وقد قال له وقتها أحمد حسنين: من أجل عرشك أجِّل هذا الطلاق يا مولاي، ولكنَّه نُفِّذ، وكانت الثورة حتَّى بعد وصول ولي العهد، وتقدرون وتضحك الأقدار.

وظلَّت فريدة بعدها تشعر بعقدة الذنب في حقِّه وحقِّ مصر، وظل هو كذلك نادمًا على ما حَدَث.

■ في عام 1988 قرأت أن الملكة فريدة رفضت عرضًا لنشر مذكراتها قيمته مليون دولار من دار النشر الإسبانية هيللو، ولم يكن العرض الوحيد، إذ تلقت حوالي ثلاثين عرضًا بمبالغ مغرية على الرغم من أنَّها كانت في مسيس الحاجة إلى المال، وكانت تسكن في شقة بسيطة بالمعادي تتكون من غرفتين وصالة وتعيش معها أمها. وكانت تنفق على حياتها من بيع لوحاتها، والتي لم تكن يتراوح سعرها وقتذاك بين ألف وثلاثة آلاف جنيه مصري.. فلماذا رفضها الدائم لنشر مذكراتها. إذْ فعلتها قبلها وبعدها ملكات وأميرات وشيخات وقرينات رؤساء جمهوريات؟



صُورةٌ عائليةٌ للملك فاروق والملكة فريدة مع ابنتهما الأولى فريال– فبراير عام 1942 ميلادية



□ كانت فريدة تعتزُّ إلى حد كبير بكرامتها وكبرياء أحبائها وأسرتها، وكانت تقول: «إذا تكلمت فسأجرح الكثيرين ومنهم من هو على قيد الحياة حتّى الآن، وربَّما أسأتُ إلى التاريخ الماضي ثم الحاضر. وأنا لا أدري أين يكمن الخير».

فلم تكن تهتم بالأموال إطلاقًا، ملكة سلَّمت كل مجوهراتها للثورة غير نادمة، وكانت تخشى على سمعة مليكها، فربما آذته بأيٍّ من هذه المذكرات.

إن الحقائق تختلط أحيانًا بالزيف، ولا يعود المرء يدري أين الخطأ من الصواب!

■ **أعوام 1993 و 1995 و2006 قرأت أن الكاتب محفوظ عبد الرحمن وكذا الكاتبة الصحفية ماجدة خير الله، والكاتب الصحفي جمال بدوي، سيؤلفون مسلسلات تليفزيونية وإذاعية حول الملكة فريدة فهل اتصلوا بك باعتبارك أحد أبرز من لديه معلومات وتفاصيل وأسرار عن الملكة. وأنتِ ألم تحاولي أن تحوّلي كتابك عن الملكة فريدة الذي هو أصل كل ما كتب عنها إلى مسلسل؟**

□ أولاً لم يتصل بي أحد.

ولم أسمع إلَّا عن ماجدة خير الله، وما كان منِّي إلَّا أن ذهبت إلى ممدوح الليثي، وكان وقتها صاحب الأمر، وشكوتُ له من أن نجلاء فتحي اتصلت بي وكذلك جالا فهمي، وقالتا: إنه ربما تقوم إحداهما بدور الملكة فريدة في هذا المسلسل، وأظهرتُ له غضبي الشديد واحتجاجي إن حدث هذا بصورة لا تليق بالملكة وبأحداث من خيال الكاتبة، لأن أحدًا لم يتصل بي ولأني المرجع الوحيد لأيام الملكة في سنواتها الأخيرة في مصر، وقدمتُ له كتابي عن الملكة فريدة ورجوته الاتصال بي إن حدث شيء مثل هذا، حتى يكون لي دخل في تصحيح أي خطأ أو محو أي جرح أو إهانة تلحق بالملكة فريدة العزيزة على قلبي جدًّا.



أسرار السنوات الخمس الأخيرة

في حياة الملكة فريدة آخر ملكات مصر

تكشفها الدكتورة لوتس عبد الكريم

كان مقررًا لي أن أنشر ثلاث حلقات فقط عن سيرة الملكة فريدة، السيرة الشخصية والخاصة والسرية التي تعرفها ـ فقط ـ الدكتورة لوتس عبد الكريم مؤسِّسة مجلة الشِّموع، وزوجة عبد الرحمن العتيقي وزير النفط والمالية الأسبق في الكويت، والمستشار الشخصي لأمير الكويت، لكنني فوجئت بأن لديها الكثير من الأوراق والوثائق والصور المدهشة، التي هي جزء من تاريخ مصر، ولا يمكن تجاهلها، فقلت أستمر مع الدكتورة لوتس عبد الكريم التي سلمتني بأريحية عالية، وكرم كبير جزءًا من هذه الوثائق الأصلية، والتزمت معها، على أن أعيدها في اليوم التالي، خصوصًا أن بعضها لا يقدر بمال، لقيمته المعنوية والرمزية والتاريخية.

وعندما يُفتح الحديث مع الدكتورة لوتس عبد الكريم عن الملكة فريدة، فإنها تفيض وتستفيض وتقدم الجديد دومًا، على الرغم من أنها قدمت قبل سنوات كتابها الأصل والمرجع عن الملكة، وعنوانه «الملكة فريدة» وقد صدر في طبعة فخيمة، إذ هو كتاب فنيٌّ بالأساس، لذا كان يباع بمئة جنيه مصري، ومع ذلك نفدت طبعته الأولى، وقد قررت الدكتورة لوتس عبد الكريم طباعته بشكل شعبي لكي يكون في متناول الجميع مع إضافات وزيادة جديدة للكتاب.

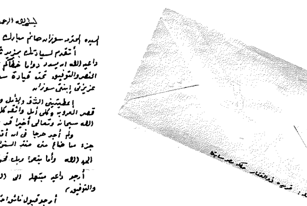
بعد أن أنهيت حواري مع الدكتورة لوتس عبد الكريم قدمت لي - بعد الصور النادرة طبعًا - ثلاث مفاجآت: خطاب موجَّه من الملكة فريدة إلى السيدة سوزان مبارك، جواز سفر الملكة، ثم جواز سفر أم الملكة، وقبل البدء في تفاصيل الحوار، نسرد لهذه المفاجآت.

أولا : الخطاب

ونقرأ على المظروف الخارجي: السيدة المحترمة سوزان هانم مبارك، حرم السيد رئيس جمهورية مصر العربية، خاص وسري. ومن الخلف نقرأ: الراسلة: فريدة ذوالفقار ملكة مصر سابقًا.

حوار أجراه أحمد الشّهاوي – مجلة نصف الدنيا 18/11/2007 ميلادية .





المظروف الذي حوى الرسالة التي قدّر لها ألا تصل إلى السيدة سوزان مبارك

صورة من الخطاب الموجّه من الملكة فريدة إلى السيدة سوزان مبارك قرينة الرئيس محمد حسني مبارك

أما نص الخطاب الذي تم تحريره في *1982/8/18* بتوقيع فريدة ذوالفقار فهو كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدة المحترمة سوزان هانم مبارك

أتقدم لسيادتك بمزيد شكري وامتناني لحسن المقابلة، داعية الله أن يسدد دومًا خطاكم، وأن يحقق لجمهورية مصر العربية النصر والتوفيق تحت قيادة سيادة الرئيس مبارك.

عزيزتي ابنتي سوزان

أعطيتني الثقة والأمل، وأنا في ظلمة يأسي فلقد غادرت قصر العروبة وكلي أمل وواثقة كل الثقة على غير العادة، من أن الله سبحانه وتعالي أخيرًا قد منَّ علي بالصدق.

ولم أجد حرجًا في أن أقول إنه فعلًا اليوم قد رُدّ إلي جزء مما ضاع منِّي منذ السنوات الطويلة الماضية، ولكن أقول الحمد لله وأما بنعمة ربك فحدث راضية بما قسم الله لي.

أرجو داعية مبتهلة إلى الله أن أراكِ دائمًا في أسعد الأحوال والتوفيق،

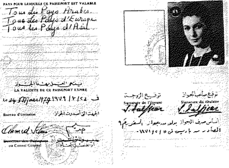
أرجو قبول فائق احترامي

تحريرا في *1982/8/18*

فريدة ذوالفقار

ويبدو أن الملكة كانت قد أعدت الخطاب لإرساله إلى السيدة سوزان مبارك، لكنها لظروف لا نعلمها لم تستطع إرساله، لكنه يظل وثيقة مهمة واعترافًا لافتًا، خصوصًا أن الرئاسة كانت ترسل مبالغ مالية من حين إلى آخر إلى الملكة فريدة مع أحد المسئولين الكبار.





هذا الجواز صالح للسفر إلى البلاد الآتية
PAYS POUR LESQUELS CE PASSEPORT EST VALABLE
Tous les Pays Arabes
Tous les Pays d'Europe
Tous les Pays d'Asie

ينتهي العمل بهذا الجواز
LA VALIDITE DE CE PASSEPORT EXPIRE
le 24 Mars 1979 في ١٩٧٩/٣/٢٤
Bureau d'émission الجهة التي أصدرت الجواز
Ahmed Selim
ou Consul Général

Photographies الصور

توقيع صاحب الجواز Signature du titulaire
توقيع الزوجة Signature de l'épouse

أساس صرف الجواز بدلاً من جواز السفر رقم ٩ الصادر من باريس في ١٩٧١/٢/١١

بعض بيانات جواز سفر الملكة فريدة

ثانيًا : جواز سفر الملكة فريدة

ورقمه *216* وقد صدر من باريس في *1974/3/25* واسم صاحبة الجواز: صافيناز يوسف ذوالفقار، أما المهنة: ملكة مصر السابقة. محل الميلاد: الإسكندرية. تاريخ الميلاد *1921* (*1921/9/5*)، محل الإقامة القاهرة. وأساس صرف الجواز: بدلًا من جواز السفر رقم *9* الصادر من باريس في *1971/2/11*، وينتهي العمل بهذا الجواز في: *1979/3/24*.

أما الذي وقَّع الجواز فهو القنصل العام في باريس وقتذاك أحمد سليم وداخل الجواز نعرف أنها سافرت إلى بيروت في *18* من مايو *1974* وخرجت منها في *19* من أغسطس *1974*، كما أنها وصلت إلى القاهرة في *3* من ديسمبر *1974*، و*3* من سبتمبر *1975*.

ثالثًا : جواز سفر والدة الملكة فريدة

ورقمه *17241*، والجهة التي أصدرته القاهرة، وتاريخ الإصدار *2* من مايو *1970*، واسم صاحبة الجواز زينب ذو الفقار «المولودة» زينب محمد سعيد.

المهنة: أرملة، محل الميلاد: الإسكندرية، تاريخ الميلاد *1895*، محل الإقامة: القاهرة. وينتهي العمل بهذا الجواز في *1973/5/1* وعنوان حامله بالجمهورية العربية المتحدة: *22* شارع بن زنكي ـ الزمالك، وقد تجدد هذا الجواز في *1973/7/2*، وينتهي العمل به في *1976/5/1*.

بيانات جواز سفر والدة الملكة فريدة زينب ذو الفقار

ومن طرائف هذا الجواز نقرأ ما نصه، جمرك مطار القاهرة: شوهد مع سيادتها عند السفر راديو ترانزستور ماركة *Syno* مستعمل قيمته عشرة جنيهات، يراجع عند العودة. بتاريخ *1973/8/10*.



والآن بعد مفاجآت الدكتورة لوتس عبد الكريم، نذهب إلى النص الكامل لحواري معها:

■ **مصطفى أمين هو أول صحفي مصري يقود «حملة» ضد الملك فاروق بعد تنازله عن العرش. أعرف أنه كانت تربطه علاقة طيبة بالملكة فريدة، وقد قدم كتابك «الملكة فريدة وأنا».. كيف إذن كانت تتعامل معه، وهو الذي قال الكثير عن زوجها الذي عرف الجميع ـ بعد ذلك ـ أنه غير صحيح، وفيه كثير من المبالغات والأغلاط، خصوصًا فيما يتعلق بفساده وعلاقاته بالنساء؟**

□ مصطفى أمين هو بنفسه من حضر إلينا في الفيلا 21 شارع 150 المعادي حيث «قاعة الشموع» في الدور الأرضي منها، وكانت الملكة فريدة تعرض فيها أعمالها، وهو أول شخص ساعدها وكان يجلس إليها بمحبة وود شديدين، حتى إنه ذات مرة أحضر جماعة سعوديين وقال لي: إنهم يريدون شراء لوحات من الملكة وكنا نبيع اللوحات بقصد الكسب، لأنها كانت بحاجة إلى المال وهو يعرف ذلك، وهم إذن جاءوا للمساعدة في ثوب الشراء، وقال لي هم لا يفهمون في الفن، حاولي أن تختاري لهم أردأ ما رسمت الملكة، لأنهم لن يفهموا ويعني بذلك أرخص، واطلبي فيها أغلى ثمن، لأنهم سيدفعون، وفعلًا أعطيتهم ما طلبه مني، وأخذت منهم النقود وفرحت بها الملكة فرحًا شديدًا. بعد ذلك جاء مصطفى أمين مرة أخرى بشخص عربي أيضًا، وقد أحضر معه هدايا كثيرة جدًّا من أشكال وألوان لا تمت بصلة إلى طبقة الملكة، مثلًا أثواب طويلة سعودية، وأقمشة حريرية ملونة ذات ألوان فاقعة، وأمشاط، «طفايات» من النحاس والفضة، وفرحت به الملكة فرحًا شديدًا جدًّا رغم ضآلة قيمة الهدايا، وكانت تضحك كطفلة كسيرة وتقول: هكذا يدلعني ويحضر لي الهدايا.

إنها تنم عن طيبة قلب ولا يعنيني الذوق، فهو يريد أن يفرحني، وفوجئنا بعد ذلك بمظروف به نقود داخل الهدايا .

هكذا كان مصطفى أمين يحاول مساعدتها بكل الوسائل، وكانا يتسامران لساعات طويلة، وهو الصحفي الوحيد الذي كانت تعطيه من وقتها الكثير.

■ **كم كانت أسعار لوحات الملكة فريدة وقتذاك؟**

□ كانت تتراوح اللوحات بين ألفين وثلاثة آلاف جنيه، وأحيانا ألف جنيه، سواء كانت لمصريين أم عرب.

■ **هل لديك تفسير ما لارتفاع قيمة لوحاتها الآن إلى مئة ألف جنيه وأكثر.. خصوصًا أن هناك من يريد الشراء؟**

□ هذا الأمر باستطاعتنا أن نعممه بالنسبة للجميع، وليس الملكة فريدة وحدها، فكل الفنانين الذين ماتوا ارتفعت أسعار لوحاتهم بصورة غير عادية.

أما الملكة فريدة فكان العرب تحديدًا ومعظم من كان يأتينا للشراء لا يفهمون في الفن إنما كانوا يريدون فقط توقيع الملكة فريدة.



■ ذكرت لي الآن أنها لم تكن توقّع على لوحاتها الحديثة فما السبب؟

□ لم تكن توقّع إلّا حين الشراء. لا أدري ربما السرقة، أو لأن الناس كانوا يريدون التوقيع فقط.

ولدي لوحات بتوقيعها القديم وهو فريدة *Farida* بالإفرنجي، أما بعد ذلك فكان التوقيع (ف.ف) ومعناه (فريدة فاروق)، وقد استمر حتى مماتها.

■ كم لوحة تملكينها للملكة فريدة؟

□ لا أملك سوى القليل جدًا، وهو الذي أهدته لي بنفسها في حياتها.

أما بقية اللوحات فبعد موتها حضرت إلى «قاعة الشموع» بناتها الثلاث، وحملن معظم اللوحات معهن إلى سويسرا، والبعض الذي لم يعجبهن تركنه لي فأقمت معرضًا وحفلًا، لأن اللوحات كانت عبارة عن ورق مُلتوٍ ولم تكن من جيد لوحاتها، مما أجادت رسمه، حتى إن أقاربها تعجبوا وتوقعوا أن يفشل المعرض. لكنهم فوجئوا ببراويز ذهبية وتنسيق بديع. أعطى للوحات شكلًا آخر، وتهافت الناس على الشراء في هذا المعرض. وكان ذلك قبل سفر بناتها، ولأني أعرف أنهن بحاجة إلى النقود فقد أعطيتهن ثمن ما بيع.

وأحاول الاتصال بكل من أهدته الملكة في حياتها، أو باعت له مما رسمت لآخذ هذه اللوحات مرة ثانية بأي ثمن، لأنها كانت بالنسبة لي أشياء ثمينة لو أعرف أنها ستموت ما كنت أفرط فيها أبدًا.

■ هل كان الملك فاروق يعرف أن زوجته ترسم؟



الملكة فريدة خلال معرضها الذي أقامته في المنامة عاصمة البحرين



❑ لم تكن ترسم وهي ملكة، لكن كانت لديها موهبة الفن، ولم ترسم لوحة واحدة في أيام الملكية.

■ **هل تتذكرين متى بدأت الرسم؟**

❑ بدأت ترسم بعد طلاقها من فاروق.

■ **كيف كانت تتعامل الملكة مع الذين يشترون لوحاتها؟**

❑ ذات مرة اقترحت عليها سيدة عربية تقيم المعارض بالكويت، أن تقيم معرضًا لها هناك، على شرط أن تقاسمها خمسين في المئة من قيمة البيع، وأيضًا بحيث تسافر الملكة على نفقتها وكذلك الإقامة، وامتعضت الملكة من هذا العرض وقالت لي: لن أكسب بهذه الطريقة شيئًا، وسأتعب على الفاضي، لكن ماذا أفعل وأنا محتاجة إلى الفلوس ووافقت أخيرًا، وبعد أيام من هذا الوعد اتصل بها الكاتب الكويتي سليمان العسكري رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية، وكان وكيلًا لوزارة الثقافة وقتذاك، واقترح أن تقيم الوزارة معرضًا لها على حسابهم وكذلك تذاكر السفر والإقامة وصافي المكسب لها كله، ففرحتُ أنا وقلت لها: والله حظنا كويس نقبل هذا العرض، وإذا بي أفاجأ بأنها تثور في وجهي قائلة: «**كيف أعد وأخلف وعدي حتى لو خسرت كل ما أقدمه**» هذه كانت أخلاق الملكة فريدة· وارتبطت بالوعد الأول الخاسر.

■ **كانت أم الملكة فريدة تعمل وصيفة لدى الملكة نازلي أم الملك فاروق، ألم تعمل حسابًا لهذه العشرة في تعاملها بعد ذلك مع فريدة، خصوصًا أن الملكة فريدة أعلنت بعد ذلك أنها كانت تعاملها بقسوة، وتكيد لها، وتحقد عليها، وتعمل لها أعمال السحر، وغيرها من الأمور التي ذكرتها فريدة؟**

❑ لا أظن أن الصداقة بينهما كانت حائلًا دون الغيرة والغل أحيانًا، أو سوء التفاهم، وربما لأن التاج قد انتقل إلى فريدة التي كانت هي الملكة المتوجة.

■ «لولا صغر سن فريدة لما حدث الطلاق» هل تؤمنين بتلك المقولة التي قال بها الكثيرون؟

❑ لا.

ليس من ضمن أسباب الطلاق صغر السن، ولا الخناقات ولا الغيرة، كما قيل، ولا سوء التفاهم الدائم بينها وبينه، حتى على رغبته في وجود ولي عهد، فمن أنجبت البنات يمكن أن تنجب البنين لو صبر الملك قليلًا، لكن الطلاق أو التفرقة في اعتقادي تم بإيعاز من أناس مغرضين التفوا حولهما وأفسدوا مزاج الملك، وضخموا سوء التفاهم، ولم تعن فريدة أبدًا أن تطلب الطلاق ولم يعن هو أيضًا أن يطلقها، وسأزيد فأقول: إنهما كانا متحابين حتى آخر لحظة، لولا ضغوط من جوانب سياسية على الملك لإقناعه بفكرة الطلاق لسحب العرش من تحته، لأن فريدة كانت محبوبة من الشعب المصري وكانت فأل خير عليه.

هؤلاء المغرضون كانوا يودون الإطاحة بعرش الملك فاروق، وفعلًا حدث هذا، حتى إن العروس الجديدة (ناريمان) قيل إنها فأل سيئ، ولم تبق معه كملكة غير شهور، وانتهى المُلك بعد ذلك.





الملكة فريدة خلال زيارتها إلى البحرين حيث أقامت معرضًا لها عام 1986 وفي الصورة مع الفنان عباس الموسوي والفنان عبد اللطيف مفيد

وقد ظلا (فاروق وفريدة) بعد الطلاق صديقين، وقد أهداها قصر الطاهرة الذي اغتصبته الحكومة المصرية بعد ذلك، بعدما اغتصبت قصرها في الهرم أيضًا، وبيع لأحد أمراء قطر.

لم يكن بينهما اتصال دائم، لكني أعتقد أنه بين وقت وآخر كان يوجد هذا الاتصال.

وقد علمت سرًّا لم يعرفه أحد قبل ذلك أبدًا، وهو أنه ردها كزوجة مرةً أخرى قبل وفاته بسنوات قليلة، ولكنها تكتمت هذا السر حتى آخر لحظة في حياتها للمصلحة طبعًا.

ولذلك لم تكن تخلع من يدها خاتمًا عليه صورة الملك فاروق، وعاشت نادمة بعد أن كان الكل يعايرها بأنها السبب في هدمه وضياع عرشه وقيام الثورة، الإخوة وبناتها والأقارب وأنها السبب فيما لحق بالجميع من بؤس وفقر.

■ هل يمكن أن تقولي لي من هو «نيفل بيرد» الذي كانت تربطه «صداقة» ما بالملكة فريدة، وأين هو الآن؟

❑ كان من وقت إلى آخر يحاول بعض الناس الاتصال بالملكة فريدة، أو التقرب إليها، فكانت تهرب وتلوذ بالوحدة، لأنها كانت تخشى الناس، ولا تثق في أحد، لكن كان بداخلها لون من الشفافية التي تخمن بها الشخص الطيب من الرديء، وبالتالي لم يكن لها أصدقاء، لأنها تعتقد أن كل الناس لا خير فيهم، حتى أنا كانت تبعدني أحيانًا عن أناس كثيرين.

أما نيفل الإنجليزي الجنسية، فقد تعرفنا إليه في لقاء ثقافي، فهو أستاذ متخصص في الموسيقى، وعاشق لمصر التي ظل بها عشرين عامًا، وكان يفهم في كل كبيرة وصغيرة، والملكة كانت بحاجة إلى



من يساعدها، فكان يدق لنا الأبواب والمسامير والحوامل ويرتب اللوحات، وأحيانًا يطبخ رغم أنه مثقف ثقافة كبيرة، لكنه كان وحيدًا يعاني من اكتئاب كان يعالج منه، فكان ثلاثتنا على تشابه كبير في الخصال، وهو طيب القلب ونقي ومهذب،وقد عاد بعد موتها إلى بريطانيا، لكنه ظل على اتصال دائم ببناتها وبي.

■ **أين شقيقها الفنان شريف ذو الفقار، وهل كان له دور في حياة الملكة فريدة، وأين شقيقها الآخر سعيد ذو الفقار؟**

❑ شريف كان مصابًا بشلل الأطفال من جراء سقوطه من فوق الحصان في طفولته، لكنه كان يقود سيارته، ويحضر إلينا كثيرًا، وكان يسكن وحده في المهندسين في شقة صغيرة، وكان يعمل بالتصوير في دار الهلال.

أما سعيد فكان مديرًا لبنك الإسكندرية، وبعد إحالته إلى المعاش تزوج من سيدة إسكندرانية (رغم زواجه من نيفين يسري كريمة الأميرة شويكار وله منها ثلاثة أولاد) وهاجر معها إلى كندا بعد وفاة الملكة.



الملكة ناريمان الزوجة الثانية للملك فاروق

■ **أوفدت مع الملكة فريدة عندما قررت السفر إلى سويسرا لرؤية بناتها وأحفادها الخادمة الفلبينية «دوريس»، أين هذه الخادمة الآن؟**

❑ لا أدري.

كانت تلازمها في غرفتها بمستشفى النيل بدراوي في المعادي، الذي ماتت فيه، وبعد موتها اختفت الخادمة ولم تتصل بي ولم تمكث معها إلَّا شهورًا قليلة.

■ **«سامية» فتاة كانت ملازمة للملكة والتي تربت في القصر، ومنذ ميلادها - كما قلت في كتابك - وهي تنظم مواعيد وأوراق الملكة وتلازمها وتطبخ لها أحيانًا.. أين سامية الآن؟**

❑ سامية الآن مع أهلها، تعيش مع إخوتها، وقد لازمت شريف بعد وفاة الملكة، وبعد وفاة شريف انتقلت إلى مكتب ابن عمته للعمل ثم تركته بعد وفاته أيضًا، وانضمت للعمل في مقر «مجلة الشموع» فترة من الوقت.



الملك فاروق مرتديًا زي البحرية

■ **«منذ سلمتهم مجوهراتي وأنا لا ألبس إلَّا الفالصو».**



هل حقيقي كلام الملكة؟

❑ طبعًا.

لم يكن لديها سوى الخاتم الملكي، وبعض «الغوايش» الذهبية أعطتها لي قبل دخولها المستشفى، وأنا سلمتها بالتالي إلى بناتها.

لقد أخذت لجنة المصادرة، التي شكلتها ثورة يوليو كل ما تمتلك من مجوهرات.

■ **ما دور «نبوية الدادة» في حياتها، خصوصًا أنها رافقتها في طفولتها؟**

❑ دادة نبوية كانت تحكي لنا الأساطير والحواديت، وهي عجوز سودانية، وقد رأت بعينيها نهاية الملك، ومع ذلك ظلت ترافق الملكة وأخاها شريف حتى آخر يوم في حياتها.

وقد رأت بعينيها كيف خرجت الملكة من قصرها، وكيف صودرت الأموال، وكانت ملازمة لأم سامية، وقد ماتت بعد وفاة شريف شقيق الملكة.

■ **«رأيت بنفسي مجوهراتي فوق صدر إحدى زوجات رجال الثورة، وياليتها ذهبت إلى مصر أو حتى بقيت في المتحف»، هكذا قالت لك الملكة فريدة وقدمت مفاجأة مدهشة، حيث قالت مؤكدة: إن مجوهرات أسرة محمد علي المعروضة في قصر الأميرة فاطمة بالإسكندرية جميعها مزورة وليس فيها شيء واحد من مجوهرات الأسرة الحقيقية، والتي سرقت لأنهم لم يكونوا يدركون قيمتها.**



كانت الملكة فريدة حريصة على التقاء من تراهم في المعارض والتجمعات الثقافية والمناسبات الاجتماعية والتحدُّث إليهم



كيف تفسرين ذلك، أو هل لديك تعليق، أو هل يمكن أن نصدق هذه الرواية؟

□ طبعًا.

لأن هناك أشخاصًا هم الذين يميزون الحقيقي من المزيف، فثبت منهم أن هذه المجوهرات مزيفة.

والمجوهرات الملكية كانت معروفة عالميًا، ولما كانت تباع في الأسواق كان التجار الأوروبيون يكتشفون فورًا أنها ليست أشياء عادية، وأنها تنتمي إلى الأسرة الملكية في مصر، وقد بيعت بأسعار بخسة، أقل كثيرًا من قيمتها الحقيقية لأنهم لم يكونوا يعرفون قيمتها الأصلية.

■ **هل لديك تفاصيل أكثر عن حكاية طلب الضابط جمال سالم (رئيس لجنة المصادرة وقتذاك) الزواج من الملكة وكيف طردته؟**

□ لم تكن تحب أن تفصِّل، حين تقول الكلام تندم على قوله، معلقةً: «أوعى تقولي الكلام ده لحد» وكان من الممكن ترك بعض الأشياء لها، لأن هناك أميرات رضين الارتباط ببعض ضباط الثورة، وخرجن بمجوهراتهن الثمينة وأشيائهن النادرة كما هي.

■ **كون أن يوسف صبري أبو طالب محافظ القاهرة وعبد الأحد جمال الدين رئيس المجلس الأعلى للشباب وماهر أباظة وزير الكهرباء (وكلهم أسبقون أو راحلون) وغيرهم قد حضروا افتتاح معارض الملكة التشكيلية يعني أنه لم يكن مغضوبًا عليها؟**

□ ومن قال إن هناك إنسانًا غضب على الملكة. كانت محبوبة وهي ملكة، ومحبوبة حين تركت المُلك. لكن لم يكن لها معارف ولا أصدقاء لعدم حبها الاختلاط أولًا، ولأن الناس كانوا يخافون الاقتراب منها، حتى إن البعض كان يتعجب من شجاعتي، والبعض كان ينهرني ويحذرني، ولا أدري ممَ؟ يبدو أنهم كانوا يعتقدون أن وراء ذلك محاسبة من أولي الأمر.

لكنني كنت سعيدة وكنت أشعر بأنني كسبت كسبًا مبهرًا، وطالما ندمت حتى الآن أنني لم أقترب أكثر، إذ كنت أتركها أحيانًا لبعض مشاغلي، ولم أكن أعرف أنها ستموت وتفارقني هكذا سريعًا.

■ **في كتابك نجد صورة للملكة مع صديقتها سعاد حمدي كما ذكرت، من تكون سعاد حمدي؟**

□ إحدى قريباتها وصديقة من صديقاتي، وكانت سيدة أرستقراطية، توفيت في عام (2007 ميلادية)، وكانت تعيش معظم وقتها في السعودية لقرابتها من الملكة عفت زوجة الملك فيصل.

■ **كيف تكونت العلاقة بين الملكة فريدة و د. نعمات أحمد فؤاد، وما شكل العلاقة بينهما؟**

□ جاءت هذه العلاقة عن طريقي، لأن د. نعمات كانت من كُتّاب مجلة «الشموع»، ونعمات معروف عنها عشقها الشديد لمصر، فكانت تقول جلست على عرش مصر، فهي قطعة من مصر، ويجب أن تُعامل كملكة حتى آخر يوم في حياتها.



أسرار النساء والجنس

في حياة الملك فاروق كما روتها زوجته

روت الكاتبة والأديبة المصرية د. لوتس عبد الكريم مؤسِّسة وصاحبة مجلة «الشموع» الثقافية قصة الأيام الأخيرة لصديقتها المقربة الملكة فريدة، الزوجة الأولى للملك فاروق الأول، آخر ملوك مصر، وأم بناته الثلاث.

وقالت في حوار مع «العربية.نت»: إن هذه الملكة التي أحبها الشعب المصري، وثار على الملك فاروق بسبب تطليقه لها إثر خلافات بينهما، أكدت لها أنها لو كانت تدري أن فاروق سيفقد شعبيته ثم عرشه بسببها، لبقيت معه وظلت تسانده في وجه مؤامرات رجال القصر ضده.

ونقلت عنها أنها كانت تستطيع التأثير عليه لكي يرفض وثيقة التنازل عن العرش لولي عهده، الرضيع في ذلك الوقت، والذي كان عمره ستة أشهر فقط في 23 يوليو 1952، عندما قام ضبَّاط الجيش بحركتهم التي نفوا بعدها الملك فاروق إلى إيطاليا، في خروجه التاريخي الشهير مع بعض أفراد حاشيته وزوجته الثانية الملكة ناريمان والدة ولي العهد، الذي صار ملكًا تحت الوصاية لفترة قصيرة، أعلن بعدها إلغاء الملكية نهائيًا وإعلان الجمهورية.

وأضافت أن الملكة فريدة كانت واثقة بأن الأحداث التي ترتبت على حركة الضبَّاط في 1952، لم تكن لتسير بالشكل الذي سارت عليه، فيما لو كانت قريبة من العرش، ولنصحته بالتمسُّك به وحمايته، والحصول على دعم حرسه الملكي.

ووصفته الملكة فريدة – حسبما تستطرد د.لوتس – بأنه كان أبيض القلب، حنونًا للغاية، بريئًا كطفل، ولم يكن زير نساء يحيط نفسه بالعشيقات والفنانات، كما أفاضت القصص الصحفية في ذلك، ولا يشرب الخمر على عكس كل ما كتب عنه، فقد كان يكره رائحتها.

حوار أجراه فرّاج إسماعيل لـ «العربية نت» 19 من أكتوبر 2006 ميلادية.





الملك فاروق

الملكة ماتت فقيرة

وأشارت د. لوتس إلى أن الملكة فريدة كانت ذكية ومثقفة ولمَّاحة، مزجت أرستقراطية عائلتها الراقية، بحبها لطبقات الشعب، وظلت لآخر نَفَس في حياتها تعشق بلدها وتوصي به من خلال علاقاتها مع كبار كتَّاب مصر، مثل مصطفى أمين، وأنيس منصور، وأحمد بهاء الدين، وصلاح منتصر.

وماتت الملكة فريدة فقيرة في شقة صغيرة، منحتها لها الدولة بعد عودتها من غربتها في باريس، ولم تجد سليلة القصور الفاخرة التي تئول لأبيها ومنها قصر الطاهرة الشهير في القاهرة، مكانًا تعرض فيه لوحاتها التشكيلية.

وللكاتبة لوتس عبد الكريم ملف زاخر بالذكريات مع كبار كتاب وأدباء ومثقفي مصر الراحلين، وفي مقدمتهم الكاتب السياسي والروائي إحسان عبد القدوس، ومصطفى أمين، ونجيب محفوظ، ويوسف السباعي، ود. سمير سرحان، ومحمد عبد الوهاب، والملكة فريدة، ويوسف وهبي، ويوسف إدريس، وسناء جميل، ومصطفى أمين، وسيد مكاوي، ومحمد حسن الزيات، وفؤاد سراج الدين، ومحمد زكي العشماوي، ومحمود مرسي، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل.

ولها عدة كتب ومذكرات تروي أسرار شخصيات مهمة في تاريخ مصر السياسي والثقافي، ومنها الكتاب الذي أصدرته عن الروائي الشهير إحسان عبد القدوس، الذي ارتبطت بعلاقة صداقة معه ومع عائلته، ووالدتها شقيقة السياسي المصري الشهير أمين عثمان، الذي اتهم أنور السادات باغتياله قبل قيام الثورة.



عبد القدوس تصوَّف قبل وفاته

وأكدت أن شخصيات روايات إحسان كان فيها جزء كبير من الواقع، وأن روايتين له تمثلان سيرتها الذاتية. وكشفت أنه عاش حياة تصوف في سنته الأخيرة، وكان يتصل بعلماء الدين ويسألهم في بعض الأمور.

وقالت: كان إحسان في الأصل شخصية محافظة، عكس الصورة التي تستنتجها من رواياته، فقد تزوج من امرأة غير عاملة، تفرغت للبيت وتربية أولاده، ولم تكن تظهر في وسائل الإعلام أو تدلي بأحاديث صحفية.

وتابعت: ربطت إحسان علاقة طيبة للغاية بالداعية الإسلامي الراحل الشيخ محمد الغزالي، الذي زوج ابنته لنجل إحسان الكاتب الصحفي محمد عبد القدوس (رئيس لجنة الحريات بنقابة الصحفيين والمعروف بميوله الإخوانية) . وتأثر الروائي الكبير بهذه العلاقة، حتى إن بيته تحول إلى ما يشبه المسجد في آخر سنوات حياته، وكان حريصًا على الصلاة وسائر الفروض الإسلامية.

وتقول د. لوتس عبد الكريم: البعض يستغرب علاقة النسب التي ربطت إحسان بالشيخ الغزالي، لكن هذا ليس غريبًا لمن عرف الروائي الكبير واقترب منه، فقد تربى في بيت جده عبد القدوس الكبير وهو أحد شيوخ الأزهر.

وتضيف أنها ارتبطت بمعرفة وثيقة وعلاقات صداقة، مع بعض الأسماء في العائلة الملكية، وبعد ذلك بأسرة جمال عبد الناصر، وبعض أفراد أسرة أنور السادات.

عن الملكة فريدة قالت: إنها عندما كانت تزور مصر قادمة من فرنسا، لم تكن تجد مكانًا تقيم فيه. ولما أرادت الاستقرار بشكل نهائي، وأعطتها الدولة شقة صغيرة، اختارت طابقًا من بيت «لوتس» لترسم فيه لوحاتها وتعرضها.

وتضيف «ساعدتها في التعرف إلى المجتمع، لأنها عاشت وقتًا طويلًا خارج مصر بعد طلاقها من الملك فاروق. عندما استقرت هنا التف حولها بعض الشخصيات الكبيرة، وكان مشاهير السياسة والأدب يحرصون على زيارتها، مثل السفير الفرنسي، والسفير الأمريكي ود. بطرس غالي الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة، والكاتبين مصطفى أمين وأنيس منصور».


إحسان عبد القدوس

واستطردت: كان هناك أيضًا من يتحاشاها، ويرفض زيارتها، لكونها من بقايا الأسرة الملكية التي انقلبت عليها ثورة 23 يوليو 1952. أنجبت فريدة للملك فاروق ثلاث بنات هن: فريدة وفوزية





الملكة فريدة في إحدى المناسبات وإلى يسارها نيفل

اللتان توفيتا ودفنتا في القاهرة، ولا تزال الكبرى فريال على قيد الحياة.

وتقول د. لوتس: عند نفيه إلى إيطاليا أدخل الملك فاروق بناته الثلاث مدرسة سويسرية داخلية تعلمن فيها الفرنسية، كانت أعمارهن 13 و12 و10 سنوات، وبالتالي لم يعرفن اللغة العربية فيما عدا «فريال» ونتحدث معًا بها عندما تتصل بي أو أتصل بها.

وتروي عن الملكة فريدة أن الملك فاروق لم يكن يملك الشيء الكثير، بعدما أخرجته ثورة يوليو من مصر. وكانت المصادر التاريخية قد تحدثت عن اصطحابه صناديق ضخمة من الذهب، لكن د. لوتس عبد الكريم تعقب قائلة: يبدو أنها سرقت من بعض حاشية القصر الفاسدين الذين خرجوا معه.

أما ابنه الملك أحمد فؤاد، الذي كان عمره ستة أشهر فقط، عندما قامت الثورة، وتم تنصيبه ملكًا تحت الوصاية قبل إعلان الجمهورية، فعاش في فرنسا برعاية أمير موناكو الراحل رينيه، ويقال إنه كان ينفق عليه باعتباره وصيًّا على بعض الأملاك القليلة لوالده الملك فاروق.

لم يكن سكيرًا ولا زير نساء

وحول حقيقة الصورة المرسومة عن الملك فاروق تقول: لم يكن فاسدًا كما قيل وانتشر على نطاق واسع، فعرفت من شقيقيّ الملكة فريدة، سعيد وشريف ذو الفقار، أن ذلك غير صحيح بالمرة، فلم يرياه يشرب الخمر إطلاقًا، لكن ربما لعب القمار.

وتابعت: هذا أيضًا ما قالته لي الملكة فريدة، التي نفت عنه أنه كان زير نساء كما صورته الصحافة



والسينما والدراما. فلم تكن هذه الأمور من اهتماماته أو من حقيقة حياته الشخصية.

وأضافت د. لوتس عبد الكريم: زادت محبة الشعب المصري لمليكهم الشاب فاروق، عندما تزوج من الملكة فريدة العام *1938*، فقد أحبوها وشعروا بأنها لصيقة بطبقاتهم وأحوالهم، وعندما طلقها؛ لأنها لم تنجب له وريث العرش، غضبوا عليه بشدة.

وقالت مستطردة: كان الشعب عاشقًا لها، فطافت المظاهرات الشوارع بعد طلاقها تهتف «خرجت الفضيلة من بيت الرذيلة». لقد رأوا فيها وردة مصرية طاهرة نقية.

الملكة ندمت على طلاقها

وتستشهد د. لوتس عبد الكريم على ذلك ببكاء الملكة فريدة في أيامها الأخيرة، «رددت أمامي أنها لو كانت تعلم حجم هذا الغضب الشعبي بسببها لتمسكت بزوجها الملك، فقد قال لها أشقاؤها وأقاربها: إنها سبب الثورة التي أنهت حكم الأسرة العلوية «نسبة إلى أسرة محمد علي».

وقالت الملكة فريدة أيضًا - كما تروي د. لوتس - إنها لو كانت معه عندما طرده الضباط وسيطروا على الحكم، لدافعت عن عرشه وأقنعته بعدم توقيع وثيقة التنازل، فالحرس الملكي كان لا يزال يؤيده وقادرًا على حماية بقائه.

وتؤكد لوتس أن الملكة السابقة فريدة، سيدة فاضلة ومحتشمة ومتمسكة بالتقاليد، وتملك المبادىء والقيم وسليلة أسرة كبيرة، وكان أبوها ذو الفقار باشا رئيس محكمة الإسكندرية، وقد تعرف الملك إليها عندما كانت تأتي إلى القصر مع أمها، التي عملت وصيفة لوالدته الملكة نازلي، وتزوجها الملك وعمرها *16* عامًا فقط.

وأضافت أنها أسرَّت لها بأنها هي التي طلبت الطلاق، بعد أن كان يعاملها معاملة سيئة، عقب إنجابها لكل بنت من بناتها الثلاث. كان يريد ولدًا، ومثَّل ذلك ضغطًا هائلًا عليها أثناء حملها بكل منهن، لدرجة أنها كانت تتناول المهدئات لترتاح من رعب أن يأتي المولود بنتًا.

وتتابع: لكن فريدة، وكان اسمها «صافيناز» قبل أن يتزوجها الملك، ندمت على طلب الطلاق، ولما أرادت أن تتراجع عنه، كان هو قد رضخ لمن حوله من بعض مستشاري القصر وقام بتطليقها، ليتزوج بعد ذلك من مصرية أخرى هي الملكة ناريمان، التي أنجب منها وريث عرشه أحمد فؤاد، لكن الثورة قامت بعد ذلك بوقت قصير وأنهت الحياة الملكية تمامًا.



شاه إيران أنفق عليها قبل خلعه


محمد رضا بهلوي شاه إيران

عادت الملكة فريدة إلى مصر في منتصف التسعينيات، حيث عاشت في باريس في شقة اشتراها لها شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي، في شارع «الشانزليزيه»، كان ينفق عليها، فقد سبق له الزواج من الأميرة فوزية شقيقة طليقها الملك فاروق، والتي أصبحت إمبراطورة لعرش الطاووس في إيران، بفعل هذا الزواج، قبل أن يطلقها وتعود إلى مصر.

وعندما انتهى حكم آل بهلوي على يد الخوميني، انقطع المورد الذي كانت تعيش منه، حسبما تقول د. لوتس عبد الكريم، فاضطرت إلى بيع ملابسها وشقتها، ثم عادت إلى وطنها.

لم تسافر إلى روما لرؤية بناتها، اللاتي اصطحبهن الملك فاروق معه بعد خروجه، خشية أن يغضب عليها رجال الثورة، ويسحبوا منها الجنسية المصرية، لكن بناتها الأميرات حضرن إلى مصر بعد وفاتها لمصاحبة جثمانها إلى مثواه الأخير.

الابنة الكبرى فريال كان عمرها 23 عامًا، عندما أرادت الزواج من شاب، كان يقوم بعمل ديكورات للفيلا الصيفية الخاصة بوالدها في نابولي بإيطاليا، ولكن الملك السابق رفض ذلك الزواج، وبعد أن وقع في غرام مغنية الأوبرا الشهيرة «إيرما كانوزا» وأقامت معه في الفيلا، تركت الأميرات الثلاث والدهن ليعشن في منتجع أسرة محمد علي الشهير بسويسرا.

وتزوجت فادية في عام 1960 من شاب سويسري من أصل روسي، وأشهر إسلامه في الأزهر، حيث جاء للقاهرة خصيصًا لذلك، وأنجبت منه «شامل» و«علي». ولم تتزوج الأميرة فوزية، التي عملت فترة كمترجمة وكذلك في مجال السياحة.

رَفَضَتِ الزواج بعد الملك

وقد رفضت الملكة فريدة الزواج بعد طلاقها من الملك فاروق، على عكس الزوجة الثانية الملكة ناريمان، التي أنجبت له وريث العرش، فقد تزوجت بعد طلاقها منه في إيطاليا، عقب تنازله عن عرشه ومعاملته السيئة لها، من الطبيب د. أدهم النقيب الذي أشرف على ولادة الملك أحمد فؤاد، ثم صار والدًا لأخيه من أمه د. أكرم النقيب، وقد حضر الملك السابق حفل زواجه في الإسكندرية.



في معرض الفنانة صافيناز ذو الفقار
(ملكة مصر السابقة فريدة)

أحمد هريدي

موعدي مع ملكة مصر السابقة فريدة، الفنانة صافيناز ذو الفقار حاليًا، يحدده لي حسام السادات بفندق الميريديان الذي يخصص إحدى قاعاته: الإسكندرية لمعرضها الثاني بالقاهرة، والذي يستمر لمدة أسبوع تسافر بعده إلى مستقرها الدائم باريس.

أستحث الخطى على كورنيش النيل، من مقر مجلة الإذاعة والتليفزيون الملاصق لفندق هيلتون رمسيس في طريقي إلى فندق الميريديان الضخم، الذي يدوس بأقدامه الكبيرة على قاع النيل العظيم، مشاعر وأحاسيس مختلطة غامضة مستطلعة تجتاحني، أنا الذي جاءت ولادتي مع ولادة ثورة المصريين على القصر والملك. وكان أن فتحت عيني على قوانين الإصلاح الزراعي وجلاء الإنجليز، وتأميم القناة وبناء السد العالي وقوانين يوليو الاشتراكية.

السيدة نادية موظفة العلاقات العامة بالفندق، تقدمني إلى الفنانة صافيناز ذو الفقار قائلة «جلالة الملكة».

مرتبكًا أضع يدي في يدها، مبتسمة تطلب مني الجلوس، هذه هي الملكة التي منحها المصريون الحب، وبعد رحيلها عن القصر لم يمنحه ثانية لمن حلت محلها، أتأملها محاولاً أن أستدعي من ملامح وجهها ذلك الوجه الملكي القديم، أكف عن محاولتي الفاشلة على صوتها الهاديء: أظنك لم تر لوحاتي من قبل؟

أجيبها: لم أشاهد معرضك الأول بالقاهرة عام *1980* لوجودي في إنجلترا، في ذلك الوقت، أمد يدي لآخذ من يد الفنانة الممتدة نحوي مجموعة من الشرائح المصورة عن لوحاتها.. وجهاز صغير في حجم الكف أحشوه بالشريحة المصورة الواحدة بعد الأخرى، لأرى من خلال فتحة للعين به عالمًا من الأضواء والألوان والظلال الملونة، وموسيقى ضوئية منبثة في حنايا اللوحات، هي تنويعات على لحن الضوء البصري الباهر والخافت الصادح والجهير المشرق والغارب.

في لوحات الفنانة صافيناز ذو الفقار، المرأة الريفية والفلاح الراحل والنيل والشجر، ومراكب من ذوات الشراع، وشعر الحياة المصرية على طبيعتها وبداءتها الأولى في الحقول، وعلى الضفاف والشواطيء، وأمام الجبل الصخري ووسط غابات النخيل، وأعواد القمح والقصب وحدائق الورد، تعبير



لوحة « البدوية »
وهي إحدى
اللوحات الأساسية
في أعمال الملكة
فريدة



ضوئي متأمل لروح المكان وإشعاعاته الخفية والظاهرة، وانعكاسات الأشكال المغلفة والملونة بمحيط الشمس والضوء والهواء والظل الملون.

اللوحة عند فنانتنا ملكة مصر سابقًا، هل هي محاولة متأخرة لاكتشاف الجوهر المصري الذي أنجبها طفلة تحبو على شواطيء الإسكندرية، وأغدق عليها كل الحب، وعندما أعلن ذلك الجوهر الأصيل عن غضبه العظيم في صباح يوم جميل ثائر من أجل حياة أكثر عدلاً وإنسانية، أقلعت هي بمركبها بحثًا عن مرفأ غريب بعيدًا عن الناس الذين أعطوها الحب، ولم تعطهم في المقابل فهمها وتسامحها المشروع؟

هذه المرأة الريفية وذلك الفلاح الرجل، نراهما كثيرًا في اللوحات غارقين في الضوء وفي الظلال الملونة، متوحدين وفي انسجام مع بقية عناصر ينظمها جميعًا تعبير ولغة ضوء متألق ومتناغم، عدم التحديد هذا وعدم الوضوح في ملامح الوجوه والأشكال، هل هو التفسير الملكي والرؤية للحياة والناس - في جلسة مسترخية في شرفة القصر بريف الجيزة - مرسلة النظر بحد نظارة معظمة، أم هل الذاكرة الملكية تملي على فنانتنا - مرسمها في باريس - أن تغمس فرشاتها في الألوان تضرب بها سطح اللوحة في لمسات خفيفة شفيفة ناعمة غامضة، في محاولة لاكتشاف ما هو غير معروف جيِّدًا لديها؟

الفنانة صاحبة المعرض وملكة مصر السابقة تقول: «**دعنا من الكلام عن حياتي الخاصة، لنتكلم في الفن**».. **وأنا واحد من جيل ثورة يوليو، الذي استفاد من مكاسبها وإنجازاتها الكبيرة، أحترم رغبتها وأهدئ من**



حاملة الجرَّة



الفَلَّاح



رغبتي في الاستعلام والتعرف.



الملكة فريدة أمام إحدى لوحاتها في أحد معارضها التشكيلية

قاعة الإسكندرية بالطابق الثاني بفندق الميريديان، في يوم افتتاح المعرض، الستائر مسدلة حتى لا يتسلل الضوء الخارجي، والضوء الصناعي خافت يعلو درجات ويعود ليخفت ثانية. حوامل بيضاء أنيقة كما أشرعة المراكب، معلقة عليها اللوحات. مصباحان كهربائيان يتصلان بجهاز مغير إضاءة إلكتروني، مثبتًا ومسلطًا على كل لوحة. أحدهما يمثل الشمس فترة الظهر، تسقط أشعتها عمودية على سطح اللوحة، والآخر جانبي تسقط أشعته بزاوية 180 درجة مئوية، ممثلًا لشروق الشمس وغروبها.

روائح العطور الباريسية، أزياء وموديلات من محال كريستيان ديور الباريسية أيضًا، ابتسامات وإيماءات خفيفة بالأيدي والعيون، وانحناءات وألفاظ تحية وترحيب باللغة الفرنسية، يتخللها أسماء الرتب والألقاب التي كانت قد ألغيت من فترة، زحام أرستقراطي أنيق وناعم، يختلف كثيرًا عن زحام الشارع المصري شديد الخشونة والضجيج.

وزراء حاليون وشخصيات من علِية القوم، وموظفو علاقات عامة بالهيئات والوزارات الحكومية، وأنا وحدي، وكأنني قدمت خطأ إلى ذلك المكان، أسير في دوائر متكسرة، من بعيد أرقب وأتأمل اللوحة الحية، التي كانت خافية على إدراكي الساذج والقاصر، عن استيعاب التناقضات وفهمها والتعامل معها في انسجام وتناغم.

تحية للفنانة المصرية صافيناز ذو الفقار، القادمة من مهجرها الاختياري باريس، كاشفة لنا عن وجهها الفنان الأجمل والأكثر نضارة، عن وجهها الملكي القديم، تحية لها من مصريين شرفاء فقراء من صلب الفلاح المصري، الذي قامت الثورة من أجل أن تحقق له حياة حرة كريمة عزيزة، والشكر



الجزيل لها لأنها كشفت لنا عن وجوه أرستقراطية من علية القوم خرجت من قصورها لتشارك في الاحتفاء بمعرضها، هذه الوجوه التي نادرًا ما نستمتع بمشاهدتها في معارض الفن التشكيلي الأخرى، في قاعات فقيرة بلا ستائر أو في الهواء الطلق..

تنحدر الملكة فريدة من أصول تركية.. فقد جاء جدها لوالدها إلى مصر من تركيا وعمره سبع سنوات، رباه محمد علي باشا وأدخله الجيش، فأظهر مواهبه العسكرية في فتوحات إبراهيم باشا، وتولى عام 1954 قيادة الجيش المصري لمساعدة تركيا في الحرب الروسية التركية، وقد هطلت دموع ذلك الرجل «يوسف رسمي بك» عندما شاهد دخول الإنجليز إلى مصر، وسمي ذو الفقار نسبة إلى سيفه.

وقد انتقل هذا اللقب إلى أسرته، وقد أطلق على نجله جد الملكة فريدة اسم «علي ذو الفقار»، الذي صار محافظًا للقاهرة بعد ذلك، وقد أنجب ثلاثة أنجال وكريمتين، منهم «يوسف باشا ذو الفقار» والد الملكة فريدة، الذي تدرج في مناصب القضاء حتى اختير مستشارًا في محكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية، أما والدة الملكة فريدة فهي زينب هانم، كريمة صاحب الدولة محمد سعيد باشا أحد رؤساء الوزارات السابقة.

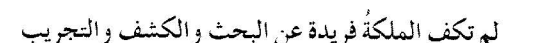
الملكة فريدة مع عَدَدٍ من لوحاتها



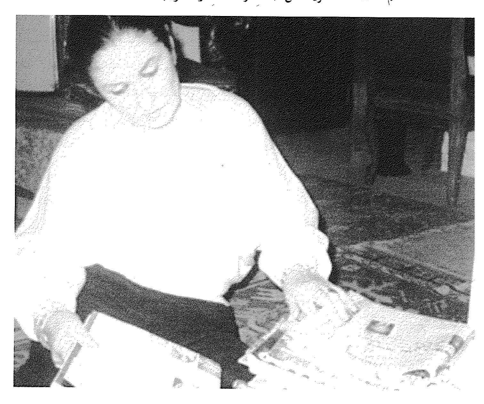


وقد ولدت فريدة في الإسكندرية، وهي الزوجة الأولى للملك فاروق. وقد اعتلت العرش بزواجها منه عام 1938، وأنجبت ثلاث أميرات هن: فريال، فوزية، فادية، وقد تم طلاقها عام 1949 بعد زواج دام أحد عشر عامًا، وعن سبب طلاقها يتحدث الكاتب الكبير مصطفى أمين فيقول: «هذه السيدة الصغيرة التي جلست على عرش مصر 10 سنوات، ثم رفست العرش بقدمها، فضلت أن تعيش بكرامة في بيت في شارع الهرم، على أن تعيش ذليلة في قصر ملكي، حافظت على كرامتها وهي سيدة من الشعب، وحافظت على تواضعها وبساطتها وهي ملكة على رأسها التاج، وأحس الشعب المصري بذكائه الحاد وإحساسه المرهف، أن هذه المرأة مظلومة فالتفت القلوب حولها، وعندما أذاع الملك أمرًا ملكيًا بطلاقه منها، خرجت مظاهرات التلميذات في كل مدارس البنات في مصر تهتف قائلة: «من دار الدعارة إلى دار الطهارة يا فريدة».

لم تكن كتبت حتى ذلك الوقت كلمة واحدة ضد فاروق ومباذله، ولم تكن محطات الإذاعة قد أذاعت شيئًا عن تصرفاته، ولكن العجيب أن في داخل الإنسان المصري جهاز رادار عجيبًا يلتقط به الحقائق، ويعرف به الأسرار، وكأنه يجلس في القصر الملكي، فقد كان يوم طلاق فاروق من فريدة يومًا حزينًا



لم تكف الملكةُ فريدة عن البحثِ والكشفِ والتجريب





في كل بيت في مصر. وأحس الذين يعرفون خبايا الأمور. بأن فريدة خرجت من القصر وأخذت معها العرش. والواقع أنها أخذت معها كل شيء محترم. عندما تركت قصر عابدين.

وعندما رزق فاروق ولدًا لم تحقد عليه. ولم تحزن لأنها لم تقدم له ولي العهد الذي تمناه، والذي تصور أنه سيضمن استمرار العرش عشرات السنين. بل كانت فريدة أول من أرسل له برقية مليئة بالعاطفة النبيلة، تهنيء مطلقها بأن الله قد حقق له أمنيته الكبرى، ويومها دهش الملك السابق من نبل هذه السيدة، التي عذبها سنين طويلة، وأهانها بتصرفاته، وعندما عزلت الثورة فاروق من العرش، رفضت أن تتكلم كلمة واحدة ضد فاروق، وغضبت على أعز أصدقائها عندما رددوا عن فاروق بعض ما يعرفون من حقائق. وقالت: تذكروا أنه والد بناتي. وإذا أسأت إليه أسأت إلى بناتي.

لقد عودتهن من صغرهن ألَّا يشكين من أبيهن مهما حدث. شكته مرة لها فريال وكانت صغيرة فنهرتها وعنفتها.

وفي قصرها بالهرم. كانت تعيش ولكن نفسيتها تدهورت، بعد سفر بناتها إلى الخارج، فعاشت وحيدة في قصرها، وزاد من حزنها أنها لم تستطع أن تلحق بهن. فثورة يوليو كانت قد قامت، وظلت فريدة ممنوعة من السفر، لمدة خمس سنوات، ولم يكن هذا الإجراء متعلقًا بها شخصيًّا، وإنما كان حصول المواطن المصري على تأشيرة خروج يعتبر أمرًا بالغ الصعوبة، ولم تستطع الحصول عليها إلَّا في عام 1963، حيث سافرت في ظروف عسيرة، فلم يكن معها ما يغطي التزامات السفر، ومشكلات أخرى عديدة، كانت لا تحب أن تتذكرها، وتفضل أن تطوي صفحتها، وبعد أن رأت بناتها بعد غياب خمس سنوات عنهن، كان لذلك رد فعل سيىء، فقد شعرت بأنهن يستقبلنها استقبال الغرباء، وقد ظل هذا يؤثر على نفسها، ويجعلها تشعر بجرح ظل يلازمها ولا يندمل رغم مرور السنين، ولذلك كانت تحاول أن تنسى ذكرياتها المؤلمة، بأن تعيش في الفن، وتسعد بمن يحدثها عن نفسها كفنانة، وإن كانت تفضل أيضًا أن يناديها الناس بالملكة، فكلتا الصفتين «الفنانة والملكة» تحبهما لأنهما – كما تقول – تمثلان شخصيتها، ولا فرق بينهما، وإن كانت تفضل أن تكون فريدة الإنسانة.

وفي وحدتها القاتلة، كانت تقوم من نومها حوالي التاسعة صباحًا، ثم تتناول إفطارها، وتمارس هوايتها الجديدة التي تعلمتها من الكتب، هواية التفصيل، إلى درجة أنها أصبحت تفصل ملابسها بنفسها، وعادة ما كانت تستريح قليلًا بعد الغداء، وربما تذهب إلى بيت والدها بالزمالك، وأحيانًا تقضي الوقت بحديقة قصرها تتنزه وتقرأ حتى الغروب.

وقد أتاحت لها وحدتها فرصة للتأمل، فقصرها يطل على الأهرام، ويطل على حقول الفلاحين المجاورة ، إنها مصر التي تطالعها من شرفات القصر، وحرك فيها التأمل والوحدة الرغبة في أن تفعل أي شيء، أو أن تعبر عن أي شيء، ولجأت إلى خالها الفنان محمود سعيد، تسأله النصيحة في



كيف تستطيع أن ترسم؟ فكانت نصيحته التي ظلت تعتز وتعمل بها هي «ارسمي ما تريدين وما تحسين به»، وكان يشجعها وينقد أعمالها ، وظلت أعمال الملكة فريدة حبيسة داخل جدران قصرها في الهرم، لا ترى فيها إلّا مجرد تسلية إلى أن سافرت إلى باريس عام 1963، حيث شجعها بعض الأصدقاء على إقامة معرض، وكان أول معرض لها قد لاقى إعجابًا وإقبالاً لم تكن تتصوره، ولذلك أقامت العديد من المعارض في باريس وروسيا وسويسرا وغيرها من دول أوروبا، إلى أن كان أول معرض لها في القاهرة عام 1980 بالمريديان، ولم تكن الملكة تنتمي إلى أية مدرسة فنية، إنما كانت تعبر عما في نفسها بطريقة تجعل اللوحة تنقل هذا التعبير للمشاهد، كأنها تجعل من اللوحة وسيلة للتعبير تخاطب بها الناس، وكانت فريدة تستلهم الرسومات الحديثة من الوجود الدائم للفلاح، وقد ابتكرت طريقة متميزة لتفسير الوجوه الإنسانية، واستطاعت بهذا الأسلوب أن تصل إلى استبطان المعنى العميق لمصر، وبذلك قدمت بلدها بطريقة نبيلة.

وكانت فرحتها غامرة بعد انتصارات أكتوبر، وكانت تمسك بكل مسئول في السفارة المصرية بباريس حيث كانت تعيش، وتقول له في فرحة كان من الصعب عليها إخفاؤها «رفعتم رءوسنا» .. رجعتم لنا الابتسامة، رجعتم لنا فخرنا بمصر».

لقد كانت الملكة فريدة من أوائل من ذهبوا إلى السفارة المصرية، ليعبروا عن فرحتهم بالعبور، ومن أوائل من تبرع لأسر جنودنا البواسل.

ومن العجيب أن من كانت ملكة تحت أمرها كل شيء، صارت تبيع لوحاتها لحاجة مالية، لقد كانت تعيش من رسوماتها، وكم اضطرت لعمل بورتريهات ومينياتور، للبيع فقط.

وقد كان بعض القريبين منها، يوهمونها في بعض الأحيان، بأن لوحاتها قد بيعت وحققت أرباحًا يعطونها لها لتنفقها على علاجها، ثم لما اشتد بها المرض في أيامها الأخيرة، أمرت السيدة سوزان مبارك حرم رئيس الجمهورية، بتحمل نفقات علاجها تكريمًا لسيدة أحبت مصر، وأوصت أن يلف جثمانها بالعلم المصري ليحتضنها التراب المصري، بعد أن نقشت بسلوكها وتاريخها المشرف، اسمها بحروف من نور على صفحات التاريخ.



أول معلومات تنشر عن:
فيلا «صافيناز» بشارع الهرم

عندما غادرت الملكة فريدة القصر الملكي، تحمل قسيمة الطلاق، التي أعادت إليها اسمها السابق «صافيناز ذو الفقار»، قيل إن الملك السابق قد حتم عليها أن تعيش بمعزل عن الناس، فلا تختلط بأحد، ولا تزور أو تزار!

وقد يكون هذا الذي ذكره الناس صحيحًا، ولكن الشيء الذي أغفلوا ذكره أن الملكة السابقة كانت، في ذلك الوقت، تعاني حالة نفسية عنيفة، جعلتها تكره أن تلقى أحدًا، خشية أن تفيض آلامها وأحزانها أمامه، فضلاً عن أنها كانت قد سئمت مخالطة الناس جميعًا، وكفاها ما جره الناس عليها من مصائب وأحزان!

الناس الذين كانوا سببًا في مساعدة زوجها على المفاسد، والذين عودوه أن يكون صاحب الكلمة الأولى، حتى فيما لا يملك حياله شيئًا، الناس الذين أوهموه أن رغباته ونزواته أمر مطاع، واجب الاحترام والتنفيذ من الجميع! الناس الذين رأتهم هناك، خلف جدران القصر! وكفاها ما رأت.

وبحثت الهاربة من الناس والفساد، عن بيت تقيم فيه بمعزل عن الناس، ولكنها لم تجد بغيتها تمامًا، فقررت أن تستأجر بيتًا مؤقتًا، حتى تقيم لنفسها بيتًا بعيدًا، بعيدًا عن الناس.



وَجْهٌ ملأته السُّنون حِكْمَةً
وخبرةً وشفافيةً وجمالا



كفانا مظاهر

وفي منطقة شارع الهرم، وقع اختيار الملكة السابقة على قطعة من الأرض مساحتها أربعة أفدنة، لتقيم عليها بيتًا، وعرض عليها بعض المتصلين بها من الأسرة، أسماء بعض مشاهير المهندسين، ولكنها ظلت مدة عامين مترددة، فقد عودتها حياتها في القصر، ألَّا تنخدع بذوي الأسماء اللامعة، وقالت إنها تريد مهندسًا ناشئًا، وليس معنى هذا أنها تطعن في كفاءة المهندسين الكبار، ولكنها تريد أن تتيح فرصة لأحد المبتدئين، وفعلاً تقدم إليها البكباشي المهندس علي نور الدين نصار، ولما حدثته عن النظام الذي تريد أن تبني عليه بيتها، أسرع ووضع لها تصميمًا، أعجبت به وأبدت موافقتها عليه.

الملكة فريدة مع عملٍ فنيٍّ لها موضوع على حامل سعيدةً بانتهائها منه



وطالبته بتنفيذه في حدود ستين ألفًا من الجنيهات، كان التصميم مبسطًا، لا يمتاز بالفخامة التي اعتاد الأثرياء إبرازها في مباني قصورهم، ولكنه كان ذا طابع «كاليفورني» وهو يمتاز بالبساطة الريفية، وتشغل مبانيه مساحة قدرها ألف متر، أما الباقي فيخصص للحديقة.

بيت عادي

ويتألف البيت الذي اختارته الملكة السابقة من ثلاثة طوابق، تتقدمه حديقة تنخفض قليلاً عن مستوى الشارع، ويحيط بها سور مرتفع، وتتوسطها نافورة صغيرة، وعلى جانبيها تنحدر المياه على شكل شلالات من مواسير صغيرة ذات ثقوب رفيعة جدًا، ويقودك ممر الحديقة الأمامي، وهو كما قلنا ينخفض عن مستوى الشارع، إلى البدروم، وفيه نجد المطابخ وحجرات الغسيل، كما تجد قاعة فسيحة معدة لعرض الأفلام السينمائية، وتستعمل أيضًا كحلبة «للباتيناج» الذي تحبه الأميرات، وبه أيضًا مكتبة واسعة، وقد أعد أثاث هذا الطابق بطريقة مبسطة جدًا.

والطابق الأول له مدخل كبير يتصل بالباب العام، بطريق صاعد من الجانبين، بحيث تقف السيارة أمام الباب الداخلي مباشرة، وإلى يمين الداخل يقع الصالون الكبير، وهو مؤثث على طراز لويس الخامس عشر، وإلى اليسار حجرة لحفظ ملابس الزائرين، وفي الوسط بهو كبير، ينتهي بحجرة الجلوس الخاصة، وتقع بينهما حجرة صغيرة، للموسيقى، تطل على الحديقة، وفي مؤخرة البهو إلى اليسار قاعة للمائدة، أعدت لاستقبال 42 مدعوًا، ويبلغ طولها 11 مترًا وعرضها ستة أمتار ونصف المتر، ألحقت بها حجرة صغيرة لحفظ الأواني الفضية الثمينة، وفي مواجهة الداخل إلى البهو، حجرة للمكتب.

حوض السباحة

وتؤدي حجرة الجلوس الخاصة بالطابق الأول، إلى الحديقة الخلفية، حيث تطل مباشرة على حوض السباحة، الذي يقع في الجهة الغربية الجنوبية للمنزل، وهو منقسم إلى قسمين، صيفي وشتوي، القسم الشتوي يحتوي في القاع على سخانات للماء، ترفع حرارة الماء إلى 22 درجة، ويفصله عن القسم الصيفي جدار زجاجي، يمنع تسرب الماء إلى أي الجانبين، وهذا الجدار يرفع في الصيف فتختلط مياه القسمين، ويصير حمامًا واحدًا، والحمام مرتفع عن سطح الحديقة بمسافة ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبًا، أي في مستوى الطابق الأول، بحيث لا يستطيع من في الحديقة أو في مستوى الأرض أن يشاهد المستحمين في الحمام.



وتحيط بالحمام حديقة كبيرة جدًّا، أعدت بحيث لا يستطيع السائر في شارع الهرم أن يرى من فيها.

وبين الطابق الأول والطابق العلوي، ترى حديقة شتوية، أعدت لتناول الإفطار صباحًا والشاي مساءً، بها سلم خلفي، يؤدي إلى حمام السباحة مباشرة.

ويتكون الطابق العلوي من حجرة نوم، تحتوي على سرير وتواليت وبيانو من اللون الرمادي الفاتح، أما لون أغطية الفراش فمن اللون الذهبي.

وصافيناز هانم تحب الألوان: الأصفر البرتقالي والبني، وتطل الغرفة على ناحية الأهرامات، وجدارها الغربي من الزجاج، وقد ألحقت بها غرفة صغيرة للجلوس، تحتوي على الخزينة الخاصة، وأريكة وبعض الدواليب.

وتلاصق هذه الغرفة حجرة للثياب، تمتاز بأن دواليبها مثبتة في الحوائط، وقد اختيرت مقاساتها وأحجامها بحسب نوع الثياب التي تحفظ بها.

الملكة السابقة تطبخ

وتؤدي حجرة النوم إلى حمام فاخر، «البانيو» من الرخام الوردي المنحوت، وكذلك جميع الأدوات، كما أن الحائط من الرخام الوردي أيضًا، أما الأرض فمن الرخام الأسود.

وفي نهاية الطابق جناح الأميرة فادية، وهو يتألف من حجرة للنوم، أما الثياب والطعام والاستذكار، فقد أعدت لها قاعة كبيرة مجاورة ، تلاصق غرفتي الوصيفة والمربية، وبالطابق العلوي أيضًا مطبخ صغير، تقوم فيه الملكة السابقة بطهو الأطعمة التي تفضلها بيدها.

وقد طلبت «صافيناز هانم» من المهندس، أن يعد المكان بحيث يمكن إضافة جناحين له، لإقامة الأميرتين فريال وفوزية.

وفي الشهر الماضي طلبت صاحبة البيت من المهندس، أن ينشئ حجرة ثانية للمكتبة، بعد أن اتضح لها أن الحجرة الأولى لن تكفي لكتبها، فهي تملك مجموعة تبلغ مساحة الكتب الموجودة بها 50 مترًا مربعًا، هذا عدا محتويات ثلاثين صندوقًا لم تفتح بعد.

وهي تعني بالكتب بنفسها، وهي هوايتها الخاصة منذ تركت الملك للمالك، وهل في الدنيا أوفى من الكتاب وأصدق؟



حواراتي مع آخر الملكات

صفية ناصف

ماتت الملكة السابقة فريدة بالاكتئاب النفسي، ولم تمت بالأمراض التي ذكرت، هذه الحقيقة لمستها من خلال معرفتي بها عن قرب، في المرحلة الأخيرة، كانت ملكة محاطة بالأضواء، ومحور اهتمام القصر والباشوات والباكوات، ورغم معاناتها داخل القصر، وقسوة الحياة التي عاشتها مع الملك فاروق، فإنها لم تنس أبدًا أنها ملكة.

ورغم أنها طلبت الطلاق ورفضت حياة القصور، وأبت عليها نفسها العيش مع مراهقة فاروق المستمرة، فإنها لم تنس أبدًا أنها ملكة، ولم تستطع طوال حياتها أن تخفض رأسها، حتى لا يقع التاج الشهير، والتي اعتزت به طوال حياتها، من فوق رأسها، نعم ماتت فريدة من الاكتئاب النفسي.

وتؤكد أحاديثي معها طوال السنوات الأخيرة ذلك.. كانت عصبية.. شاردة.. مضطربة.. غير راضية عن كل ما حولها، ترى كل الأشياء وقد تغيرت، الطبيعة – الناس – المعاملات – الأخلاقيات – المبادئ – كانت تصرخ دائمًا بذلك.. ثم ماتت لأنها كانت تريد أن تموت.

في 5 سبتمبر عام 1921، رزقت السيدة الجليلة زينب هانم ذو الفقار حرم سعادة يوسف بك ذو الفقار، طفلة رائعة الجمال، أطلقا عليها اسمًا تركيًا هو «صافي ناز»، كما كانت عادة الأسر العريقة التي تنتمي إلى أصل تركي قديم.

هي كريمة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار، وكيل محكمة الاستئناف المختلطة، ابن علي باشا ذو الفقار، محافظ العاصمة الأسبق، ابن يوسف بك رسمي أحد كبار ضباط الجيش المصري في عهد إسماعيل.

أما والدتها السيدة زينب هانم ذو الفقار، فهي كريمة المرحوم محمد سعيد باشا، الذي رأس الوزارة المصرية، ولها أخوان هما سعيد ذو الفقار، وشريف ذو الفقار.

درست في مدرسة «نوتردام دي سيون» الفرنسية بالإسكندرية، وأتقنت اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأحضر لها والدها مدرسًا لتدريس اللغة العربية.

كانت تهوى الموسيقى، وتجيد العزف على البيانو، وكان والدها عازفًا ماهرًا، ورسامًا بارعًا، وكان خالها الفنان محمود سعيد رسامًا، ساعدها عندما بدأت هواية الرسم، كانت والدتها إحدى وصيفات الملكة نازلي، وقد تمت خطبتها وزواجها من الملك فاروق، بعد رحلة سافرت فيها مع أسرتها إلى سويسرا، وكانت فرصة للتعارف بينها وبين الملك فاروق، فأحبها وتزوجها وكان عمرها 17 سنة، وعمره



18 سنة وكان ذلك عام 1938. وتغير اسم «صافي ناز» وأصبح فريدة الملكة المتوجة، وبدأت فريدة رحلتها في القصر، وأسمتها برحلة الحب القليل والعذاب الكثير!

ونحن على موعد في اليوم التالي، كي أذهب إليها في بيتها البسيط في فوسن بباريس، لقد وجدت فريدة الفنانة أعظم بكثير من فريدة الملكة، فريدة الفنانة التي تغلبت على الظلم والقهر والوحدة والفراغ، لتصنع لنفسها عملاً تتعيش منه، لقد احترمتها وأعجبت بها لأنها تغلبت على القهر بالعمل.

■ **قلت لها: بيتك جميل ملئ باللوحات والأضواء، ما أقرب لوحاتك إلى نفسك؟**

❑ قالت وهي تبتسم برقة وعذوبة: كل لوحة لها عندي معزة خاصة، فأنا لا أعمل أي شيء لا أحبه، وعندما أرسم لوحة أحبها وأتعايش معها، وأتفانى فيها إلى أن تأتي لوحة أخرى.

■ **قلت وأنا أتحسس كلماتي وحتى لا تشعر بالحرج هل تبيعين لوحاتك؟**

❑ قالت بثقة: طبعًا.. أنا تعلمت الرسم من أجل أن أتعيش منه، وقد أتقنت هذا الفن من أجل الارتفاع بمستوى معيشتي، بل لا أخفي عليك من أجل ألَّا أحتاج لأحد، وقد قمت بإقامة عدة معارض في فرنسا وسويسرا ولبنان وأمريكا، وبيعت إحدى لوحاتي بعشرة آلاف دولار واسمها «أرض سيناء»، و«أخذتني من يدي لأدخل محرابها»، لوحات كثيرة وألوان وأضواء، وكشافات أخذت تصف لي كيف تلعب الأضواء مع ظلام الحجرة، دورًا معبرًا للوحاتها، النيل يغلب على معظم لوحاتها، الفلاح – الحقول – الأهرامات – «البورتريه»، وجه المرأة والرجل المصري بدقة فائقة، لقد لمست حاضر فريدة، في ظل لوحاتها أعظم بكثير من ماضيها في ظل الملكية.

■ **قلت: هل تعتقدين أن لوحاتك تباع لأنك فريدة الملكة السابقة، أم فريدة الفنانة الهاوية؟**

❑ طبعًا لأنني فريدة الملكة السابقة هذه حقيقة، وثانيًا لأنني أعبر عن أحاسيسي ومشاعري من خلال رسوماتي ولوحاتي.

وفجأة صرخت وقالت: هل تعلمين أن المعاناة والشعور بالظلم والحرمان والغربة، كل هذه الأشياء تصقلني، وهي التي جعلت منِّي فنانة حساسة، ولو لم أكن أعاني كل هذا، وظللت ملكة لما أصبحت قادرة على تحمل المسئولية، والسعي وراء قوت يومي، أنت تعرفين أنني عانيت كثيرًا في القصر الملكي، وكانت حياتي كلها عذاب وقهر ومشاكل، وقد أثر كل ذلك على أعصابي، وعندما قررت أن أترك العرش والتاج وأنسحب بكرامتي، لم يسعدني في حياتي قدر عرفان وحب الشعب المصري لي، وإحساسه بحقيقة الظلم الذي وقع علي، وعندما تركت العرش تركته غير نادمة.

ومع فنجان الشاي الذي صنعته لنا بنفسها، ووسط هذا الزحام من الألوان واللوحات والأضواء المتناثرة، ألمح بعض الصور الملكية، وصورة الملك السابق فاروق، ومع بناتها، وتعتز بصورتها وهي بالتاج الملكي فتضعها في أكثر من مكان.



■ **قلت: قرأت كثيرًا عن العروض التي جاءتك لنشر مذكراتك ورفضت مجرد الفكرة رغم حاجتك للمال واحترمت فيك هذا المبدأ. أريد أن أتعرف على وجهة نظرك؟**

❑ لقد قلت إنك احترمت المبدأ، ولو مت جوعًا لما فكرت لحظة واحدة أن أحكي أسرار حياتي مع الملك فاروق، ومع أمه نازلي مقابل ملايين الدولارات، ولا يمكن أن أنسى يومًا واحدًا أنه والد بناتي، ولا أحترم نفسي يومًا إذا ما تقاضيت دولارًا واحدًا مقابل فضائح أو أسرار أؤتمنت عليها، وأعترف أنني أتحدث في أشياء تخصني، أنا وعانيت منها أو عايشتها، ولكن لا يمكن أن أتحدث عن فضائح الغير.

وقليل من النقود أكسبها من فني، خير من ملايين أكون غير راضية عن مصدرها، وليس من العيب أن أكون فقيرة، ولكن العيب أن أكون غنية من سرد فضائح الآخرين وهذا بالنسبة لي مرفوض.

وأحسست بالراحة، فالأخلاق والمبادئ مازالت باقية عند البعض، وحتى لو كان هذا البعض قليلاً.

■ **قلت للملكة السابقة فريدة: هل تفضلين اسم فريدة عن اسمك الحقيقي صافي ناز؟**

❑ أنا أحب اسم فريدة، ولا أحب صافي ناز طوال حياتي، وفريدة بالنسبة لي هو الاسم المحبب، وخصوصًا إذا ما نوديت بفريدة مصر أكون غاية في السعادة.

■ من أحب بناتك؟

❑ كلهن حبيباتي ولكن فادية الصغيرة هي أقربهن، أما فريال وفوزية فلهما معزتهما أيضًا.

■ وأحب لوحاتك؟

❑ الله.. هي أغلى لوحاتي وأحبها إلى نفسي، فالله قريب منِّي، وكان معي في مشوار حياتي، لم ألجأ إلى غيره سبحانه وتعالى أحمده وأشكره..

وودعتها وتكررت اللقاءات، ثم جاءت فريدة إلى مصر لتقيم عدة معارض بفندق الميريديان، ولم يكن لها بيت، كانت تقيم عند أخيها شريف ذو الفقار، وفي عام *1983* التقت السيدة سوزان مبارك، التي تركت في نفسها أثرًا طيبًا وأشعرتها بالاطمئنان والرعاية، ثم أمر الرئيس حسني مبارك بأن تأخذ بيتًا في المعادي، أقامت فيه وأثثته ببساطة وذوق رفيع، به بقايا قطع قديمة وحجرة كاملة للوحاتها، عاشت في مصر مع الأصدقاء القدامى، ولكنها كانت دائمًا تشعر بالوحدة وبالآلام النفسية، كانت عصبية المزاج إلى حد كبير، وتمردت على عقدة الخواجة التي لمستها حديثًا في المصريين. قالت لي عدة مرات: تتصوري أنا كنت ألبس وأعمل فساتيني بنفسي أو في الإسكندرية عند المصريين، كل بيتي أثاثه مصري صميم، الأجانب يبهرهم كل ما هو مصري، وهنا يقلدون كل ما هو أجنبي، هذا يحزنني جدًا، الناس يملكون نقودًا كثيرة وينفقونها دون وعي، وعندما أطلب من الجزار نصف كيلو لحم، ينظر إلى وكأنني أرتكب جريمة، لماذا يشتري الناس أكثر من احتياجاتهم ويصرفون ببذخ، ويصبح من يحافظ على القرش مخطئًا في حين أن الذي يصرف كثيرًا لا يتعب في الفلوس.



ثم استطردت فريدة في أحاديث عديدة، عن العادات التي اكتسبها بعض المصريين، فهم يريدون الكسب بدون عمل، لماذا العمالة المصرية أصبحت لا تتقن ما تصنعه؟ الخدم أصبحت رواتبهم باهظة ولا يعملون بنظافة، أشياء كثيرة تغيرت.

كان كل ذلك يقلقها ويعذبها، لأنها مصرية أصيلة تحب بلدها.

وماتت فريدة من الاكتئاب النفسي وليس من أي مرض آخر.



الملكة فريدة
في لحظة صفاء مع الدكتورة
لوتس عبد الكريم



آخر عمود

أغرب حديث صحفي

إبراهيم سعدة

انتشرت صور الملكة السابقة فريدة في الصحف والمجلات المصرية، طوال الأسبوع الماضي، بمناسبة معرضها الفني في فندق مريديان، وأعادتني هذه الصور للملكة السابقة فريدة إلى ذكريات عمرها – الآن – أكثر من عشرين عامًا. وبالتحديد في سنة 1961.

وكان الملك السابق فاروق قد اشترى لبناته – من فريدة – فيلا صغيرة في ضاحية قريبة من مدينة لوزان بسويسرا، يقمن فيها بالقرب من مدارسهن، وتحت إشراف مربية كبيرة في السن، أما هو فقد كان يقيم – تقريبًا – في روما، ومنذ خروجه من مصر في أعقاب ثورة 23 من يوليو سنة 1952. وعاشت الملكة فريدة في مصر، بعيدة عن بناتها، ومحرومة من رؤيتهن، ثم سنحت لها الفرصة لزيارتهن في لوزان في سنة 1961، وكنت وقتها أراسل صحف ومجلات أخبار اليوم من سويسرا، وذات يوم كنت مع صديقي أحمد النحاس – مدير عام فندق هيلتون رمسيس الآن- كان وقتها يدرس الفندقة في لوزان – نستعد لركوب سيارته في أحد شوارع مدينة لوزان عندما فوجئنا بالملكة السابقة فريدة تقف أمام مدخل إحدى العمارات!

وطلبت من أحمد النحاس أن يختفي داخل سيارته الفلوكس فاجن، ويمسك بآلة التصوير الخاصة بي ويحاول أن يلتقط صورًا عديدة لفريدة بشرط ألا تراه. وتقدمت من الملكة السابقة وذكرت لها اسمي ومهنتي وطلبت منها أن تسمح لي بإجراء حديث لنشره في مجلة «آخر ساعة». وفوجئت بالملكة فريدة صامتة، لا ترد بكلمة واحدة. ولم يظهر على وجهها أنها فهمت حرفًا واحدًا من كلماتي. أو كأنها لم تسمعني، أو ترني واقفًا أمامها! فملامح وجهها لم تتغير، ولم ألمح رفضًا، أو غضبًا، أو ترحيبًا! وشجعتني تلك اللامبالاة على مواصلة حديثي فربما استطعت إقناعها بالإدلاء بالحديث المطلوب.

وبدأت بسؤالها عن سبب زيارتها لسويسرا، فلم ترد. وسألتها هل السبب هو زيارة بناتها فلم تجب. وسألتها عن شعورها عندما التقت بيناتها بعد هذه السنوات الطويلة، فلم تنطق بشيء. كل ما فعلته أنها ابتسمت ابتسامة خاطفة، ثم تحركت قليلاً مبتعدة عني.

جريدة أخبار اليوم – 14/4/1984م



ووجدت في ابتسامتها الخاطفة حافزًا لي لمواصلة أسئلتي، فاقتربت منها وسألتها عمَّ إذا كانت قد تقابلت مع زوجها السابق فاروق؟ فلم أسمع ردًّا. وسألتها هل ستعود إلى القاهرة أم ستقيم مع بناتها في سويسرا؟ فلم تجب بكلمة واحدة. وسألتها رأي بناتها في الإقامة بعيدًا عن أمهن وأبيهن، فأشاحت بوجهها بعيدًا! وسألتها عن الطفل أحمد فؤاد — ابن فاروق من ناريمان — وهل يقيم مع والده أم مع والدته، وهل تراه بناتها؟ فنظرت ناحيتي ولم أفهم من نظرتها أنها سمعت سؤالي! وسألتها عن ماذا تنوي أن تفعل لمستقبلها، وهل تنوي أن تعمل في مصر، أو في أي بلد آخر؟

ووجدت نفسي مضطرًا إلى التوقف عن إلقاء الأسئلة التي لا أسمع إجابة عنها. حقيقة أن الملكة فريدة كثيرًا ما ردت بابتسامة رقيقة، ولكن كلمة واحدة، لم تنطق بها للرد على عشرات الأسئلة التي لاحقتها بها وهي واقفة أمامي في الطريق العام! واستأذنت منها وشكرتها، وعدت إلى سيارة صديقي التي انطلقت بنا إلى أقرب استوديو تصوير لتحميض الفيلم الذي التقطه أحمد النحاس لهذه المقابلة الصحفية الفريدة. والغريبة! وكانت الصور ناجحة، لحديث صحفي نقص نصفه الأساسي!

وعلى الرغم من ذلك كتبت الحديث الذي لم يكتمل، كما حدث بالضبط. فكتبت الأسئلة وحدها، أما إجابات الملكة السابقة فريدة فقد اكتفيت بوضع مجموعة من النقاط يفهم منها القارىء أنها لم ترد على أسئلتي. وأرفقت الحديث الغريب بالصور التي التقطت لملكة مصر السابقة للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، وأرسلتها إلى المرحوم علي أمين.

وبعد أيام تلقيت برقية من علي أمين يهنئني فيها على الحديث، والصور، وأكد لي أنه سينشره كاملاً في العدد التالي من مجلة «آخر ساعة».

وبعد أيام أخرى، وصلني عدد «آخر ساعة» ولم أجد فيه الحديث. وانتظرت العدد، والأعداد التالية، ولم أعثر على حديثي فيها أيضًا! ولم أعرف السبب إلا بعد شهور عديدة، عندما عدت إلى القاهرة — في زيارة — وعلمت من الزميل منير نصيف — رئيس قسم المراسلات الخارجية في أخبار اليوم وقتذاك — أن المرحوم علي أمين كان متحمسًا جدًّا لنشر هذا الحديث الغريب، وأنه أفرد له مساحة كبيرة لنشره على صفحتين كاملتين من «آخر ساعة»، ولكن الرقيب — الذي كان يقيم في ذلك الوقت داخل كل مؤسسة صحفية ويقرأ كل كلمة قبل النشر — رفض نشر الحديث، ورفض نشر صور الملكة السابقة!





فريدة الفنانة

بأقلامهم

صور من النهر الخالد

• مختار العطار

ملحمة الملكة «فريدة مصر»

• د .صبحي الشاروني



صور من النهر الخالد

مختار العطّار

يسمونهم «فنانو القلب الخالي».. أو «فنانو أيام العطلة».. أو «العصاميون». لكن مؤتمر الباحثين والعلماء، الذي عقد في مدينة «براتسلافا» – عاصمة سلوفاكيا – سنة 1966، اختار أن يسميهم «الفطريون» – أي المدفوعون بالموهبة والرغبة الإبداعية، التي فطرهم عليها الخالق. لا يريدون من وراء نشاطهم الفني جزاء ولا شكورًا. لا يبيعون أعمالهم ولا يعرضونها ولا يبحثون عن شهرة. لا يشكلون اتجاهًا فكريًّا أو مدرسة فنية. لم يتعلموا الفن في معاهد أو استوديوهات خاصة. إنهم رسامون ملونون ونحاتون، وهذا كل شيء. تراودهم فكرة الإبداع الفني في سن الثلاثين أو الأربعين أو بعد ذلك، ثم يبدأون المشوار.. إلى مملكة التصوف والجمال هذه، تنتمي «صافي ناز ذو الفقار» أو «فريدة مصر» – كما تحب أن نناديها..

بدأت «فريدة» – ملكة مصر السابقة – طريق الإبداع في سن الثالثة والثلاثين. بعد أن فقدت مملكة الواقع، وصودرت ممتلكاتها سنة 1954. بدأته من شرفة بيتها بالجيزة. رسمت الحقول والمزارع الممتدة، حتى توقفتها الأهرامات الثلاثة وأبو الهول حارس الصحراء. وصورت وجوه الأقارب والأصدقاء. وبعد أن كانت تشغل أوقات الفراغ، تلاحقت فترات الإبداع واتصلت، شهرًا بعد شهر وعامًا بعد عام. ثم هجرت مصر إلى لبنان ستة 1963، وإلى سويسرا سنة 1967، لتبدأ مرحلة الاحتراف بمعرضها الأول في باريس سنة 1968. لكن النقاء والشاعرية لم يفارقا لوحاتها حتى يومنا هذا. ولازمها طابع الصدق والإسقاط الفوري، الذي يضفى على الإبداع ضربًا من الحيوية، تفتقده في الكثير من الصياغات المتأنية. تجلت هذه السمة في لوحاتها الخمس والستين التي عرضتها أخيرًا في قاعة «الميريديان» بالقاهرة. لوحات تعكس جوًّا أسطوريًّا مستخفيًا في غلائل نتبين في ثناياها حياة مفعمة بالحركة والإيحاءات. تتوزعها أسراب الفلاحات المصريات، في قرانا الرابضة على ضفاف النيل من آلاف السنين. استطاعت بفطرتها أن تترجم إحساس الثبات والحركة في الوقت نفسه. فبينما نحس أن المشهد برمته كان ولا يزال وسيظل، تشعرنا اللمسات الخاطفة بالألوان الضاربة إلى الرمادي، بالديناميكية والتغير. وقد أكدت الفنانة هذه الخاصية باستخدام أجهزة إضاءة إلكترونية على كل لوحة.

والتوسل بتغاير نصوع الألوان وعتامتها، للحصول على تأثيرات الغسق والشفق والظهيرة، بالنسبة للمناظر الطبيعية، ضرب من حداثة اللغة البصرية، ومحاولة لتحويل الضوء إلى خامة تصويرية. وقد



سبق لفنانين إدخال الأصوات أو الحركة، كعناصر مساعدة على تجسيد الخيال، لكن هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الضوء الصناعي، الذي يعلو إلى درجة السطوع الكامل، ثم يخفت إلى حد الإظلام خلال أقل من دقيقة، ليعاود السطوع من جديد. كانت الفنانة في مرحلة سابقة تعتمد على الإضاءة الداخلية في تكويناتها، حين كانت تصور بالحبر أو الجواش أو الزيت أو الألوان المائية، على ورق الكرتون المذهب، مستلهمة أساليب المنمنمات الإسلامية. كانت ترسم في الذاكرة – وهي في قلب باريس – الوجوه المصرية الشعبية الهائمة في الريف والأسواق. استخدمت الإضاءة الخارجية سنة 1976، بعد أن أقامت عدة معارض في لبنان وفرنسا وإسبانيا وأمريكا. صاحب هذا الأسلوب موجة التجديد التي غمرت أوروبا وأمريكا، في السبعينيات. كان من أبرزها «التجريد الإيهامي» حيث يعتقد المتلقي أن الرسوم والألوان بارزة، مع أنها مسطحة تمامًا أو «الهولوجرافي» الذي يستخدم أشعة الليزر في إيهام المتلقي بأنه يرى تماثيل وتركيبات ثلاثية الأبعاد، مع أنها غير موجودة على الإطلاق.

لكن الأسلوب الإيهامي عند «فريدة»، يعتمد على كشافات مباشرة وجانبية. يساعدها على الأداء أسلوب خاص في وضع الألوان. مثل هذه الطرق «الإيهامية» تساير البحث الدائب لفناني العصر عن «لغة» بصرية تواكب احتياجات الثقافة الحديثة مستفيدة من معطياتها التكنولوجية – وإن كانت تختلف عن الأبعاد التقليدية لفن الرسم الملون – نستطيع مع ذلك أن نتبين القيم التصويرية والإنسانية الحقيقية لأعمال الفنانة، لو أننا تأملناها بعيدًا عن الوهم والإضاءات الصناعية.

لوحاتها الأخيرة تروى ملحمة النيل الخالد، من خلال عناصر وتكوينات، تنم عن العشق الطفولي لضفافه الساحرة، التي شاهدتها للمرة الأولى منذ أحد عشر عامًا. قطعت مجرى النيل جيئة وذهابًا، على ظهر فندق عائم من القاهرة إلى أسوان – 1975، 1976، 1977 ميلادية، ثلاث سنوات متتالية تأملت خلالها النهر العظيم، وقراه وفلاحيه وحقوله المنبسطة، على مدد الشوف، لم تكن تعرف أن ضفافه على هذا القدر من الجاذبية والجمال. لم تتح لها الفرصة لتراها من قبل، وهي تتربع على عرش مصر طوال أحد عشر عامًا (1938/ 1949).

لو أننا وضعنا لوحاتها الخمس والستين الأخيرة متجاورةً، لحصلنا على بانوراما حالمة لما تزخر به شطآن النيل من حياة. رسمت «عجالات سريعة» في أول رحلة، وحاولت أن تستعين بها في صياغة تكويناتها، لكنها تبينت أن فيض المشاعر والأحاسيس يجسد ذكرياتها في سرعة خاطفة، لا تتيح للعجالات أن تلعب دورها التقليدي. تزدحم الصور في مخيلتها وتتدافع، فتسارع بإسقاطها ألوانًا على عدة لوحات في وقت واحد. والمتلقي ذو الإحساس المرهف لا يلبث أن يندمج بخياله مع عناصر التكوين، ويسعى مع صفوف الفلاحات المهرولات نحو الماء. تستقر الجرار على رءوسهن. وتسمق غير بعيد سيقان النخيل. قد تختفي العناصر وتختلط في تشكيلات تقترب من التجريد، لكننا نشعر بالإنسان يتجسد



نابضًا بالحياة ويتحرك في لطف وقوة، في غلالة من ضباب نكاد نتشق رائحته في معظم اللوحات.

أما من ناحية القياسات الفنية التقليدية، للتكوين والاتزان والنظم اللونية ولغة الملامس. فالفن الفطري يشترك مع المعالجات التلوينية والخطية الحديثة، في أنه لا يخضع للقيم الأكاديمية، ويستمد مصداقيته من الصدق والنقاء والبراءة والموهبة النائمة، التي أيقظتها عواطف الحياة ورغبة لا تقاوم في التعبير.

حين استيقظت هذه الرغبة في صدر « فريدة ذو الفقار » استشارت خالها « محمود سعيد » فرأى أن يتركها لفطرتها. لم تتلق توجيهًا أو تدريبًا حتى أصبح الرسم والتلوين شغلها الشاغل منذ هجرتها إلى سويسرا. وبدأت في باريس برنامجًا لدراسة تاريخ الفن خلال عامين. ثم تدربت لبعض الوقت على الطباعة الفنية على الحجر - أي الاستنساخ الفني بالليتوجراف - لكن هذه الدراسات النظرية والتكنيكية، لم تؤثر على فطريتها وشخصيتها الفنية، التي تبلورت وأصبح من العسير حرفها عن المسار الذي سلكته منذ عشرين عامًا، حتى ذلك التاريخ (1974/1954). احتفظت بطابع النقاء والصدق فتطهرت أعمالها من السفسطة الأكاديمية قديمها وحديثها. قديمها المتمثل في المحاكاة الباردة الخالية من حرارة الحياة، وحديثها المتمثل في الأداء العبثي أو تقليد البدع الأوروبية والأمريكية. وبقيت فنانتنا نسيجًا فريدًا بين الفطريين وغيرهم من المتخرجين والمدربين. فريدة حتى في طريقة إبداعها. فهي ترسم وتلون واقفة لا تجلس أبدًا، ولا تحمل لوحة الألوان في يدها ككل الرسامين الملونين، بل تضعها أمام حامل الرسم على منضدة ما، ولا تعد ألوانها عليها قبل العمل بل تخرجها واحدة بعد الأخرى من الأنابيب كلما احتاجت إليها. طريقة غريبة غير منطقية، لكن هكذا يبدع الفطريون كل على هواه. وربما تفسر هذه الطريقة المسحة الرمادية التي تكسو لوحاتها.

احتفظت « فريدة مصر » ببكارة إبداعها شكلًا وموضوعًا، لا ترسم إلّا ما تريد وبالطريقة التي تراها، لم تتعلم من أحد كيف تنظم الألوان على الباليته، أو تعد تصميمًا أو تخطيطًا لإبداعها. وقبيل إقامة المعرض تعمل بانتظام وانضباط من الصباح للمساء على تتابع الأيام، ثم ترتاح شهورا تعُب فيها من تجارب الحياة. طراز فريد بين الفنانين، حتى في أسلوب العمل ككل الفطريين. تسود لوحاتها الأخيرة مشاهد النيل، والمراكب الشراعية تنتشر قلوعها في أجواء رطبة هادئة توحي بالحرية والسلام، والمرتحلون على متنها أشباح بلا ملامح أو تفاصيل. تحرص على إظهار خيالاتهم في الماء، تختلط بالأمواج الصغيرة. في لمسات سريعة تناسب إيحاءات الحركة الدائبة، التي لا تخطئ طريقها إلى مشاعر المتلقي.

ولأن «فريدة» لا تتبع مدرسة بعينها. نلتقي بكثير من الأساليب مجتمعة على صفحة لوحاتها. نلتقي بالمبالغات التعبيرية في النسب، والتغاضي عن المنظور، وبالتأثيرية في إشاعة الجو الضبابي



المشبع ببخار الماء. واللمسات السريعة الفورية التي ينبغي أن تنظر إليها من بعد، وإلّا فقدت الكثير من جمالها ومعناها. فكلما اقتربنا تبينا التلقائية والعفوية، وتداخلت اللمسات وفقدنا القالب. هذه الخاصية هي سبب الحيوية والديناميكية، اللتين نشعر بهما ونحن نتأمل لوحة «ذهاب وإياب»، التي تصور عودة الفلاحات من الحقل. ألوان داكنة متداخلة تتلألأ من بينها لمسات برتقالية كأنها رءوس الفتيات العائدات المتشحات بالثياب السوداء. والصمت الشامل يوحي بأن الرسامة تسللت إلى هناك، تصطحبنا معها لنشاركها حلمها الأسطوري.

لاتخطئ الإيقاع الموسيقي للعناصر واللمسات اللونية، الموزعة في الماء تارة، وفي السماء والحقول والأشخاص تارة أخرى. ربما اكتسبت هذه القدرة من دروس البيانو التي تلقتها في يفاعتها، قبل أن تترك كل شيء سنة *1938*، وتتفرغ لمشاركة فاروق عرش مصر. هذا الطابع الإيقاعي في تكويناتها يطغى على القيم الأخرى كاستقرار التكوين وتماسكه. وبالرغم من أنها تلقت دروسًا في «المنظور» حين بدأت مشوار الرسم والتلوين، تكاد تضحي به في غمرة التعبير السريع، والإسقاط الفوري، وما يسفران عنه من إيقاع، يضفي على التكوين حياةً وحركة. احتفظت بأصالتها وفطريتها، بالرغم من محاولاتها الجادة للتغيير بعد هجرتها من مصر سنة *1963* ميلادية، وبداية احترافها، واطلاعها على حركة الفنون الجميلة الحديثة في أوروبا وأمريكا. أعجبها بيكاسو وسلفادور دالي وآخرون، لكنها بقيت على فطريتها وشخصيتها.

حاولت بعد هجرتها إلى أوروبا سنة *1976*، أن تضفي على أعمالها المستلهمة من المنمنمات الإسلامية طابع العراقة والقدم. كانت تعرض ألوانها الزيتية والورنيش إلى شيء من اللهب، لتتخذ شكل الأيقونات والصور التراثية، خصوصًا أن الورنيش المحترق، يتحول إلى ما يشبه الطلاء الزجاجي في الأواني الخزفية. كان هذا «منتشرًا في الخارج وعند الكثيرين من رسامينا في مصر تلك السنوات، التي كانوا فيها - ولازالوا - يبحثون عن «الأصالة والمعاصرة». لكنها سرعان ما تخلت عن هذا الأسلوب المفتعل، الذي أضر بصحتها وأعاق سرعة التعبير. فالموضوعات بالنسبة لها تكأة لتجسيد مكون أحاسيسها. لذلك لا تمنح لوحاتها أسماء، وترسمها من الذاكرة داخل الأستوديو، حيث تقف أمام اللوحة البيضاء بلا أفكار مسبقة. ثم يبدأ الحوار بينها وبين نفسها وألوانها ومساحتها الفارغة. لا تكاد تبدأ الرسم حتى تبدأ القوارب والمراكب تسبح على أمواج النيل، وتمرح الفلاحات على الشواطيء حاملات الجرار. وتتوالد الأفكار فتضع لوحة ثانية وثالثة وربما رابعة وخامسة، ليبدأ الرسم والتلوين فيها جميعًا. هكذا تمضي فريدة بين ألوانها ولوحاتها وعالمها الخاص النابع من أعماقها، لا تكرر لمساتها أو تحاول محاكاة الطبيعة وإتقان التصوير.

لو استطاع دارس الرسم والتلوين أن يتخلص من التعاليم الأكاديمية، لتمكن من إبداع أعمال مثيرة



وجذابة، تستمد تأثيرها من الفطرة الإنسانية، تنتقل الشحنة العاطفية بيسر منها إلى المتلقي ـ كما هو الحال عند فريدة – التي خرج الرسم عندها من نطاق الهواية والاحتراف. ودخل في إطار إشباع الاحتياج وتجسيد المشاعر والأفكار. وليس بعسير ملاحظة أنها تنظر إلى داخل نفسها أكثر من خارجها، وهي بذلك تتناول إبداعها تناولًا عصريًّا. فقد مضى عهد التكليفات الخارجية من الآخرين، وأصبح الفنانون يفسرون الطبيعة الحية كل على هواه. وفريدة ترى في النيل كل ما هو جميل ورائع. رأته من داخل فندق يتهادى على صدره القوي العريض، بعيدًا عن الأوحال والمصارف والتلوث، وشقاء الكادحين وتجريف الأراضي. رأته آية لقدرة الخالق العظيم، فصورت لفظ الجلالة يسبح على صفحة الماء مع القوارب والمراكب الشراعية، أو كتبته على مقدماتها بإحساس بسيط مباشر، قد لا يدخل في صلب التكوين لكنه يعكس إحساسًا بالتصوف والتبرك. كثيرًا ما تجمع بين الشكل واللاشكل تحت مظلة الرغبة التعبيرية الجارفة، التي تطبع الفنانين الفطريين. فقد وجدت نفسها فجأة وجهًا لوجه أمام فن الرسم والتلوين، الذي لم تعرف عنه إلّا ما شاهدته في قصور الأسرة من لوحات، وتلك الصورة الشخصية التي رسمها لها خالها «محمود سعيد»، في طفولتها. فجأة تفجرت لديها رغبة عارمة في التعبير عن الانفعالات المحتدمة، التي أسفرت عنها الظروف الاجتماعية، التي أحاطت بالعائلات الأرستقراطية بعد الإصلاح الزراعي ومصادرة الممتلكات.

وبعد سنوات طوال في طريق الرسم والتلوين، مازالت «فريدة مصر» تحتفظ بفطرتها النقية، بالرغم من أنها تقيم المعارض وتسوق أعمالها. تكمن أهدافها الحقيقية في إفراغ الشحنة العاطفية، وتجسيدها في تكوينات لونية، ولا تعني بعدئذ حتى ببروزة لوحاتها. فمعظم أعمالها الأخيرة مجرد قطع من الخشب الأبلاكاج، أو الكرتون المضغوط، أو مساحات من القماش مشدودة على شاسيهات بحكم الضرورة. تتفق هذه الظاهرة مع الحماسة والثقة بالنفس وصدق التعبير، التي يتصف بها الفن الفطري. أما طابع «العجالة» أو «الاسكتش» الذي يطبع التكوينات، فهو بلاغة وإيجاز في استخدام الخامات، وعدم التأثر بعوامل خارجية. وإن كانت تأثرت في مطلع مشوارها بالأيقونات والمنمنمات. فسرعان ما وجدت طريقها الصحيح. الأمر الذي أفسح لها الطريق للاشتراك في معرض الفن المصري المعاصر في باريس سنة *1975*. وبالرغم من إقامتها الطويلة في سويسرا وفرنسا، نادرًا ما رسمت منظرًا من هناك. كانت دائمًا تستلهم موضوعات إبداعها من مخزن الذكريات. من سنوات إقامتها في مصر قبل رحيلها عنها في سن الثانية والأربعين.

«فنون القلوب النقية» – كما يسميها بعض النقاد – لا ينبغي أن نلوي ذراعها ونقحمها في معترك الجدل، حول الحداثة والمعاصرة والفلسفة العامة. يكفيها ما تتصف به من نضارة، والتفرد التكنيكي. يكفيها أن تكون صمام الأمان للفنون الجميلة من رسم ونحت، كلما ضلت الطريق وسقطت في شباك



العبث واللا فن. فاللوحات الخمس والستون التي عرضتها الملكة السابقة، صورت النيل والقرى والريف المصري، بما يحفل به من أشجار وحقول ونخيل وبشر، يسعون من آلاف السنين، مجرد لمسات لونية هنا، وهناك تساعد المتلقي على تبين العناصر وتمييزها، وتفسير الرسالة التي أودعتها الفنانة طيات ظلالها وخطوطها. كل لوحة لها مذاق خاص في التكوين والنظام اللوني. المسحة الرمادية التي تكسوها جميعًا تتخذ غلائل تختلف باختلاف الجو العام. وردية أحيانًا أو زرقاء أو خضراء. نادرًا ما نلتقي بلون صريح كالأحمر الناصع في لوحة «الشيخ» حيث يجلس رجل ريفي في فتوة واعتزاز، تدور حول رأسه عمامة كبيرة حمراء. وإذا كانت صور الأشخاص عامة يعوزها مزيد من الدقة والتفاصيل، وبعض مهارات تخرج بها عن طابع «العجالة» أو «الاسكتش»، فمرجع ذلك إلى الإسقاط الفوري الذي يستبدل بالدقة النضارة، وبالتجويد والحيوية، وبالمنطق والعاطفة. كما أن الإسقاط عند «فريدة» يتسم بالخبرة الطويلة والحنكة ومهارة الأداء. وقد تستفيد من عامل السرعة واللمسات العشوائية، حين تترك ألوانها تسيل متساقطة لفرط ليونتها. تتركها تكمل الإحساس بالجو الرطب المشبع ببخار الماء.

وفي مناظرها الطبيعية تكمن روح شرقية، تعكس على المتلقي نفحة سحرية تدفعه إلى مشاركتها الحلم والخيال. فمن خلال الإيقاع العصبي المتسارع لعصر الكمبيوتر، وسفن الفضاء والحروب، التي لا تعرف الرحمة، تبرز لوحات فنانتنا كالواحة الظليلة، يرتاح في رحابها فكر المتلقي ووجدانه. تعطيه سببًا وجيهًا للحياة بما فيها من عظمة وجلال. هذا هو المضمون الإنساني الذي تسفر عنه مجموعة اللوحات. استطاعت أن تعبر عنه في بساطة وبلاغة وحرية وحب حقيقي، يصل إلى قلب المتلقي مباشرة للوهلة الأولى. تأخذه إلى عالم يمزج بين الحقيقة والخيال، والواقع والأسطورة. من قوارب النزهة إلى المراكب الشراعية.. إلى شواطيء النيل حيث تملأ الريفيات الجرار.. إلى القرى وبيوت الطين تتطلع بنوافذها على قوارب الصيد، تسعى على صفحة النهر منذ آلاف السنين.. إلى غابات النخيل تتسلل من بينها العذارى على استحياء، إلى هذه الرحلة داخل بلادنا الجميلة، اصطحبتنا «فريدة مصر» لنرى بعيونها وألوانها، وتجلو لنا أسرار جمالها وفتنتها، وما خفي علينا من سحر شواطئنا، وترسي في جوانحنا إحساسًا متجددًا بالأمان والسلام.. كنا قد فقدناه.



الملكة الفنانة

أنت لا تقابل في كل يوم ملكة فنانة، أو رئيس وزراء أو وزيرًا، ومع ذلك فالتاريخ حافل بأسماء فنانين رسامين ملونين، بين الملوك والرؤساء والوزراء. كانت ڤيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى تتقن الرسم بالألوان المائية، وونستون تشرشل رئيس الوزراء أثناء الحرب العالمية الثانية، وأدولف هتلر ديكتاتور ألمانيا. كما كان أحد سلاطين العصر الصفوي في إيران يهوى الرسم والتلوين.

لقد صدر كتاب حياة وأعمال الرسامة الملونة: ملكة مصر السابقة، المعروفة في حركتنا الفنية بـ «فريدة مصر»، وهو الاسم الذي اختارته لنفسها، اعتزازًا بانتمائها إلى بلدها وشعبها، الذي أحبها حين جلست على العرش سنة *1937*، واحتضنها وضمد جراحها النفسية، عقب طلاقها من الملك فاروق سنة *1948*. ثم رحب بها واستقبلها بحرارة، عند عودتها كرسامة ملونة سنة *1980*، وأكرم وفادتها حتى يوم رحيلها منذ سنوات.

يقع الكتاب في *160* صفحة من القطع الكبير، وورق الكوشيه الفاخر الملون. أما المؤلفة فهي الدكتورة لوتس عبد الكريم صاحبة ورئيس تحرير مجلة «الشموع» الفصلية، التي ترفع شعار: «من أجل قيمة الجمال في الأدب والفن والحياة». تخرجت في قسم الفلسفة بآداب الإسكندرية، وأتمت دراساتها العليا في لندن وباريس. ولها بحوث سابقة عن فناني آسيا وأوروبا أثناء إقامتها في بعض الدول هناك.

خلال السنوات الأخيرة في حياة الملكة فريدة، نمت عرى الصداقة بينهما خصوصًا أن الدولة منحتها مسكنًا في ضاحية المعادي، على بعد خطوات من مقر مجلة «الشموع»، فأهدتها لوتس مرسمًا ومنتجعًا قضت فيه ما بقي لها من عمر. وكانت فرصة لاحتكاك وثيق أسفر عن هذا الكتاب، الذي صاحب صدوره إقامة معرض استعادي (ريتروسبكتيف) لمجموعة لوحات الملكة السابقة، تمثل مراحلها الفنية. منذ معرضها الأول في مصر الذي أقامته بعد عودتها، في بهو فندق الميريديان، وقد نشرت مجلة «المصور» دراسة عنها عقب معرضها الثاني في أبريل سنة *1986*، في عددها الصادر في الثاني من مايو في العام نفسه.

افتتحت المؤلفة كتابها ببضعة سطور، سجلتها على الغلاف الخارجي، عبرت بها عن مدى الشحنة العاطفية الجارفة، التي دفعتها إلى إصدار هذا المجلد، أما المقدمة فقد وضعها شيخ الصحفيين: مصطفى أمين، حدثنا فيها عن اللحظات القاسية التي مرت بصاحبة السيرة عند قيام الثورة، وكيف أصبحت بين عشية وضحاها لا تملك مليمًا واحدًا، ثم بدأت صفحات الكتاب تمزج بين الفن والحياة، وتحليل الدور الذي لعبه الإبداع الفني، ليحفظ الاتزان والاستقرار النفسي والرغبة في الاستمرار، على الملكة السابقة التي فقدت كل جاه ومال وسلطان، وكتب عليها أن تغلق فمها وأن تعيش على مساعدات



أهل الخير من علية القوم، وتتسم في الوقت نفسه بأمارات الشموخ والنبل. وكيف كان الرسم والتلوين هما المرفأ الهادئ، الذي أنقذ سفينة حياتها من غرق أكيد.

وضعت المؤلفة لكتابها القيم عناوين داخلية غير تقليدية مثل: هذه هي الملكة فريدة.. المرأة والأسطورة. فريدة مصر، فريدة وهمسات الألوان.. إلخ. إلَّا أن القاريء يفاجأ في خضم الملحمة الفنية العاطفية بوثائق حزينة، مثل الصورة الزنكوغرافية لشهادة طلاق الفنانة من زوجها الملك فاروق، في جلسة معقودة بقصر عابدين في السابع عشر من يوليو سنة 1948.

ويحفل الكتاب بعدد كبير من اللوحات الملونة، لو وضعنا ثبتًا لموضوعاتها، التي استهوت الملكة

الملكة فريدة قبل إقامتها في القاهرة ..حوارٌ متصل مع البشر على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم



الملونة، لأدهشتنا بشعبيتها وعشقها للحقول والفلاحين، ولنهر النيل الذي لم يعد يلفت نظر واحد من رسامينا كبارًا وصغارًا. وقد اختارت المؤلفة تعليقات فنية تزيد الألفة بينها وبين القارىء. من بين اللوحات المنشورة: القرية في الليل، قوارب في النيل، فلاحة، فلاح، النهر الخالد، نور الله، شمس الأصيل... وهكذا. لقد عشقت مصر وملأت بمشاهدها عينيها وقلبها ولوحاتها. وقد أتقنت المؤلفة انتقاء التعليقات والتحليلات والأسماء المناسبة، في لغة شاعرية صافية، إلَّا أنها حين تناولت المعايير الاستطيقية، تعاملت مع اللوحات كما لو كانت الملكة السابقة دارسة لتقنيات الممارسة الفنية. إلَّا أن هذا الطراز من الإبداع المثير، يسمونه: الفن البكر.. أو الخام.. أو غير الموجَّه. أما الإنجليزي: روجر كاردينال، فيطلق عليه مصطلح: «فن الخوارج، وأصدر سنة *1972* كتابًا بهذا الاسم، حدد فيه «الخوارج» بالفطريين، والذين لم يتلقوا تعليمًا أكاديميًّا، لأنهم لا يخضعون للمعايير التقليدية، التي قيست بها جماليات لوحات الملكة الفنانة، التي كانت تلون ثلاث لوحات في وقت واحد في بعض الأحيان، ولها أسلوب خاص وشخصي في الرسم والتلوين والتكوين وصياغة التعبير، تطرح به معايير جديدة غير تقليدية للفن والجمال.

تقول المؤلفة: إن الفن هو الذي احتفظ للملكة السابقة بالأمل في الحياة، والكرامة والعزة، بعد كل الكوارث التي حاقت بها، تقول إنها كانت فنانة في ملكها، وملكة في فنها، فكما رفضت الخضوع للتقاليد الملكية وأصرت على الطلاق، وفضلت العزة والكرامة، في سلة واحدة مع الوجه البشع للحياة، نبذت المعايير الاستطيقية التقليدية المتوارثة عبر القرون، كانت تعبر بصدق عن خلجات نفسها وخواطرها، وتذوب مع ألوانها على صفحة لوحاتها، التي كانت تعرض معظمها بلا براويز. مجرد أوراق معلقة على حوائط العرض، أو أقمشة على «شاسيهات» خشبية رخيصة. المهم هو الموضوع الملون المرسوم على الورق أو القماش، ودعك من البراويز والمعايير والتقاليد الفنية.

كانت فريدة ذو الفقار، ذات نزعة صوفية شملت كل حياتها. وإيمان مطلق بالله، يتردد صداه في رسومها وألوانها، كثيرًا ما رسمت لفظ الجلالة بأشكال شتى في أنحاء لوحاتها: في الهواء.. وعلى صفحة الماء.. ومختلف العناصر. وكانت لوحاتها صديقاتها – كما تروى لوتس في كتابها – تحنو عليهن وتحاورهن، وتغير الإضاءة عليهن بين يوم وآخر، الأمر الذي يقيم دليلاً على صدق الفنانة، الذي هو شرط الإبداع والتدفق العاطفي والإسقاط. تلك العوامل التي تهتز لها روح المتلقي. وهي أمور لا تدرس في استوديوهات وأكاديميات. وإذا كانت قد التحقت بأحد الاستوديوهات الباريسية طوال عامين، فقد كان ذلك للتعرف إلى تقنيات الاستنساخ الفني (الحفر)، وليس إلى أية مهارات تلوينية.

قد يتصور بعض المعنيين بشئون الفنون الجميلة، أن العمل الفني، لا يحتاج تذوقه إلَّا التأمل، وهو قول به كثير من الصواب، لكنه ليس كل الصواب، فالمتلقي لن يستقبل الرسالة، ولن تهتز روحه للغة الأشكال والألوان، إلَّا إذا أحاط بالجو الثقافي الذي أسفر عن العمل وسيرة الفنان الذي أبدعه.



خدعوك فقالوا: إن الفن يحدِّث عن نفسه. لو أن الأمر كذلك، لما ظهر النُّقَّاد والمؤرخون جنبًا إلى جنب مع الفنانين منذ فجر الإبداع. وكان النقد في ثوبه الحضاري في القرن السادس عشر الميلادي، مجرد تاريخ حياة الرسامين والمثَّالين، ويعتبر كتاب الإيطالي «جورجيو فازاري» نموذجًا لهذا الطراز من النقد والتحليل، عرفنا منه القيمة الثقافية لعباقرة عصر الرينيسانس: مايكل أنجلو بوناروتي وليوناردو دافنشي وغيرهما.

وكتاب «الملكة فريدة» الذي وضعته الكاتبة لوتس عبد الكريم، يروي بأسلوب يمزج بين الرومانسية والواقعية التقريرية، تاريخ حياة الملكة الفنانة، ويشحذ نظرتنا إلى لوحاتها ويثري تذوقنا لإبداعها، وهو أسلوب ضروري في معالجة «الفن البكر» أو «الخام» أو إبداع الفنانين الخارجين عن المعايير التقليدية، وقد اتضحت هذه الاعتبارات، في تحليل الكاتبة للدوافع النفسية والاجتماعية، التي حفَّزت الرسامة الملونة الراحلة للحياة في عالم خيالي، هي صاحبته وخالقته، تسجل رؤاها في لوحات زيتية تبدو واقعية للوهلة الأولى، إلا أنها مجرد أحلام تتخذ أشكالاً وألوانًا وتكوينات، وتنفرد بمعايير استطيقية خاصة، تشعر المتلقين بأنشودة الألم التي عاشتها.. والتي أحسنت الكاتبة تصويرها.

عودة إلى الملكة الفنانة

طالعتنا مجلة الهلال في باكورة أعداد عام *1994* ميلادية، بمقال للرسام الملون: محمود بقشيش بعنوان: الملكة فريدة ودعوة إلى فقدان الذاكرة. والكاتب عضو أيضًا في جمعية النقاد، إضافة إلى وظيفته في وزارة الثقافة. فهو يستطيع في عصر التخصص الدقيق أن يجمع بعبقريته بين الأنشطة الثلاثة، بالرغم من أن البروز في أحدها، لابد أن يكون على حساب الأخرى.

لقد وجد الكاتب أن الوقت مناسب، ليشن هجومًا على كتاب صدر منذ عام تقريبًا، عن حياة الفنانة فريدة ذو الفقار ملكة مصر السابقة ورسومها، مهملاً الحدث العالمي القائم في القاهرة حاليًا وهو: ترينالي مصر الدولي لفن الجرافيك (الدورة التأسيسية)، الذي يضم أعمال أكثر من أربعمائة فنان وفنانة، يمثلون ثلاثًا وسبعين دولة، وكان الكاتب عضو هيئة التحكيم التي وزعت الجوائز، والمكونة من أربعة مصريين وثلاثة أجانب. السبب في هذا الإهمال هو مرورنا بعصر الانتقال الثقافي، وعدم التخصص الذي سبقتنا إليه أوروبا وأمريكا الشمالية. وتمتاز عصور الانتقال بظهور أنصاف الفنانين، أنصاف النقاد، الذين يعوقهم انشغالهم بالإبداع الفني، عن الإلمام الضروري بأدوات النقد، وأهمها الاطلاع المستمر على كل جديد في العلوم الإنسانية، ومعرفة اللغة الإنجليزية التي لا يتقنها فنانونا عادة. وإن كان محمود بقشيش قد تلقى بعض الدروس أخيرًا في المعهد الفرنسي بحي المنيرة، لكن



لوحة « إدفو » وهي من أعمال الملكة الفنَّانة فريدة المنجزة عام *1986* ، وتأتي هذه اللَّوحة في سياق اللَّوحات التي رسمتها الملكة إثر رحلة إلى جنوب مصر اشتملت أسوان وإدفو والنوبة مرورًا بالأقصر عبر النيل وقد شاركتها رحلتها د. لوتس عبد الكريم



يبدو على الرغم من ذلك أنه لم يقرأ كتاب «الخوارج» المنشور باللغة الفرنسية- تأليف دولا كامباني – الصادر في باريس سنة *1988*. وبالطبع لم يطلع على المرجع الإنجليزي الصادر سنة *1972* للناقد والمؤرخ: رودجر كاردينال بعنوان: أوتسايد آرت، الذي نشرنا عرضًا للفصلين الأول والثاني منه على صفحات مجلة «المصور» خلال العام الماضي *1993*.

لو أن محمود بقشيش نظر في الكتابين – الفرنسي والإنجليزي - اللذين أشرنا إليهما، أو قرأ بإمعان الدراستين المنشورتين في المصور، لما وقع في خطأ الحكم على فن الملكة السابقة بالركاكة، لأن مصطلح «الفن الخام» الذي ذكره في مقاله قد صكه المفكر الفرنسي الفنان جان دوبوفيه (*1901* – *1985*) سنة *1941*، حين أقام أول معارضه في باريس، ورأى أن أعماله تتضمن المادة الأولية للجمال؛ أي الجمال الخام، وشرح بثقافته الموسوعية، كيف أن هذا الجمال البكر، لا يقاس بالمعايير التقليدية للجمال المنبثق من ثقافتنا التي تعودناها. فالحكم على أعمال فريدة ذو الفقار بالركاكة، نابع من الثقافة التقليدية لمحمود بقشيش، خصوصًا أنه رسام ملون ينتمي إلى مذهب التعبيرية المجردة، مما يقيد حرية رأيه ويجعله منحازًا وليس حياديًا في الحكم على أعمال زملائه الفنانين، حين يمسك بقلم الناقد وينكب على أوراقه لتقييمها، بالرغم من تمكنه من ناصية الكلمة، وإتقانه للسخرية والتهكم، والاستناد في مراجعه إلى أحاديث المخبرين السياسيين والحرس الحديدي للملك السابق ؛ حيث لا علاقة بين هذه المراجع وتقييم الإبداع الفني، الذي يستلزم دراسة علوم: الجمال وتاريخ الفن، والتاريخ العام، والسيكولوجي، والأركيولوجي والأنثروبولوجي، وتاريخ النقد الفني منذ البداية، في مطلع القرن الأول الميلادي، في كتابات بليني الإغريقي سنة *27* ميلادية، حتى عصر الرينيسانس وكتابات الإيطالي جورجيو فازاري في القرن السادس عشر الميلادي، مرورًا بالعصور الوسطى، وصعودًا إلى القرن العشرين حيث عمالقة النقد المتخصص: رودجر فراي، وهربرت ريد، وكينيث كلارك، وكليمنت جريتبرج وروبرت هيوز، وريتشارد كورك وغيرهم. ومن المعروف أن آخر أنصاف النقاد الفنانين في أوروبا، هو الفرنسي: أندريه لوت (*1885* - *1962*)، الذي يؤخذ عليه تأليفه لأربعة كتب في النقد الفني، مما أسقطه من قوائم النقاد والفنانين معًا، ولا يوجد في الثقافات المتقدمة بين النقاد، من ينشغل بأعمال أخرى غير الكتابات النقدية في الصحف والمجلات، والإشراف على إقامة المحافل الدولية بتكليف من أولي الأمر، كما فعلت إدارة بينالي فينيسيا الدولي، حين كلفت الناقد أكيلي بونيتو أوليفا بتنظيم وتنظير الدورة الخامسة والأربعين عام *1993*، أو حين يتولى ناقد كبير مثل الإيطالي: كارميني سينيستالكو الإشراف على بعض قاعات العرض بوسط روما، واختيار الفنانين المتقدمين لعرض أعمالهم بها.

الواقع أن مقال بقشيش لم يكن معالجة نقدية لإبداع الملكة السابقة، بل كان هجومًا يرتدي بزة الفرسان، ويقاتل ضد الملكية من أجل رفع راية الجمهورية.. يذكرنا بـ «دون كيشوت» بطل رائعة الروائي الإسباني «سيرفانتس»، الذي تقمص شخصية فرسان العصور الوسطى، وحارب طواحين الهواء على

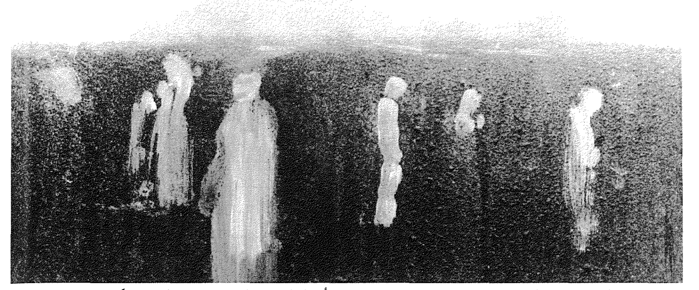


صهوة جواده الهزيل، ومن خلفه تابعه المسكين: سانكوبانزا.. فقد تخيل بقشيش أن الكتاب الذي وضعته الدكتورة لوتس عبد الكريم، يدافع عن النظام الملكي ويترحم عليه، لمجرد أنها كانت صديقة للملكة السابقة، وأفسحت لها مكانًا في فيلتها بالمعادي تتخذه مرسمًا، كما كانت تقدم لها المساعدة كلما أتيحت الفرصة، إذ أن الشقة التي منحتها الدولة للملكة السابقة في المعادي، لم تكن تسمح بممارسة الرسم والتلوين، ولعل فناننا الملهم، يرى أن إنفاق المسئولين عندنا على رحلات سفر الملكة السابقة إلى بناتها في سويسرا وعودتها وعلاجها هو أيضًا دعوة للملكية وحنين إليها.

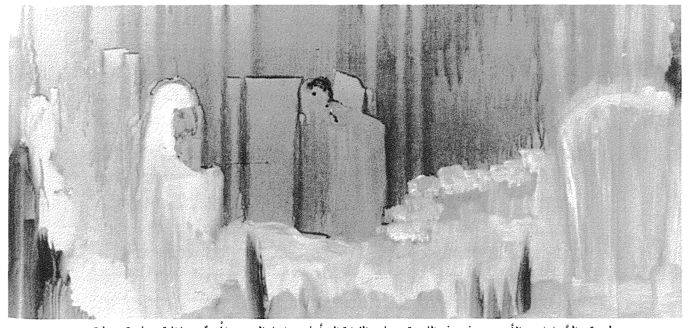
ربما كانت الفرصة سانحة في هذه المناسبة، لنبرز الدور المهم والقدوة الحسنة التي تقدمها الدكتورة لوتس عبد الكريم للشخصيات القادرة في مجتمعنا، على رعاية الفنون الجميلة ودعم الحركة الثقافية، فهي تصدر مجلة «الشموع» الفصلية تحت شعار: من أجل قيمة الجمال في الأدب والفن والحياة، وترأس تحريرها وتستكتب فيها كبار النقاد والأدباء والمفكرين، وتفرد الكثير من صفحاتها للفنون الجميلة، حتى إنها خصصت في الأعداد الثلاثة الأخيرة، ثلاثة ملفات على التوالي لنخبة من كبار الفنانين وهم: صلاح طاهر، وفاروق حسني، وصبري راغب، كما هيأت الدور الأرضي بفيلتها في المعادي لإقامة المعارض الفنية تحت اسم: قاعة الشموع، ومنذ شهرين أو نحوهما، نظمت مهرجانًا كبيرًا ومعرضًا استعاديًا، لعميد فن البورتريه في مصر: صبري راغب (73 سنة)، وأعدت لتكريمه على نفقتها الخاصة قلادة من الذهب والفضة، تفضل بتقديمها له وزيرنا الفنان فاروق حسني، في حفل مهيب أذاعته المحطة الفضائية بالتليفزيون، ونقلته مختلف الإذاعات المحلية والأجنبية.

بقيت كلمة نهمس بها في أذن الرسام الملون محمود بقشيش، تلك أن التصنيف العلمي النقدي لإبداع الملكة السابقة، هو «الفن الخارج» وليس الفن الخام: آربروت، وكلمة «آر» هنا بمعنى فن، تستخدم مجازيًا ويقصد بها «الجمال الخام»، كما شرحها منشئها: جان دوبوفيه.. ومع ذلك فالتصنيف الذي يظنه فناننا الملون تعميمًا مختلًا، فإبداع فريدة ذو الفقار يتدرج في فئة تسمى: أنتيوتورد . أي غير الموجهين الذين لم يتلقوا دراسات أكاديمية لكنهم متعلمون في الوقت نفسه أو مثقفون - وهؤلاء يختلفون عن الفنانين الفطريين كالشيخ رمضان، وفايد، ومحمود اللبان ورفاقهم الذين لم ينالوا قسطًا ما من التعليم، ويسمون بالإنجليزية: أنسيتيك، وهي مشتقة من كلمة: أنسيتوس اللاتينية بمعنى غريزة أو فطرة، والفن الخارج ينقسم إلى فئات هي: الفن غير الموجه، والفن الفطري، وفن المنجمين أو العرَّافين، وفن المجانين، وفن الأطفال، ومصطلح «خارج» هنا يعني أنه يخرج عن المعايير التقليدية للفن، المتبلورة عبر العصور منذ ما قبل التاريخ، ويعتبر الفن البدائي فنًا خارجًا إذا لم يكن متأثرا بالثقافات الحديثة التي تفقده بكارته، لذلك يرى جان دوبوفيه، أن بيكاسو أفسد الفن الزنجي حين أفرغه من محتواه الطقوسي الشعائري، ولنا عودة قريبة ومتكررة، نستكمل فيها عرض بقية فصول كتاب رودجر كاردينال حتى لا يتكرر الخطأ الذي سقط فيه محمود بقشيش.





لوحة « جني القطن » وقد رسمتها فريدة عام 1980، وهي من الأعمال الخاصة والنادرة في مسيرة الفنانة التشكيلية ، لما فيها من مزجٍ بين الواقعيِّ والسحري الخيالي. وهذه اللوحة تؤكد - من جديد - أن ملكة مصر كانت تحمل البسطاء - الذين هتفوا بشرفها واسمها - أينما حَلَّتْ.



لوحة « السّماوات والأرض » وفي هذه اللوحة وصلت الفنانة إلى أعلى مراحل التجريد إذْ تعبِّر بشفافية وحلمية صوفية وتأمل عميق للعالم الباطني قبل الخارجي

لوحة «حزن في القرية» ، لقد طافت الملكة فريدة قرى ونجوعًا نائية ، كانت قريبة من البسطاء ،تنجذب إليهم – ترسمهم – وتحملهم داخلها، إذْ كانت ترى – وهي الملكة – أن ذلك العالم أليف وقريب منها وحميم لها



روح القرية المصرية تجلَّت في أغلب أعمالها



ملحمة الملكة «فريدة مصر»

د. صبحي الشاروني*

أفضل تكريم الفنانين والمبدعين في حياتهم، لأنه يطيل أعمارهم ويستحثهم على مواصلة العطاء والإجادة، من أجل الاحتفاظ بموقعهم على القمة، وقد نشرت عام 1984 تحقيقًا نقديًّا مصورًا عن حياة وفن «الملكة فريدة»، وسعدت لأنها اعتبرت ما كتبته أفضل ما نُشِرَ عنها.

لكن ما يكتب عن الشخصيات العامة وهم أحياء، يختلف عن تقييمهم بعد أن أتموا رسالتهم، وأصبحت سيرتهم موعظة ونموذجًا يقتدي به المعاصرون.

لقد كانت حياة «الملكة فريدة» مماثلة لحياة أبطال الملاحم التراجيدية اليونانية القديمة، والتي يلعب بطولتها الملوك والأمراء، فتعصف بهم أصالة معدنهم ومتانة أخلاقهم في صراعهم ضد القدر، فلا يبقى منهم إلَّا القدوة والنموذج، الذي يتعظ به متابعو أحداث الملحمة التراجيدية.

فتاة في جمال سندريلا من بيت عريق، تتزوج ملك البلاد، وتلبس التاج أحد عشر عامًا، ويعاندها القدر فتنجب ثلاث أميرات ولا تنجب وليًّا للعهد، فتخرج من قصر الملك لتعيش بين أفراد الشعب.

وتتوالى أحداث الملحمة، فيتجمع الغضب الشعبي على الملك، حتى تقوم الثورة ويسقط النظام الملكي مشيعا بأسوأ الذكريات، بينما تبقى هذه الشخصية الملحمية ملكة على قلوب الناس، الذين وصفوها بالطهارة، واعتبروها أحد رموز ثورتهم على النظام الملكي.

وتمضي الأيام لتعود من منفاها متوجة مرة أخرى، لتجلس على عرش من المحبة والإعزاز والتقدير، بدلاً عن العرش المخلوع، وظلوا يسمونها الملكة بعد أن انتهى النظام الملكي، فمملكة القلوب والمشاعر هي الطريق إلى العرش الصحيح الدائم، وهكذا عاشت ملكة وماتت ملكة، ولنبدأ الملحمة من آخرها.



الملكة فريدة مع الفريق يوسف صبري أبو طالب وكان محافظًا للقاهرة ثم د. عبد الأحد جمال الدين وكان رئيسًا للمجلس الأعلى للشباب والرياضة ثم ماهر أباظة وكان وزيرًا للكهرباء في معرضها « العودة إلى الوطن »

* مجلة الشموع العدد الثاني عشر عام 1989 ميلادية



«صافيناز» و«فريدة»

توفيت فجر 16 من أكتوبر عام 1988 الملكة فريدة، عن 68 عامًا بعد فترة من المرض استمرت بضعة أشهر، ودفنت بالقاهرة بعد أن عاشت حياة تأرجحت بين كرسي العرش في شبابها المبكر، والغربة والمنفى في المرحلة الوسطى من حياتها، ثم تحت الأضواء كفنانة مبدعة في خريف العمر.

أقامت أحد عشر معرضًا لأعمالها، منها ثلاثة في القاهرة بفندق الميريديان المُطل على النيل، بينما أقامت معرضها الأول في باريس عام 1968، عندما بلغت السابعة والأربعين من عمرها.

ترجع جذور أسرتها إلى أصول تركية، فجد والدها جاء إلى مصر طفلًا، وتربى في بيت محمد علي باشا الكبير، التحق بالجيش وشارك إبراهيم باشا فتوحاته، ثم تولى قيادة الجيش المصري عام 1854، هو «يوسف رسمي» بك الذي سمي ذو الفقار نسبة إلى سيفه، وانتقل هذا اللقب إلى أسرته.

ابنه هو علي ذو الفقار باشا الذي كان (حكمدار) القاهرة، وقد أنجب ثلاثة أنجال وكريمتين، منهم يوسف باشا ذو الفقار والد الملكة فريدة.

«الملكة الفنانة»: ولدت في اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة 1921، عندما رزقت السيدة زينب هانم ذو الفقار، حرم سعادة يوسف باشا ذو الفقار، طفلة بديعة التكوين، هي أول ما رزق الله هذين الزوجين الكريمين من ذرية، فأطلقا عليها اسما تركيًا جميلًا هو صافي ناز، ومعناه بالعربية «الدلال الصافي». وهو من الأسماء التي انتشرت بين الأسر العريقة التي تنتمي إلى أصل تركي قديم.

هي كريمة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار، وكيل محكمة الاستئناف المختلطة، ابن علي باشا ذو الفقار محافظ العاصمة الأسبق، ابن يوسف بك رسمي أحد كبار ضباط الجيش المصري في عهد الخديو إسماعيل.



صوفية الملكة جعلتها تنحو نحو التجريد



أما والدتها السيدة زينب هانم ذو الفقار، فهي كريمة المغفور له محمد سعيد باشا الذي رأس الوزارة المصرية غير مرة. ولها أخوان هما سعيد ذو الفقار وشريف ذو الفقار.

درست في مدرسة «راهبات نوتردام دي سيون» الفرنسية بالإسكندرية، فأتقنت اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ولما لاحظ سعادة والدها حاجتها إلى الاستزادة في اللغة العربية أحضر لها مدرسًا خاصًا.

لها هوايات كثيرة أولها الموسيقى وبنوع خاص العزف على البيانو، وليس يوسف باشا عازفا ماهرا على البيانو وحسب، بل هو كذلك رسَّام بارع، حتى ليجد الداخل إلى السراي صورة زيتية من صنع سعادة والدها المحترم وبريشته، فلا غرابة إذن أن تكون جلالتها رسامة ماهرة، تتلمذت لوالدها في الرسم وقتًا غير قصير.

ولجلالتها شغف خاص بعصفور الكناري، وقد بلغ من فرط حبها لهذه العصافير أنها كانت تتولى إطعامها بنفسها.

هذا بعض ما نشر بمجلة المصور في يناير عام 1938 عن الملكة «فريدة» بمناسبة زواجها من الملك فاروق، الذي غير اسمها من «صافيناز» إلى فريدة لأنه يبدأ بحرف «الفاء»، وهو الحرف الذي كان شعارًا للأسرة المالكة في مصر منذ تولي الملك «فؤاد» والد «فاروق» العرش، فكان ينتقي الأسماء التي تبدأ بهذا الحرف ليطلقها على ذريته: فاروق، فتحية، فايزة، فريال.. وهكذا.

اهتمام عائلي بالفن

نشأت في أسرة تعني بشئون الفن، سواء من ناحية النسب أو العصب، فعمها «حسين ذو الفقار» كان مشرفًا على تنسيق الحدائق بالقاهرة، ويرجع إليه الفضل في إقامة «حديقة الأندلس»، تلك التحفة الفنية على الطراز العربي الفاخر، أما أخوها شريف ذو الفقار، فقد اشتهر كمصور فوتوغرافي متفوق، كما أن الفنان المربي الراحل «سعد الخادم» هو ابن خالها، وكان يعتبر مرجعًا موثوقًا في مجال الفنون الشعبية التشكيلية.

ولدت بقصر جدها «محمد سعيد باشا»، في حي جناكليس بمنطقة رمل الإسكندرية، هذا القصر سكنه خالها الفنان الرائد «محمود سعيد» بعد وفاة أبيه صاحب القصر، ومحمود سعيد هو أحد الأعمدة السبعة الذين قامت على أكتافهم نهضة الفنون الجميلة في مصر، خلال النصف الأول من القرن العشرين، لقد أصبح هذا القصر بعد وفاة محمود سعيد «متحف محمود سعيد»، الذي تشرف عليه وزارة الثقافة.



وكانت «صافيناز» تتردد في طفولتها على خالها، الذي رسم لها لوحة رائعة عام *1933*، وأطلق عليها اسم «ابنة أختي»، إنها تصورها عندما كانت فتاة صغيرة لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها، وقد جلست أمامه في حديقة القصر تحت الأشجار، وكانت كثيرة الحركة حتى هددها بعدم إتمام تلك اللوحة، وهي الآن أحد معروضات هذا المتحف الذي يعتز بها.

ومن هنا كانت ميولها الفنية تجد تشجيعًا من الأسرة، فضلًا عن المناخ الثقافي المنتعش بالإسكندرية، فيما بين الحربين، عندما كانت الإسكندرية تستقبل الفنون الواردة عبر البحر المتوسط، وتضم عددًا كبيرًا من مراكز الإشعاع الثقافي، وتعج بالشخصيات اللامعة في مجالات الأدب والفن من المصريين والمستوطنين الأجانب.

موكب الملكة

بزواجها من الملك فاروق خرج الفن من دائرة الاهتمام، وكنا نرى في طفولتنا موكبها وهي بالملابس البيضاء، في عربة تجرها الخيول متجهة إلى مستشفى قصر العيني، حيث استحوذ عليها النشاط الاجتماعي، ومساعدة المرضى من الفقراء، وكنا نقف على الجانبين مصفقين لموكبها، بالإضافة إلى نشاطها بين تلميذات المدارس، حيث تكونت جماعات المرشدات، وهو النشاط المقابل لجماعات الكشافة بين الشباب.



الملكة فريدة ليلة زفافها





الملكة فريدة في زيارةٍ إلى معسكرات الكَشَّافة

عند طلاقها تعاطفت معها جموع الشعب، وخرجت مظاهرات الطالبات وتلميذات المدارس، تهتف لها وتصفها بالطهارة، لقد كانت تلك الأعوام السابقة على ثورة 23 يوليو 1952، هي أعوام تعبئة الشعور العام بالعداء للملك السابق فاروق، وهي التي مهدت الطريق لتحرك الجيش والاستيلاء على السلطة في مصر.

وفي ظل الثورة تكوَّن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وأصبح خالها «محمود سعيد» مقررًا للجنة التشكيلية بالمجلس، وكان أول من تمنحه الدولة جائزتها التقديرية في الفنون تقديرًا لمواهبه وجهوده في ميدان الفنون الجميلة، إنه هو الذي شجعها على السير في اتجاه ممارسة فن الرسم.

عادت إلى الرسم بعد أن تخطت سن الثلاثين، كانت تسكن قصرًا في الجيزة يطل على الحقول والمزارع الممتدة، التي تنتهي بمشهد أهرامات الجيزة، فكان موضوعها هو المشاهد الخلوية، والفلاحون العاملون في الحقول. في البداية اتجهت إلى الرسم لشغل أوقات الفراغ والتنفيس عن الضغوط النفسية بعد طلاقها من الملك السابق فاروق، ثم مصادرة أملاكها بعد قيام ثورة 23 يوليو ، ومنعها من السفر إلى الخارج فلم تلتق ببناتها عدة سنوات.



ومما زاد الضغوط النفسية عليها، أنها التزمت ألَّا تقول كلمة واحدة ضد الملك المخلوع، سواء بعد طلاقها أو بعد خروجه من مصر، بل على العكس عندما رزق الملك السابق ولدًا أرسلت له برقية مليئة بالعواطف النبيلة، ومهنئة بأن الله حقق أمنيته، وقد دهش الملك من هذا النبل الذي لم يطمسه عذاب الإهانة بطلاقها، بل كانت تمنع المحيطين بها من ترديد ما يعرفونه عن أخطاء الملك وخطاياه قائلة: تذكروا أنه والد بناتي والإساءة إليه إساءة إليهن.

رعاية محمود سعيد

شاهد الفنان الكبير محمود سعيد، لوحاتها عن الحصاد والعمل في الحقل والأهرامات، واعتبرها نوعًا من «الفن الفطري عند الكبار»، فشعر بأن ما تفعله له قيمة فنية، وأبدى لها إعجابه بتجربة المربي الرائد «حبيب جورجي»، الذي أجرى تجربة تربوية حول الفن الفطري عند الأطفال المصريين، فيما بين عامي *1939* و *1591*، ووجهها خالها لمشاهدة هذه الأعمال والتعرف عليها باعتبار رسومها لها الروح والمذاق نفسهما.

وكان هو الذي اقترح عليها في البداية، أن تغرق همومها في الرسم، وأن تتطهر بتوزيع الألوان والأشكال، وأن تسمو فوق الأحداث بالاستغراق في الإبداع الفني، وحدثها عن «الجمركي» هنري روسو - أشهر الفنانين البدائيين - الذي تعرض أعماله في متحف اللوفر بباريس، وأوضح لها أن طريقها في الفن يماثل طريق هذا الفنان الشهير، ولم يحاول أن يوجهها إلى التأنق أو الدراسة الأكاديمية، بل شجعها على الاسترشاد بفطرتها.

ولما كان الفنان يحتاج عادة إلى مكان مستقل، بعيدًا عن أماكن المعيشة، لكي يتمكن من الانغماس في فنه والتفرغ له، فقد كان لمحمود سعيد مرسم فوق سطح قصره بالإسكندرية، فدعاها لتشغله فترة من الزمن، حيث رسمت الوجوه بطريقة بدائية تمثل مرحلتها الثانية.. لكن - للأسف - ضاعت كل أعمالها في مصر قبل الهجرة إلى الخارج.

بقيت في مصر حتى حصلت على إذن السفر عام *1963*، فسافرت إلى لبنان أرض غربتها الأولى، حيث واصلت رسم وجوه الشخصيات الاجتماعية والمحيطين بها، ولم يزد الأمر على هواية لتمضية أوقات الفراغ.

لكن عند لقائها بناتها الثلاث «فريال» و«فوزية» و«فادية» للمرة الأولى بعد سنوات، عانت صدمة نفسية عنيفة لأنهن أحسسن بأنها غريبة عنهن بسبب سنوات الفراق وهن صغار.



احتراف الرسم

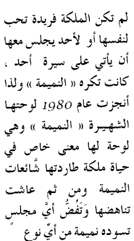
بعد أن عاشت في لبنان أربع سنوات، انتقلت إلى سويسرا لتعيش بالقرب من بناتها، كان ذلك عام 1967 بعد هزيمة يونيو، وهناك استغرقت في العمل الفني كل الوقت، لقد انتقلت من الدفء والمحبة والحنان في بيروت، إلى البرودة والجفاف والشقاء والثلوج في أرض غربتها الثانية، ولم يخفف هذه الأحاسيس قربها من بناتها.

هناك اتخذ الفن شكل المهنة، واستحوذ عليها رسم اللوحات، فاتجهت إلى إجراء تجارب على الخامات والأسطح، لتحصل على وسائط جديدة، تعاونها في التعبير بالرسم، مثل البحث عن المواد التي تمكنها من تحقيق سطح مصقول عاكس، وبعد أن كانت ترسم وجوه الناس، بدأت ترسم صورًا من ذاكرتها للنيل والريف والحقول والأهرامات، واستخدمت اللهب تكوي به أماكن في سطح اللوحة لتستخرج من تأثيرات الاحتراق ودرجات الكي أشكالًا جمالية وفنية، لقد عاشت في سويسرا ثلاث سنوات، كانت تتردد خلالها على باريس ولبنان، وقد أقامت معرضها الأول في باريس عام 1968، في ذلك المعرض كانت مميزات الفنون الفطرية عند الكبار تطبع أعمالها: النقاء والصدق والبراءة، مع درجة من السذاجة المحببة التي تقرب أعمالها من الحيوية والجاذبية التي نفتقدها في أعمال الفنانين الدارسين. وقد استمرت بعض صفات هذه المرحلة حتى نهاية حياتها، ففي لوحاتها جو أسطوري غامض مع التعبير عن الحيوية والحركة والإيحاءات المعبرة عن الأحاسيس الفيّاضة، وقد استطاعت بالفطرة وحدها أن تترجم أحاسيسها، وتوحي بالحركة والديناميكية، عن طريق اللمسات السريعة والألوان النقية.

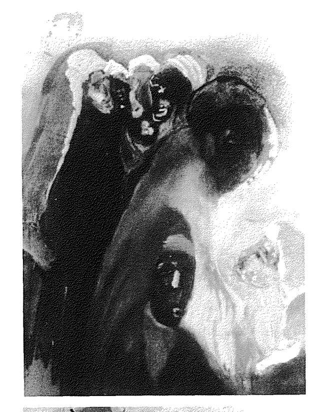
لكن جذورها الأرستقراطية وثراء طفولتها، ورفاهيتها جعلتها مشغوفةً بالألوان المعبرة، عن هذا الثراء، عندما استخدمت الأسطح المذهبة لترسم عليها، مستلهمة المنمنمات الإسلامية في رسوم الكتب وزخارف الصفحات، الدافع نفسه جعلها تدرس وتبحث في الطلاءات التي تجعل سطح اللوحة براقًا كالمرآة، لامعًا ومشعًا، كانت ترسم مصر من الذاكرة وهي في قلب أوروبا، حيث ظهرت الشخصيات الريفية والشعبية في المناظر والمواقف التي عبرت عنها.

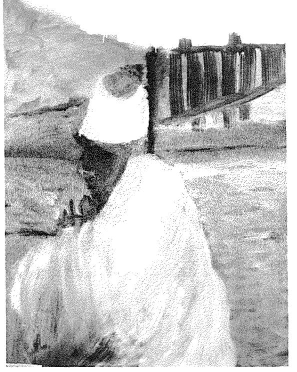
انتقلت لتعيش في باريس عام 1970، وأحست بحاجتها إلى التعرف إلى تاريخ الفن، فتوقفت عن الرسم عامًا كاملًا، أنفقته في زيارات منتظمة إلى المتاحف والمعارض الفرنسية، والتحقت بمدرسة متحف «اللوفر» لتاريخ الفن. ولكي تتعمق في دراسة الفنون القديمة، نقلت بفرشاتها بعض الأيقونات الروسية والبيزنطية، ثم حاولت أن ترسم على منوالها من تأليفها، كما كانت لوحات التصوير الإسلامي وزخارف الكتب والمنمنمات القديمة، هي الأشكال الفنية التاريخية التي استحوذت على اهتمامها،





لم تكن الملكة فريدة تحب لنفسها أو لأحد يجلس معها أن يأتي على سيرة أحد ، كانت تكره « النميمة » ولذا أنجزت عام 1980 لوحتها الشهيرة « النميمة » وهي لوحة لها معنى خاص في حياة ملكة طاردتها شائعات النميمة ومن ثم عاشت تناهضها وَتَفُضُّ أيَّ مجلسٍ تسوده نميمة من أيِّ نوعٍ





لوحة « السد العالي» ، إذْ كانت الملكة فريدة تؤمن أن البشر في مصر هم من حققوا وأنجزوا، ولذا هم يمثِّلون الأساس الأبرز في منجزها الفَنِّي مثلما فعل خالها الفنان الرائد محمود سعيد





فابتدعت من أجلها نوعًا من الطلاء اللامع مثل الورنيش أو الشمع، عندما تكسو به لوحاتها يعطيها مظهرًا أثريًا.

أصبح شغلها الشاغل هو العمل الفني، بعد استقرارها في أوروبا، وكانت شخصيتها قد تبلورت، فالتحقت بمرسم متخصص في تعليم طرق الطباعة اليدوية الفنية على الحجر، المعروفة باسم «الليتوجراف»، وفيها يرسم الفنان تصميمه على سطح صلب كالحجر، ثم يطبع منه عددًا محدودًا على الورق، وإذا كانت لوحته ملونة تحتم عليه أن يرسم كل لون مستقل على سطح الحجر، وبعد أن يطبعه يزيل الرسم ويضع بدلًا عنه اللون الآخر وهكذا، فهو يطبع لوحته عدة مرات ليضيف في كل مرة لونًا جديدًا، وقد أتقنت الملكة فريدة هذا النوع من العمل، حتى أخرجت أعمالًا بها ستة ألوان، لكن رائحة الأحبار وكيماويات المطابع، بدأت تؤثر على صحتها، بالإضافة إلى المجهود العضلي الذي تتطلبه عملية الطباعة، لهذا توقفت بعد فترة عن إنتاج هذا النوع من الفن، لتستمر في الرسم بالألوان الزيتية وحدها.

لم تغير هذه الدراسة من أسلوبها الفطري وشخصيتها في الرسم، بل احتفظت بطابع النقاء والصدق، لا ترسم إلَّا ما تقتنع به وبالأسلوب الذي اعتادته.

ولا يعني هذا أن كل إنتاجها على نمط واحد، أو وتيرة واحدة، فقد تطور أسلوبها ومر بعدة تجارب، من بينها محاولة إضافة طابع العراقة والقدم على إنتاجها، فكانت تعرض ألوانها الزيتية للحرارة، لتبدو محترقة وكأنما رسمت من زمن طويل، وكان هدفها من هذا أن تبدو لوحاتها كالأيقونات والصور القديمة، كما كانت تطلي أعمالها بطبقة من الورنيش السميك، يجعل لوحاتها لامعة كالأواني الخزفية.

العودة إلى أرض الوطن

بعد دراستها لفن الجرافيك، دعيت للاشتراك في معرض «الفن المصري المعاصر»، الذي أقيم في القصر الكبير (الجراند باليه) ، وضم أعمالًا لكبار الفنانين المصريين، وسافرت من القاهرة إلى باريس خصيصًا لهذا المعرض عام *1975*، وكانت تمثل هذه الدعوة نهاية لعزلتها، وبداية لمرحلة جديدة تحقق لها اتصالا بأرض الوطن.

قصة العودة بدأت عندما نشر الدكتور لويس عوض في جريدة «الأهرام»، مقالًا مفاجئًا عن حياة بعض أفراد الأسرة الملكية في أمريكا، أحدث المقال المفاجئ دويًا في جميع الأوساط، لكنه كان تمهيدًا لتفتح مصر أحضانها لمن يريد العودة إلى البلد الأم.

وفى باريس كان الدكتور عاطف صدقي (رئيس وزراء مصر الأسبق) ، هو مستشارنا الثقافي، بينما كان الفنان فاروق حسني (وزير الثقافة فيما بعد) هو الملحق الثقافي والمشرف على المركز الثقافي في



باريس، والدينامو المحرك للنشاط الفني المصري في عاصمة الفن في العالم «باريس».

والتقى بها الفنان فاروق حسني عام *1975*، في المركز الثقافي المصري، حيث استقبلها الدكتور عاطف صدقي في اليوم نفسه، وقاما بتشجيعها على الاتجاه إلى الفن، فوجها إليها الدعوة للاشتراك في معرض الفن المصري المعاصر في ذلك العام، وظلت تتردد على المركز الثقافي، تقرأ المراجع عن مصر في مكتبتها.

وزاد نشاطها واتسع، فبعد معرضها في بيروت *1974*، أقامت في *1975* معرضًا في مدريد، وآخر في جزيرة «بالمادي مايوركا» بإسبانيا، ثم أقامت في العام التالي معرضًا خاصًا بقاعة المركز الثقافي المصري بباريس.

ثم توالت معارضها في فرنسا *1978*، وفي القاهرة *1980*، ثم جينيف *1981*، وفي بلغاريا *1982*، وفي تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية *1983*، ثم بالقاهرة *1984* و *1986*.

الفن الفطري

كانت تحب لقب «الفنانة» ولقب «الملكة»، لأن كلتا الصفتين تمثلان شخصيتها، أما اسمها الفني فهو «فريدة مصر».

وتنتمي أعمالها إلى «الفن الفطري عند الكبار» فرغم المناخ الفني الذي عاشت فيه، فإنها لم تدرس الفن في سن الدراسة، ولكن بعد أن تقدم بها العمر، صحيح أن دراستها تاريخ الفن وفن الجرافيك، كان لها أثرها في تطور أسلوبها، وإضافة بعض مهارات ومميزات الفنون الرفيعة إلى إنتاجها، لكن يبقى فنها بشكل عام داخل دائرة الفنون الفطرية عند الكبار.

إن بعض الراشدين في المجتمعات الحديثة، يتجهون إلى الرسم أو النحت تحت إلحاح رغبة ذاتية جامحة لا يمكن مقاومتها، ويصل الأمر ببعضهم إلى هجرة وظائفهم، وأعمال مهنتهم والتضحية في سبيل الفن بكل ما يملكون.

يحدث ذلك دون أية دراسة سابقة للفن، أو أية معرفة بقواعده وأصوله، إن بعض هؤلاء يبدأ الإنتاج الفني، بعد أن يتخطى سن الأربعين، ومعظمهم من سكان المدن.

هؤلاء يطلق على إنتاجهم اسم «الفنون الفطرية عند الكبار»، لأنهم يتجهون إلى الفن تحت إلحاح رغبة غريزية، في سن متقدمة ودون أية دراسة متخصصة، ولا يهدفون من هذه الممارسة إلى تحقيق أي مكسب مادي، وإنما لإشباع هوايتهم أو من أجل التنفيس عن أشكال من الكبت والإحباط، التي يعاني منها أفراد المجتمعات المتقدمة.



وقد انتشرت هذه الظاهرة في فرنسا خلال الربع الأخير من القرن الماضي، ولفتت الأنظار فأطلق على روادها اسم «فناني يوم الأحد»، لأنهم كانوا يمارسون الإنتاج الفني يوم عطلتهم الأسبوعية.

ويعتبر الفنان الفرنسي «هنري روسو» (*1844 - 1910*)، أشهر من مارسوا الفن الفطري عند الكبار. ويطلق عليه البعض اسم «أشهر البدائيين» أو «الجمركي» نظرًا لأنه كان موظفًا في الجمرك، لمدة خمسة عشر عامًا، رسم خلالها أيام الآحاد والإجازات فقط، ثم استقال من وظيفته ليتفرغ للرسم، وأعماله تحتل مكانًا بارزًا في تاريخ الفن، وتعرض في أحد مباني متحف اللوفر بباريس إلى جانب أعمال الفنانين التأثيريين.

والفنان الفطري يرسم أحلامه وخيالاته، التي تمتاز بسذاجة الشكل وبساطة الموضوع، وهو يخرج في أعماله بعض المخزون في أعماق الذاكرة الإنسانية، وتمتاز «الفنون الفطرية عند الكبار» بالخيال الجامح، والتعبير القوي بطرق رمزية، مع الازدحام بالأفكار، ولكل فنان فطري نظرة خاصة إلى العالم تجعل أسلوبه الفني متفردًا.

وقد شاع الاهتمام بهذا الفن أخيرًا، حتى أقيم في «براتسلافا» بتشيكوسلوفاكيا معرض دوري يقام كل ثلاث سنوات، ويطلق عليه اسم «الترينالي الدولي للفن الفطري»، وذلك منذ عام *1966*، ويشارك فيه الفنانون الفطريون من جميع أنحاء العالم حيث تخصص الجوائز لأفضلهم.

تطور رسومها

لقد اتجهت «فريدة» إلى الرسم، في ظروف نفسية صعبة، بعد أن تخطت سن الثلاثين، وكان الانغماس في الرسم يمثل محاولة الهروب من المشكلات والظروف المحيطة بها، كما كان عاملًا على تفريغ الشحنات النفسية الضاغطة عليها.

في البداية رسمت المناظر التي حولها بالقلم الرصاص، فسجلت جمال الطبيعة، مع التنفيس عن مشكلاتها وهمومها، ثم ما لبثت أن اتجهت إلى الرسم بالألوان، وإذا بكل من رأى لوحاتها أثنى على قدرتها على التلوين، فهي موهبة طبيعية، وانتقلت إلى رسم وجوه المحيطين بها بأسلوبها.

لم تتجه إلى الرسم من الذاكرة والتأليف إلَّا في السبعينيات، كانت لوحاتها طوال الفترة السابقة نقلًا عن الطبيعة خصوصًا وجوه من حولها، عندما بدأت التأليف كانت مشاعر الضيق تسيطر على لوحاتها، نساء حزينات وخطوط ترمز إلى الدموع تسيطر على التكوين العام لكل لوحة.

وفي باريس وجدت في محلات بيع أدوات الرسم والفنون الجميلة، خامات متنوعة، فراحت تجرب كل جديد، ومن هنا تعرفت إلى خامات امتازت بالبريق والنبل، وأشبعت رغبتها في تحقيق أسطح لامعة، ذات مظهر معدني ذهبي وفضي أو متعدد الألوان.



عندما أقامت أول معرض لها بالقاهرة عام 1980، آثار اهتمامًا عامًا، وكان يضم 77 لوحة، بعضها صغير المساحة، أقيم المعرض في فندق الميريديان، وصفها الناقد الراحل كمال الملاخ بأنها: «تسكب أحلامها ورؤى الماضي من أيام الطفولة والصبا والشباب.. تجتر الذاكرة اللونية من أيام مضت لتعيد مع لمسات فرشاتها صورًا تتابع مع البراءة، المناظر الطبيعية الواقعية التي عاشتها أو زارتها.. سواء عند زرقة شاطيء البحر.. أو خضرة الأرض.. أو رمال مترامية عند أبو سنبل أو سيناء وجبل موسى وسانت كاترين».

وقد أطلقت على هذا المعرض اسمًا متصلا بأساطير الشرق: (ألف رؤية ورؤية) ، قد أدهش مشاهدي هذا المعرض الإخراج الذي تولاه مخرج جاء مع لوحاتها خصيصًا من فرنسا، وتلاعب بالأضواء بأسلوب مبهر، شاهده جمهور الفن بالقاهرة للمرة الأولى، ورغم الهدف التعبيري من هذا الأسلوب في الإخراج، فقد رفضه وهاجمه كبار نقاد الفن المصريين، الذين اعتبروه أسلوبًا للإبهار والدعاية من ناحية، وسببًا في الشوشرة على الأعمال الفنية من جراء ظهور الأسلاك والمصابيح من ناحية أخرى..



كانت روحها تختار الألوان وشفافيتها قادتها نحو الحذف الفنّي

الإضاءة المتغيرة

هذا النقد لم يجعلها تتراجع عن أسلوب العرض بل واصلت الأسلوب نفسه في معارضها التالية.

في قاعة معتمة تمامًا، لا يتسلل إليها أي ضوء خارجي، وزعت اللوحات على الجدران وعلى الحوامل الخشبية، وفوق كل لوحة مصباح يمثل الشمس في فترة الظهيرة، وقد سلط ضوؤه على اللوحة مباشرة، بينما على أحد جانبي كل لوحة مصباح آخر يمثل ضوء الشروق أو الغروب. الضوء المسلط على اللوحات يخفت تدريجيًا حتى تتوه الخطوط وتتعذر الرؤية، ويصبح تأمل اللوحات كمحاولة النظر إلى الطبيعة،



فيما بين الغروب وحلول الظلام، ثم لا تلبث الأضواء أن تقوى تدريجيًا، وكأن الشمس تشرق من جديد، فتغسل اللوحات بالضوء وتكشف عن أدق تفاصيلها، وكأنها معروضة في ضوء الشمس. وهكذا يحلو للمشاهدين أن يراقبوا التغيرات التي تحدث نتيجة لتغير الضوء الصناعي الساقط على العمل الفني.

لقد كان الفنانون التأثيريون في فرنسا، يحاولون التقاط المشهد في كل ساعة من ساعات النهار، وتثبيته على لوحاتهم. أما الفنانة «فريدة مصر»، فهي تحاول تحقيق الإحساس بالتغيير والاختلاف عن طريق تلخيص كل ساعات اليوم في عدة دقائق. كبديل لتغيرات ضوء النهار على المنظر الطبيعي الواحد. أما الهدف الجمالي فهو تحقيق نوع من الحركة التي يطلق عليها اسم «سينتسيزم».

موضوعاتها مستوحاة من أشكال الحياة، حيث تبدو المناظر الريفية من خطوط الفجر الأولى، إلى الشمس الساطعة في الظهيرة، ومن الشحوب في الغسق حتى هدوء الليل، وهي ترسم بألوان مشعة، فتحقق نوعًا من الحلم الشفاف. فيه حرارة الفن الفطري حتى تبدو الأشكال وكأن عليها مسحة سحرية.

وقد قالت الفنانة في شرح أسلوب عرض لوحاتها: «بالنسبة للأعمال الفنية ثلاثية الأبعاد - مثل النحت وفن العمارة - تأتى متعتنا في النظر إليها من التحرك حول العمل الفني ورؤيته من زوايا مختلفة.

ولكن عندما يتحرك العمل الفني ذاته، فإننا نطلق عليه اسم «الفن الحركي» وفى عام *1978* في معرض بباريس، أدخلت الإضاءة الصناعية كجزء مكمل للعمل الفني، وتمكنت بواسطة استخدام جهاز إضاءة معين من الإيهام بخلق المنظر الطبيعي المتغير دائمًا، وكأنه تحت ضوء الشمس ولكن داخل قاعة العرض نفسها».

موسيقى الألوان والأضواء

تدور معظم أعمالها عن النيل الخالد، وتعبر عن عشق أصيل لضفافه الساحرة، وقد ملك عليها كل أحاسيسها، عندما قامت برحلات نيلية في فندق عائم بين القاهرة والأقصر وأسوان، بعد استقرارها في مصر، في هذه الرحلات تأملت شطآن النيل، والقرى المطلة عليه والفلاحين والحقول الممتدة.

في البداية حاولت أن تقلد كبار الفنانين، وترسم اسكتشات لهذه المشاهد، تستعين بها في مرسمها عند تكبيرها، لكن هذه الطريقة لا تناسب الفنانين الفطريين، فالصور الواقعية تختلط بالخيال، وتتزاحم وتفرض نفسها على الفنان، لهذا وضعت الاسكتشات جانبًا، وراحت تسقط مشاعرها بطريقة فورية على اللوحات، مستخرجة ما تبقى في ذاكرتها، وانصهر مع شخصيتها الفنية، حيث تتداخل العناصر وتختلط في تشكيلات بها بعض التحوير والخيال، لكنها تعبر وتجسد نبض الحياة.

وكما يفعل الفنانون «التأثيريون»، تغلف أعمالها بغلالة ضبابية دون خطوط محددة، بينما الألوان صريحة واضحة، وأحيانا تسمح لبعض الألوان بأن تسيل وتحقق تشكيلات عشوائية، لكنها تُبقي عليها كلما كانت معبرة عما تريد.



لوحةٌ تجريديةٌ من الأعمال المتأخرة للملكة فريدة



ويشيع في لوحاتها إيقاع موسيقي، ومنطق متماسك، ولمسات لونية متوازنة في جميع أنحاء اللوحة، ولاشك أنها اكتسبت هذه الخواص من دراستها للعزف على البيانو، قبل زواجها عام *1938*، وهذا الطابع الإيقاعي هو أهم ما يميز لوحاتها وهو الذي يحقق الإحساس بالحيوية والحركة في أعمالها.

ونستطيع أن نلمح الجرأة والصراحة في استخدام الخامات، وتوزيع اللمسات حتى تعبر عن دخيلة نفسها بصدق وإيجاز.

ونستطيع أن نلاحظ أيضًا رغم إقامتها الطويلة في الخارج - في لبنان ثم سويسرا ثم فرنسا - أنها نادرًا ما رسمت المناظر المحيطة بغربتها.

إن الأسلوب الذي استخدمته في السنوات الأخيرة، بعد أن استقرت طريقتها في الرسم والعرض، كان نتيجة لتعرفها الخامات المعبرة عن الثراء والغنى. ويقول الناقد «مانيك بريسكيل»: «إن لوحاتها مشحونة بالضوء والثراء، مع تدرج لوني وتناسق دقيق، حتى إن الإحساس برقة الخطوط هو أحد الملامح المميزة لأعمالها. إنها تركز على التلاعب بالخطوط التي تبدو وتختفي، وفقًا لاحتياجات التكوين، بينما الضوء يغمر كل شيء حتى أعمق حدود الألوان..».

«إن سحر الشرق يظهر في اللوحات، بينما تعبر بعضها عن المعاناة والبؤس في حين تكتسي جميع الوجوه بإنسانية متسامية».

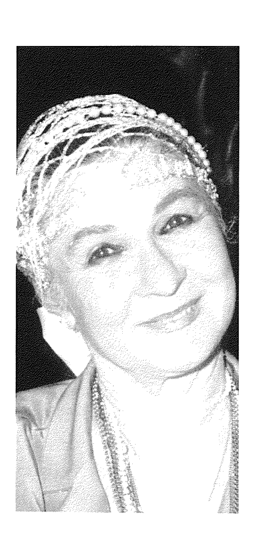
نهاية الملحمة

بدأت متاعبها مع المرض في منتصف عام *1988*، عندما اكتشف الأطباء أنها مصابة بالأنيميا الخبيثة (لوكيميا الدم) ، وعندما اشتدت حالة المرض وعلمت بها السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس حسني مبارك، أبدت اهتمامًا ملحوظًا، وصدر قرار بأن تتحمل الدولة نفقات علاجها في الداخل والخارج، فسافرت للعلاج في فرنسا، انتقلت إلى النمسا للعلاج بالأعشاب، لكن حالتها لم تتحسن كثيرًا، فعادت إلى مصر حيث انحصر أسلوب العلاج في بعض العقاقير مع نقل الدم، وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لحضور مؤتمر دولي للفنانين، وعندما عرضت نفسها على الأطباء هناك، اكتشفوا إصابتها بتلوث كبدي وبائي نتيجة نقل الدم بمستشفى المعادي.

إلى جانب اهتمام الدكتور عاطف صدقي، رئيس الوزراء الأسبق، والفنان فاروق حسني وزير الثقافة، بحالة الفنانة وحرص العديد من المسئولين على التخفيف عنها وتكريمها في الشهور الأخيرة من حياتها.

وإذا كانت «الملكة الفنانة» قد رحلت فإنه بفضل وفاء أحبائها ستبقى ذكراها ويبقى فنها لتأخذ الأجيال المقبلة العبرة والذكرى من ملحمة حياتها.





فريدة بأقلامهم

- د .نعمات أحمد فؤاد
- د .لطيفة سالم
- جمال بدوي
- محمد جلال
- م .علي نور الدين نصار
- مصطفى أمين
- أحمد يوسف
- صلاح منتصر
- عبد المنعم سليم
- حلمي النمنم



فريدة كانت ملكة على مصر

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

كتبت الإنجليزية «ونفرد هولمز» كتابًا باسم (كانت ملكة على مصر) يضم ترجمة حياة (حتشبسوت – نفرتيتي – كليوباترا – شجرة الدر) ، هذا عن مصر القديمة ومصر الإسلامية.

أقول في مصر الحديثة ملكات، ولكن واحدة فقط نستطيع أن نسلكها في هذا العنوان: فريدة، بما كان لها من مواقف وأسلوب حياة.

كانت من أسرة عريقة ثرية بالمال والعلم والفن، ولكنها حين رفعت إلى عرش مصر، رأت بلا شك ما يروع من الثراء والبذخ الباذخ ، ولكن الصغيرة ذات السبعة عشر ربيعًا، لم تفقد توازنها أمام هذا البهرج، أمام ملك مصر الذي افتخر به الملوك منذ منبتاح في وجود موسى، بل أخذت تتفهم الأوضاع المحيطة بها مرفوعة الرأس لا تداجي ولا تتطامن، وتكبر معها قدرتها على الفهم والتمحيص.

وفي البداية نعمت بالحب.. حب من؟ حب ملك مرموق تهفو القلوب إليه، وتتطلع العيون تكاد تحيطه بأهدابها، ملك جميل ممشوق، يحبه شعبه حبًا دافقًا، وينتظر الناس موكبه في الشوارع التي يمر بها، في النوافذ والشرفات المطلة عليها، وكانت هي بالانتساب إليه صاحبة موكب وحشم وحرَّاس، وتكريم وتعظيم. وأقبلت فريدة على الحياة المصرية ترعى وتنتمي، وفي كل مكان كانت تقابل بالإعزاز، لم تشب سيرتها شائبة، ودخل هذا في رصيدها، فلما وقعت الواقعة فيما بعد، انحاز الناس إلى جانبها، بما وقر في نفوسهم لها.

على كل حال لم تأت هذه المرحلة. نحن لا نزال في البداية وأصداء العرس الأسطوري على كل لسان، وكان فاروق ملكًا، ولكنه كان في الثامنة عشرة من عمره بالحساب الميلادي، أي أقل من هذا بالحساب الهجري، فهو في عين الشعب المصري في فجر العمر، لولا هالة الملك لقال «صبي».

كان فاروق ملكًا ولكنه في عين الشعب المصري يتيم، فأخذ يحبه بمجامع قلبه، وكأنه ابن لكل رجل في مصر. أحببناه أغلى الحب، حب أثمن من كل ما ضمه قصر عابدين على نفاسته، ولكنه لم يحافظ على الاثنين: الحب والقصر. وفي الحقيقة إنه لم يلق الذي يراعي الله فيه، صفحة بيضاء نقية. ويرعى الله في مصر التي تدفع في كل مرة ثمن نفاق المتسلقين وجرائمهم. لا يلام فاروق وحده، ففي كل عصر نبتلى بأقوام يعيشون بيننا مهمتهم صناعة الصنم، وبدأ تحول غير منظور، وبدأ معه الهمس الخافت، وأخذ الهمس يعلو رويدًا رويدًا.



ولكن الحب الكبير الذي كان يكنه الشعب لمليكه، كان يتغلب على الشائعات أو يغفرها، ما دام المظهر الملكي محفوظًا ومحسوبًا. وفي هذه الفترة كان الملك يغشى المساجد، فيفرح به شعبه المؤمن من قديم الزمان. ولهذا يأسره المنحى الديني، وكان الملك يزور مراكز الإنتاج في كل موقع. وبارك الناس اتجاهه وأطلقوا عليه الصانع الأول والفلاح الأول.. إلخ. إطراء الأمراء والملوك وأصحاب الصولجان.

ولكن الأمور كانت تسير في غير بطء إلى منحدر، وبدأ الناس يتنفسون في حزب الأغلبية: حزب الوفد، وهي نقطة لكهنة القصور يوغرون فيها صدر الملك. وكان النحاس باشا في نظرهم الراعي الصالح. ومع هذا حين طلب الإنجليز إلى الملك أن يعهد بالوزارة إلى النحاس باشا رفض، أحاط الإنجليز قصر عابدين بالدبابات. فثار الناس لأن كرامته من كرامتهم، مهما كان ومهما قيل. إنه ملك مصر.

وتولى النحاس باشا الوزارة، فلم يفرح بها الناس للمرة الأولى في حياتهم، ولم يستفد فاروق من هذه الفرصة. لم يراجع نفسه، لم يقبل على شعبه الذي غفر وأقبل عليه، وسارت الأيام. وصارت فريدة أمًّا بعد عام. وكانت الباكورة أميرة، الأميرة فريال.

واستقبل الناس ميلادها استقبال الطفل الأول في حياة كل أسرة. تكفي بشرى الإنجاب والخلف، ولكن فاروق كان ملكًا، فدعا الناس الطيبون في بلدنا أن يعطيه الله – ملك الملوك – أميرًا تقر به عينا الملك.

وصارت فريدة أمًّا للمرة الثانية، وكانت المولودة أميرة، الأميرة فوزية. فكتب أحد الكتّاب المصريين: عزيز فهمي مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان «عشت للجمال يا أميرتي فوزية» واستمد عنوانه من أن المولد



الملكة فريدة كانت حريصةً على حضور المناسبات الاجتماعية والملكية



وقع في فصل الربيع، فصل الأزهار والرياحين، فهو أليق بزهرة ملكية.. حسن تعليل.

كان الناس الطيبون في بلدنا، لا يزالون يحبون «فاروق» و«فريدة» حبًا يرى، أو يريد، الجانب المشرق في كل شيء يتعلق بهما، لكن فاروق بدأ يقلق على وريث للعرش، وقلق الملوك يجد من يؤججه، وأطلت رءوس تستغل هذا القلق فتتظاهر بالرغبة في امتصاصه بإغراق الملك في الملذات، وهنا بدأ طريق النهاية.

وتمادى فاروق في أخطائه، التي كان يزينها له رفقاء السوء وبوللي الإيطالي، واعتزلته الملكة الغاضبة، والحزينة على واقع منذر، ووقعت له حادثة القصاصين، فهرعت إلى المستشفى الذي يرقد فيه، وكانت حاملاً وفي شهور متقدمة، وكانت فرصة للتصافي وللإصلاح، إصلاح الأخطاء على مختلف الساحات، ولكن فاروق ما كاد يفيق من كبوته أو رقدته، حتى عاد إلى ما كان عليه. ووضعت فريدة مولودها الثالث .. أميرة.. الأميرة فادية.

ويبدو أن فاروق تأزّم إلى درجة اليأس، وفي هذه الحالة كان يرى فريدة كأنها مذنبة، وهي حبه الكبير بشهادة من اقتربوا منه، في ذلك الوقت، ومن كتبوا عنه بعد هذا، وازدادت الفجوة بينهما اتساعًا.

وفي يوم صدمته مفاجأة لم يكن يتوقعها، فقد وجد حوله من قالوا له إنه ملك وله أن يفعل ما يريد، ملك من حقه أن ينال ما يشاء والكل رعاياه، والملكة وإن شاركته أريكة الملك إلّا أنها إحدى رعاياه، ويتحتم أن تتقبل كل ما يأتيه. ولكن الملكة كانت تعتز بإنسانيتها امرأةً وزوجةً، وتعتز بكرامتها إنسانةً وملكةً. ورفضت فريدة.

واهتز فاروق الذي لم يبرح حبها قلبه، وإن ران عليه ركام من الدسائس والمؤامرات والأفعال، واهتز فاروق ملكًا، فقد خشي على عرشه وقع الطلاق على الشعب، وحاول فاروق استرضاء فريدة، وأرسل الرسل ولكنها أصرت. هنا موقف، لقد كانت في ذلك الوقت تملك قصر الطاهرة بعقد تمليك، فقد وهبه لها فاروق وسجله باسمها، وكانت في ذلك الوقت تملك مخصصات ملكية باذخة، ستسقط عنها بالطلاق وكانت تملك تاجًا على رأسها.

وكانت تملك القصور والضياع، وكل ما يملكه الملك الزوج والأب، وزهدت فريدة في هذا كله، ونذر يسير منه يسيل له لعاب الرجال، ولو كانوا وزراء وأصحاب سلطة في مواقعهم، وهو موقف لفريدة. موقف فريد. وموقف صعب لا يقدر عليه إلّا أولو العصبة. موقف ارتفعت فيه فوق أطماع وطموحات الإنسان. موقف غال.. نبيل.. شامخ. موقف ارتفع بها على ملكة.. حين زهدت في الملك ارتفعت عليه. صارت أعز منه.. صارت أكبر.

وحين أخذت فريدة في الارتفاع، أخذت ملكة أخرى أكبر سنًا في الهبوط، وقارن الناس. ولكن فاروق لم يقارن فقد كان في دوار، وأصرت فريدة. فعالج فاروق الموقف بمضاعفته.



استدعى أخته الإمبراطورة فوزية من طهران. وكان زوجها يعشقها ويحيطها بالإعزاز والتدليل، وقرر أن يحمل شاه إيران على تطليق الإمبراطورة فوزية، تسويفًا لطلاقه من فريدة، بل أعلن الطلاق في خبر جامع أو بيان واحد صدر من الديوان الملكي.. وإن كانا اثنين.

وفي نبل وكبرياء لم تند عنها كلمة واحدة في حقه بعد الطلاق، أو بعد العزل. ثم تزوج فاروق للمرة الثانية، وأنجب أخيرًا ولدًا ووريثًا للعرش، ولكن الشعب لم يشاركه الفرحة، وكان بينه وبينه جدار، وتكاثف الدخان الذي يسبق الحريق، وكان الحريق (الهول بعينه). إنه «حريق القاهرة» أم المدائن، عاصمة التاريخ.

احترقت بعض المباني، احترق الطوب ولكن بقيت أمجاد القاهرة، معابد ومساجد وكنائس وقيم. بقي الأزهر والجامعة وبقي علماء القاهرة، وفنانو القاهرة وأدباء القاهرة، وأطباء القاهرة ومهندسو القاهرة . بقيت ريادات القاهرة في المنطقة كلها، بقيت أعمدة القاهرة.. الإنسان والقيمة.

إنها القاهرة.

حدث هذا ولم تكن مضت غير ثلاث سنوات على طلاق فريدة، وتوالت الأحداث منذ يناير سنة 1952 بداية السنة الرابعة، وسقطت الوزارات تباعًا، وما لبث أن اندلعت ثورة 23 يوليو، ونزل الملك من كرسي العرش مضطرًا مجبرًا، في حين نزلت فريدة باختيارها وإرادتها، والفرق كبير شاسع بين الصورتين، ولهذا ظلت فريدة ملكة في عيون الناس ووجدانهم، وبلغ الطفل الملكي مبلغ الرجال، ولكنه لم يرث العرش لأن الحكم غدا جمهوريًا، بعد أن ألغيت الملكية. وتقدرون وتضحك الأقدار. وحان الرحيل.. وخرجت أميراتها مع الملك، وخرجت خمس سنوات من عمرها معهن، هي سنوات الفراق بلا تلاق، وعادت إلى مصر سنة 1980 تحمل لوحاتها السبع والسبعين، وعلى النيل في إحدى قاعات الميريديان عرضتها، فتذكَّر الناس وكان إقبالهم على المعرض سلامًا وعودة وتحية وطن.

كان المعرض لقاء ودعاء ووفاء. وهكذا يسترد كل شيء من صنع البشر، ومن هنا خلود عطاء السماء موهبة أو ذكاء أو سجية، وحين أخذ البشر من فريدة، الكثير، أطلت عليها السماء وأعطتها الكثير، أعطتها الفن بجلاله ورؤاه. رسمت وصوَّرت ولونت ونمنمت، وولدت في أعطافها من جديد «الفنانة». والفنان أكبر من الملك.

حين انتصر ملك مصر «حور محب» وكوَّن الإمبراطورية، أراد الفنان المصري أن يصنع له تمثالاً في هيئة الملك الإمبراطور، ولكن «حور محب» بوراثة حضارية من مصر الحضارة، طلب إلى الفنان المصري أن يصنع له تمثالاً على هيئة الكاتب المصري. وحسب فريدة الملكة أن تغدو فنانة.

وحسب فريدة الفنانة أنها كانت ملكة على مصر. بدأت تكتب تاريخ حياتها بنفسها، يوم شدت على اللوحة أول قماش أبيض، لترسم عليه حياتها، والقماش صفحة بيضاء، وهنا بدأ التسجيل. في إملاء



الفطرة وبراءة العفوية، وعفوية البراءة بدأت خطاها وخطوطها الأولى.

وقف منها خالها موقف حبيب جورجي من أطفال الحرانية، الذين أخرجوا الروائع التي حاولت فرنسا أن تثنيها بإدخال التجربة في مرسيليا، فلم تصل إلى غاية. الرسم عندها، لحظة اكتشاف، ومضة على المنظور، وتتحرك الريشة في تلقائية بكارة الإحساس ترتشف اللون، وتسكبه على السفح، وبعد زمن لا تدريه.. يولد شيء، وساعة المولد ينبثق الحنان، فتحنو على اللوحة إنسانًا وأمًّا تعطي اللمسات الأخيرة.. وتكتمل.

وهل أغلى عند الفنان المصري من النيل والمراكب، والنخلة؟

النيل وفي صدره أسرار السنين وقصة أمة. إنه ملحمة مصر، والمركب، المصير.. الوحدة.. ومن هنا يقول الشعب المصري.. «يا نعيش سوا يا نموت سوا» في انبثاقه من عالم المركب والشراع. وهي ابنة من بنات هذا الشعب يستقر في قلبها مذخوره.

وقد انعكست صفحة النيل في لوحات كثيرة رسمتها فريدة الفنانة، تنتمي من خلال اللون والخط. وقد كان إحساسها عارمًا وعميقًا بالنيل. وكلمتني يومًا.. أقصد منتصف ليلة.. حمل صوتها الهاتف.. قالت لي في التليفون بصوت حزين به من الألم ما به: (على شاطيء النيل طوب وأحجار وحديد، كل الظواهر تقول إن بناء في الطريق يحجب النيل عنا.. اكتبي عن حماية النيل).. النيل هويتها وهواها، رسمته في القاهرة، ورسمته في أسوان ورسمته في النوبة.

كانت فريدة ظمأى ظمأ الذي ألف الري وصفاء المنبع ثم حرم فجأة.. وكما هفا أحمد شوقي في المنفى إلى السواد من عين شمس، هفت في المنفى إلى زوارق النيل، إن زورقًا واحدًا لا يكفي. القلب لا يشبع على كثرة العب وتوالي الرشيف.

كان بداخلها مرجل يمور، حتى شمس الأصيل رأت فيها الأفول حين رأى فيها بيرم التونسي ألوان الشفق الذهبي، يتوج قوس النخيل، «تحفة ومتصورة في صفحتك يا جميل». وتمر العاصفة ولكن تعمقها اللحظة الفاصلة، لوحتان في معرض فريدة وخطان في حياتها: نيل وعاصفة ثم مرض، لم تنس في نهايته الشهادتين في لحظة اقتراب من الله. وارتفاع عن الأرض تدنو فيها الروح من رحاب السماء.

وكما في حياتها أسرار وظنون وإثارة، نجد انعكاسات هذا في اللوحات، في الهيئة والصوت، في اللون والظل، في تجمعات الرءوس وغموض الألوان لتكتم السر أو تغطي الحركة.

القصور ما أوسعها وما أضيقها أيضًا، إذا قيست بالحياة العريضة حياة الفن والعلم والطموح بل حياة البسطاء والكادحين. إن لي لوحة (حقل القطن) من السعادة والأمل والخوف والرجاء، وإحساس القمة والحلم، ما يعز على القصور وساكنيها أحيانًا.

لقد اكتشفت الفنانة في الملكة هذه المفارقات، صورت الفنانة الصخور وقسوة النتوء، كما صورت



النهر وعذوبة الانسياب، وانبساطه التدفق ودماثة العطاء، وسخاء الكريم، صورت الصراع والطموح والانفعال والهدوء، وجهر اللون ونعومة الملمس، ورقة الهمس ووطأة الضغوط، ولا تند عن شفتيها كلمة «آه». كبرياء امرأة وحزن فنان ونبل ملكة.

لم تند عن شفتيها كلمة «آه» بالحروف، ولكن لوحة «الزمن» قالتها، ولكن في كبرياء أيضًا، حين اشرأب الرأس وكأنه نفض عنه السنون بما حملت وحفلت به رحلة السنين.

وتغوص الفنانة في أغوار الحياة، فلا يفوتها في الركب الزاخر تلك العفرية بشقاوتها وتوثبها وحضورها، وترسم الملكة المترفة، التي رأت في مطلع حياتها الأميرات في قمة البهاء، الغجرية.

والملكة فريدة يبدو أن السنوات العشر التي تفيأت فيها ظلال قصر عابدين، بعدت بها عن القرية المصرية، وهذا البعد نفسه زادها من القرية المصرية دنوًا. بعد القصر في (مقابلة) كما يقول البلاغيون، مقابلة بين الفخامة والبساطة، مقابلة بين البذخ والتواضع، تواضع الأصيل، التفتت إلى الريف، فالقرية أم النخلة الشامخة، التي ولدت المسلة والمئذنة، الخط الرأسي بالشوق إلى فوق.

وهذا التسامي من خلال الخط واللون، نجده في لوحة الفيوم، حيث النخلة والفلاحة حاملة الجرة، صحبة، وتعزف الألحان، وتندمج اندماج الفنان في حياة القرية وأصحابها، فترسم المعدية من عمق إحساسها (بالعودة) ، والعودة غالبًا ما تكون بالليل، حيث يستريح المتعب ويخلد إلى السكون خارجه أو داخله، فيما حوله أو في أعماق النفس، وقد مرت الملكة فريدة كثيرًا بهذه اللحظة، ولم يتخل عنها الله في هذه اللحظة فكم أشرق عليها فيها نوره وغمرها النور، «نور الله».. فتهتف اللوحة حاملة هذا الاسم. الله.. لفظ الجلالة.. مازالت الفنانة في استشرافه واستغراقه، تلف كيانها فتنجذب في حلقة ذكر لونية تردد: الله الله.

ويسمي المشاهدون اللوحة لفظ الجلالة، يعلو الإنسان حتى يصير ملكًا ولكنه صغير، صغير بالنسبة إليك أنت الله.

والملكة الفنانة كانت في لوحاتها، كأنها تحكي قصتها أو حياتها بالريشة، وحياتها في الحقيقة: نور وظل... بريق ولمعان ثم تتبدل الأشياء ويغشى الليل، وهكذا لوحاتها أضواء متوهجة أو عتمات داكنة، أطياف رمادية أو أشرعة بيض، حوار وجوار بين الأضداد في الطبيعة والنفس، كانت الملكة الفنانة تحب أمها حبًا جمًا، تقبلها في شغف كأنها طفلتها، ولكن أحزان نفسها التي تنوء بها كانت تشفق على أمها أن تطلعها عليها، ولا أحسبها تجهلها، هذه الآلام كانت تلقي بها عند أم أخرى أكبر: الطبيعة، إن الطبيعة أم كبرى، ولهذا كانت لوحات فريدة حديثًا موصولاً مع الطبيعة، إذا هادنتها الأيام رأت الجمال في الطبيعة، وإذا أرقها العبء، رأت الجذوع الغليظة والأغصان الجافة ووحشة الغابة، وقسوة الرحيل ووحشة الغروب.



كانت قليلة الكلام في الطبيعة، وقليلة التفاصيل أيضًا، في اللوحات، ولكن شريط الذكريات كان حشدًا كبيرًا، من البداية إلى النهاية. كانت أول عهد أسرة راقية بالبنين، فاستقبلتها حياة رغدة مترفة بالفن، وهو أكثر عمقاً وأصالة من ترف المال، على أنها نعمت بالاثنين منذ نشأتها.

ولم تكد تخطو إلى منتصف عقدها الثاني، حتى سلطت عليها، الحياة، الأضواء والبريق. فقد أعدتها الأقدار لتعتلي أعرق عروش الدنيا منذ إيزيس ووتتشري وحتشبسوت، وما إن تربعت على العرش حتى أحاطت بها العيون والقلوب أيضًا، ثم خفت الضوء وانحسرت انعكاساته كلها، ثم أغطش الليل، ومع الليل الوحدة وشريط الذكريات. وفي غسق العتمة أشرق في قلبها نور جديد لا يخبو: الفن.

ومع الفن: الأمل

ومع الأمل: العمل

ومع العمل: الرغبة في مواصلة الحياة.

كانت شديدة الإيمان بالله . بينها وبينه لحظات صمت عميق. والذي يتصل بالله يراه في الكون كله، في صوت النبتة حين تنبت، يراه في الهدير... وفي الخرير... في شموخ الجبل.. في بسطة السهل.. في النملة الدقيقة، في الأسد الهصور.. في صفاء النبع ... في زرقة «الخليج»... «وحمرة الشاطيء»، صفاء في السماء وصفاء في الماء تغدو الروح معهما شفَّةً.. عفَّة.. أطهر من قطرة ندى تطل على زهرة بنفسج في هدأة الفجر... أو بسمة السحر.

وتصلي الريشة وتتطهر النفس الفنانة، فتغدو في نقاء الياسمين. ومع الغيمة المسافرة في السماء، تسافر فريدة الملكة والفنانة السفر الذي لا يؤوب منه الغائبون، وداعاً فريدة... آخر ملكة مصرية.

هذه الإنسانة ذات الصفتين عرفتها في سنيها الأخيرة، طلبت من صديقة لها أن تراني، خاطبتني الصديقة فرحبت، لا ،لا لأنها ملكة، ولكن لأنها صاحبة موقف، كانت كريمة على نفسها، فغدت كريمة على الحياة والناس.

زرتها وزارتني، كانت ترتاح إلى بيتي، كانت تقف فيه طويلاً أمام لوحات النيل بريشة فناننا صلاح طاهر وتحية حليم، لأن النيل كان موضوعًا كبيرًا في فنها. حدثتني، مرة أخرى، في الليل وهي تكاد تبكي لأن النيل عند المعادي ألقوا على شاطئيه أحمالاً من الطوب والرمل، وهي تخشى أن يحجبوه عن الناس، طلبت إلي أن أكتب، واستجبت لها، ولكن قبل أن أكتب قمت بعملية مسح للشاطيء، وهي عملية طالما قمت بها كلما استشعرت خطرًا عليه، سرت من الزمالك إلى المعادي سائرةً على قدمي إلى أن يدركني التعب، فأركب ثم أنزل ثم أركب وعرفت على وجه اليقين، الذين يستبيحون نهرنا، وكتبتُ المقال ولكن لم تنشره جريدة، الكل كان يعرف قصة الجرس والقط.

وكلمتني مرة أخرى، في صوتها استغاثة، أيضًا من أجل النيل، تزيدني تقديرًا لها، إنها تعرف حق

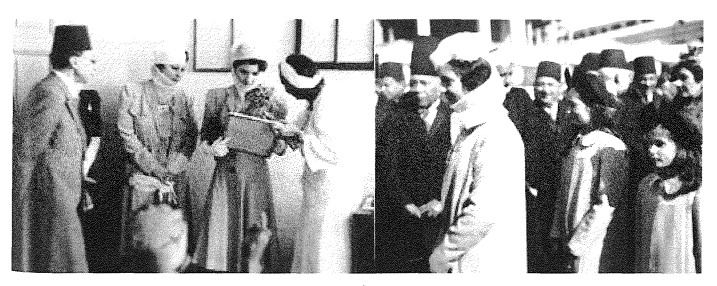


مصر. كانت ملكة مصر حين السلطان، وظلت في عين الشعب ملكة بعد السلطان.

وكم بين ملكة مصر وبين امرأة العزيز حين يكتب التاريخ. وتأثرت كثيرًا وازدادت تعلقًا بمصر التي اكتشفت حب أهلها ووفاءهم للوفاء، وتطورت علاقتها بي إلى درجة البث والإفضاء، احتملت الملكة فريدة ألوانًا من الألم، ألمها الخاص. من فقد وحرمان وألم، مصر التي فقدت الكثير أيضًا وبعض الذي فقدته كنوز الملكية التي ذهبت نهبًا.

عاشت الملكة فريدة المحنة فغلبتها المحنة حين اقتحمت مصر العقبة ، بطاقاتها العديدة والمديدة والتليدة، واستعلت كدأبها على المحنة.

وماتت الملكة فريدة الإنسانة، وعاشت مصر النيل والتاريخ لأن مصر: قد تشقى ولكن تشفى، وقد تمرض ولكن لا تموت.



كانت الملكة فريدة حريصةً على حُضور المناسبات الخيرية



ملكة أحبَّها المصريون

د. لطيفة سالم

تبوأت الملكة فريدة مكانًا متميزًا على خريطة تاريخ مصر المعاصر، وتمكنت باقتدار وذكاء من أن تستولي على أفئدة المصريين، إذ أصبحت بالنسبة لهم رمز الطهارة والعفة والأخلاق، ومن ثم فإن لهذه الشخصية من الأهمية لما كان لها من تأثير وفاعلية على الوجدان المصري.

وتأتي البداية عندما شاءت الظروف، أن تكون الفتاة صافيناز ذات الستة عشر ربيعًا، على متن الرحلة التي قام بها الملك فاروق إلى أوروبا في نهاية فبراير *1973* أثناء فترة الوصاية، وهي ابنة سعيد ذو الفقار أحد رجال السلك القضائي، وزينب إحدى وصيفات الملكة نازلي، ومنذ اللحظة الأولى لفتت هذه الفتاة الرقيقة انتباه الملك الشاب، فاهتم بلقائها وتقرب إليها وتودد لها، وسرعان ما ارتبط عاطفيًا بها بعد أن دق قلبه لها وشغف حبًا بها.

والواقع أن صافيناز كانت فتاة نموذجية، وتمثلت هوايتها في العزف على البيانو والرسم، وكان الفنان محمود سعيد، وهو خالها، مثلها الأعلى، واتسمت بالاحتشام والوقار والمحافظة، وحظيت بقدر معقول من الثقافة. وقد تلقت تعليمها في مدرسة «نوتردام دي سيون» بالإسكندرية مسقط رأسها، وأتقنت اللغات الأجنبية، وأهَّلها ذلك لأن تحوز على إعجاب الملكة نازلي ورضاها، بالإضافة إلى أن كلاً منهما لا ينحدر من سلالة الأسرة المالكة، وهذا ما كانت تحرص عليه الملكة الأم في زوجة ابنها، إذ خشيت من أن يتزوج من أميرة فتتعالى عليها.

وعقب تولي الملك سلطاته الدستورية أعلنت الخطبة، وقدم فاروق إلى صافيناز خاتم الخطبة الذي سبق أن قدمه أبوه لأمه، وأنعم ببراءة الباشوية على أبيها، ومنح الوشاح الأكبر من نيشان النيل لأمها. وسعد الملك بخطبته، وكثيرًا ما كان يبدي إعجابه بها أمام الآخرين، ويصرح بأنه لم يخترها لجمالها فقط، وإنما أيضًا لعقلها وإدراكها وإنسانيتها ودفء مشاعرها.

وعقد القران في *20* من يناير *1938*، وأصدر فاروق أمره بتغيير اسم زوجته، بعد أن اختار لها اسم فريدة من سجل أبيه، وبدت مصر كأنها هي العروس، حيث عمت الفرحة الجميع، وأقيمت الاحتفالات المبهرة، وبانتهاء مراسم العقد، ركب العروسان سيارة مكشوفة وطاف الموكب في شوارع المدينة، إذ أراد الملك أن يقدم ملكته إلى الشعب، وأظهر تفاؤله تجاه شريكة عمره.

وأنجبت فريدة ثلاث أميرات: فريال في *17* من نوفمبر *1938*، وفوزية في *7* من أبريل *1940*، وفادية في *15* من ديسمبر *1943*. وأقلق هذا الوضع الملك، ولعبت لهفته على ولي العهد دورها في



التباعد بين الزوجين، ولم يكن ذلك هو السبب الرئيسي، لأن الخلاف بين الطرفين بدأ منذ فترة مبكرة عقب ولادة الأميرة الأولى، بعد أن أيقنت فريدة أن الملك فاروق لم يعد مخلصًا لها. وفي البداية نصحته بأن يتخلص من حاشيته التي شكل فيها الإيطاليون جزءًا رئيسيًّا وهيأت له أجواء الفساد واللهو، كما طلبت الملكة منه الكف عن الحفلات والسهرات، فلم يستجب لها، وعندئذ جهرت بالشكوى منه للمقربات إليها، خصوصًا للسلطانة ملك لما لها من مكانة لدى الملك، ولكن لم تنجح أي مساع في أن يتراجع فاروق عما هو ماض فيه، وفي الوقت ذاته راح يضيق على زوجته الخناق في غدوها ورواحها.

وعلى الجانب الآخر، فإن الحب لم يجمع بين فريدة ونازلي، إذ اختلفتا وهذا أمر يكاد يكون شبه طبيعي بين زوجة الابن والحماة، لدرجة أن الملكة واصلت انتقادها لأسلوب حماتها، ووضح ذلك في أحاديثها مع زوجة السفير البريطاني في القاهرة، عندما كانت الأخيرة تقوم بزيارتها، كذلك فإن الملكة الأم مضت تشير إلى توتر العلاقات بين ابنها وزوجته، وكيف أن الانفصال أصبح متوقعًا في أي وقت، واتهمت فريدة بأنها تتعامل مع الملك بغباء، مما جعله يترك القاهرة إلى الإسكندرية في يوم عيد ميلادها.

وفي وسط الانعزال الذي عاشت فيه فريدة، ربطت العلاقة بينها وبين الأميرة سميحة حسن، وزوجها وحيد يسري ابن الأميرة شويكار، وأفرغت الملكة أحزانها لديهما، وشعرت بالأمان معهما، وكان الملك يكره وحيد يسري، وبالتالي لم يرتح لهذه العلاقة، ونبه الملكة لذلك، لكنها لم تلق بالاً، فوضعها تحت المراقبة، فثارت عليه، مبدية بصراحة ندمها على زواجها منه، وابتعدت عنه حتى إنه عندما دخل مستشفى المواساة بالإسكندرية لإجراء عملية لم تهتم بالأمر، وغدا واضحًا أن أواصر المحبة قد انقطعت بعد أن دب الجفاء بينهما.

ولم يأت منتصف نوفمبر *1948*، إلَّا ودارت الأحاديث عن قرب الطلاق، وبدا الوقت مناسبًا لوقوعه، إذ كانت مصر تموج بالانفعالات تجاه أحداث فلسطين، أيضًا حرص فاروق على أن يكون طلاق أخته فوزية من شاه إيران مقرونًا بطلاق فريدة منه، حتى يمتص غضب الشعب، خوفًا من انعكاس هذا التصرف عليه، لأن الشعب كان يقدر الملكة ويحترمها ويكن لها كل الحب.

وحاول الملك أن يستصدر فتوى من الشيخ المراغي، تحرِّم على فريدة الاقتران بزوج آخر بعد الطلاق، ولكنه امتنع، وفي *19* من نوفمبر صدر بلاغ رسمي من الديوان الملكي بطلاق الملكة من الملك، وتم الإشهار، وأصر فاروق على أن يكون الطلاق بائنًا، حيث قطع أي أمل في العودة لها، وأعلن تنازله لمطلقته عن تفتيش الفريدية – يقع في الشرقية ومساحته ألفا فدان – والمجوهرات التي أهداها لها، وأعطاها حرية اختيار مكان إقامتها، وعليه استردت اسم صافيناز، لكنها استمرت فريدة في عيون وقلوب المصريين.

وبعيدًا عن حياة القصور، مارست فريدة هوايتها في الرسم، لتعبر عما يجيش في صدرها من حزن



وأسى، وعندما ذهبت يومًا إلى دار السينما — في الوقت الذي تقرر فيه زواج الملك من ناريمان — ترددت هتافات الناس « لا ملكة إلَّا فريدة» ومرة أخرى حينما دخلت مكتبة لتشتري كتبًا، التفت الجموع حولها، فرحين بها، مهللين لها، وتعطلت حركة المرور، وتدخل البوليس لإخراجها من الزحام.

واستاء فاروق من أن اسم الملكة السابقة، لازال يتردد على ألسنة المصريين، وأن صحافة المعارضة تشيد بها، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا، وحافظت فريدة على هدوئها، ولم تتفوه بكلمة تسيء إليه، واحترمت سنوات عشرته، وهنأته على زواجه من ناريمان، وكررت تهنئتها على ولادة ولي العهد، وكان في ذلك علو وسمو ورفعة منها، إذ لم يكن قلبها يحمل كرهًا أو ضغينة، واحتفظت بحب الجميع، لدرجة أنه بعد قيام ثورة 23 من يوليو 1952، وتنازل الملك عن العرش، تصدَّرت صورتها غلاف مجلة «المصور» وسطرت تحتها عبارة «حبيبة الشعب»، ولكن في الوقت نفسه طبقت الثورة عليها الإجراءات التي اتخذتها تجاه الأسرة العلوية، فقد صادرت أملاكها، وفي البداية مُنعت من السفر، ومن ثم حرمت من رؤية بناتها، مما ضاعف من محنتها ولم تجد أمامها إلَّا أن تنفس عن همها في لوحاتها، وبعد محاولات سمح لها بالسفر، فغادرت مصر إلى لبنان عام 1963، ثم انتقلت إلى سويسرا عام 1967 لتكون بجوار بناتها، وبدأت في إقامة المعارض لرسوماتها.

وفي عام 1970 استقرت في باريس، وواصلت مسيرتها الفنية، وهناك في عام 1975 التقت مع كل من د. عاطف صدقي المستشار الثقافي، والفنان فاروق حسني الملحق الثقافي، ودعياها للمشاركة في معرض الفن المصري المعاصر، وسرعان ما توالت معارضها، وأقامت أول معرض لها في القاهرة عام 1980، وبطبيعة الحال فقد نال الإعجاب من الجميع.

وفي العام نفسه سمح لها الرئيس السادات بالعودة إلى وطنها، والاستقرار فيه، وعادت ولكنها وجدت العقبات أمامها من حيث السكن والمعيشة، مما اضطرها إلى مغادرة مصر، وما لبثت أن عادت مرة أخرى لتجد أن الظروف اختلفت، فرحبت بها السيدة الفاضلة سوزان مبارك، وتم إعداد مسكن مناسب لها اتسم بالأناقة والبساطة في المعادي.

وعاشت فريدة مع فرشاتها، ومارست حياتها العادية إلى أن هاجمها المرض بشراسة، وهنا وقفت بجانبها السيدة الفاضلة سوزان مبارك، وعملت على سفرها للعلاج في الخارج على نفقة الدولة، ثم رجعت إلى مصر لتستكمل علاجها، ووجدت العناية والرعاية من د. عاطف صدقي رئيس الوزراء آنذاك، ومن الفنان فاروق حسني وزير الثقافة، ولكن لم يمهلها القدر، وصعدت روحها إلى بارئها في 16 من أكتوبر 1988، وودعت مصر جثمانها الذي لُفَّ بالعلم المصري حيث واراه الثرى، وبرغم أن الستار قد أسدل على ملكة أحبها المصريون، فإنها لاتزال في ذاكرتهم.



صافيناز ذو الفقار

تعسة في العهد الملكي بائسة في العهد الثوري

جمال بدوي

كان من الممكن أن تعيش صافيناز يوسف ذو الفقار، مثل غيرها من فتيات الطبقة الأرستقراطية، عيشة الرخاء والنعيم والرفاهية إلى نهاية العمر، لولا أن الأقدار وضعتها في طريق صبي غير سوي العقل والنفس، هو، فاروق، الابن الوحيد والمدلل لملك مصر أحمد فؤاد الأول، فكان سببًا في شقائها كزوجة وأم وإنسانة، وكان سببًا في تعاستها سواء أثناء حياتها في قصر عابدين كملكة متوجة، أو حياتها خارج القصر تطاردها لعنة الانتساب إلى فاروق.

كانت صافيناز تنتمي إلى إحدى العائلات المرموقة، التي تمتد بجذورها إلى الأصول التركية، التي كانت لها السيادة في المجتمع المصري، أمها زينب كريمة محمد سعيد باشا، الذي تولي رئاسة الوزارة المصرية في عام *1910*، عقب اغتيال بطرس باشا غالي، وأحد الذين لعبوا دورًا بارزًا في السياسة المصرية، إلى ما بعد قيام ثورة *1919*، واختياره الزعيم سعد زغلول وزيرًا في وزارة الشعب الأولى في يناير*1924*، وأبوها يوسف ذو الفقار باشا، أحد رجال البلاط البارزين في عهد الملك فؤاد.

وكان أمرًا طبيعيًا أن تخطو الفتاة «صافيناز» خطواتها الأولى في قصر عابدين كصديقة لبنات في مثل سنها هن: فوزية وفتحية وفائقة، بنات الملك وشقيقات فاروق، وأن تختلط بفاروق كما تختلط أية



حَلَفَ المصريون بجمالها وطهرها وعفافها ولا تزال في ضميرهم وستبقى



فتاة بصبي يقاربها سنًا، وكان من المتوقع أن يتبادلا الإعجاب، كما يحدث لأي صبي وفتاة في مثل سنهما.

وحدث بعد وفاة الملك فؤاد في أبريل 1936، وبعد انقضاء فترة الحداد أن قامت الأسرة الملكية برحلتها السنوية المعتادة إلى أوروبا، حدث ذلك في يوليو 1937، وكانت صافيناز من بين المشتركات في الرحلة، لتكون بجوار صديقاتها الثلاث بنات نازلي، وكانت الفتيات ومعهن أخوهن فاروق، يقضين معظم ساعات النهار في التزحلق على الجليد، ولاحظ المشرفون على الرحلة من رجال البلاد أن درجة الإعجاب بين فاروق وصافيناز قد تطورت، وتحولت إلى عاطفة ورغبة في الزواج. ورغم أن سن فاروق في ذلك الوقت لم تكن تتعدى 17 سنة، وهي سن غير كافية للحكم على العواطف، فإن الملكة الأم «نازلي» باركت هذه الرغبة وتم الزواج بالفعل، بعد عودة الأسرة المالكة إلى مصر. وأقيمت الأفراح والليالي الملاح. وعبر الشعب عن فرحته بالملك الشاب الذي حرص على إكمال نصف دينه في هذه السن المبكرة. واختار لها فاروق اسم «فريدة» تيمنًا بحرف «الفاء» الذي حرص أبوه على أن يكون بداية لأسماء أولاده جميعًا.

وكان الأستاذ الصحفي محمد التابعي، أحد أصحاب جريدة «المصري»، مرافقًا للعائلة المالكة أثناء رحلتها إلى أوروبا، وشاهدًا على تطور العلاقة بين الفتاة والشاب من ناحية، وما كان يجري بين الملكة نازلي وأحمد حسنين باشا رجل البلاط الأول من ناحية ثانية. ويروي التابعي في مذكراته كيف كانت نازلي مشغولة بعواطفها المتأججة عن تصرفات ابنها الصبي، فأسرعت بقبول زواجه من صافي ناز حتى تتفرغ لمشكلتها الرئيسية مع أحمد حسنين.

ولكن لم تمض سنوات معدودة، حتى كان فاروق قد وقع تحت سيطرة مجموعة من المفسدين، الذين زينوا له طريق الفجور، فهجر زوجته الشابة وانكب على مخالطة المحظيات والساقطات، وتطور الفجور من دائرة الكتمان إلى العلن، وصدمت فريدة عندما كانت تذهب إلى مخدع الملك، فتجده مشغولاً بغيرها لا حياء أو خجل.

فتوى ضد الشريعة

وأنجبت فريدة في سنوات الزواج الأولى ابنتين: هما فريال وفوزية، ولكن فاروق احتج بحاجته إلى وريث للعهد، ليبرر كرهه لفريدة، ويجعل من ذلك ذريعة لمخالطة الساقطات. فلما أنجبت له ابنته الثالثة "فادية" ثارت أعصابه وأثار من حولها الشكوك، وأعلن أن حياة الزوجية مع فريدة أصبحت مستحيلة وأَصَرّ على تطليقها.



وتروي بعض المصادر التاريخية، أن فاروق استدعى شيخ الأزهر في ذلك الوقت، فضيلة الإمام الأكبر مصطفى باشا عبد الرازق، وعرض عليه الأمر، وطلب منه استصدار فتوى، تحول بين فريدة والزواج مرة أخرى بعد طلاقها من الملك، ولكن الشيخ أفهمه أن مثل هذه الفتوى تناقض أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية، ويستحيل إصدارها، وعندئذ تطاول الملك على شيخ الأزهر باللفظ والفعل، مما كان سببًا في وفاته 1946.

أسيرات القصر

وعاشت فريدة وبناتها الثلاث كالأسيرات في قصر عابدين، بينما هربت نازلي وابنتاها فوزية وفائقة إلى أمريكا، في الوقت الذي غرق فيه فاروق في مباذله النسائية، التي أصبحت حديث الناس في المقاهي. انحطت صورة فاروق في نظر الجماهير، بينما اكتسبت فريدة عطف الشعب واحترامه، وكانت المقالات الثورية التي تنشرها الصحف الحرة لا تخفي هذه الحقيقة.

وازدادت قيمة فريدة في نظر المصريين، بعد أن توالت الأنباء عن مفاسد نازلي في بلاد الغرب، والتي انتهت بتحول نازلي من الإسلام إلى الكاثوليكية، وزواج ابنتها فتحية من شاب مصري مسيحي اسمه رياض غالي، وكان الشعب يقارن بين تصرفات فاروق وأمه وأختيه، وبين تصرفات فريدة، فيشتاط غضبًا على بؤرة الفساد والفجور، ويضع فريدة في مكان الاحترام والاعتزاز..

وغادرت فريدة قصر عابدين بعد طلاقها، وعاشت بعيدًا عن الأضواء والشهرة، وفي عام 1951 تزوج فاروق من زوجته الثانية ناريمان، التي كانت مخطوبة لأحد الشبان العاملين في حقل الاقتصاد، ولكن فاروق أرغمه على فسخ خطبتها، فأذعن للرغبة الملكية. ونجحت ناريمان في أن تحقق لفاروق رغبته في وراثة العرش، وأنجبت له طفلاً في 12 من يناير 1952، أطلق عليه اسم أبيه «أحمد فؤاد» ولم يدرك فاروق أن هذا الوريث سيكون خاتمة المطاف لحكم أسرة محمد علي، التي حكمت مصر منذ عام 1805، وأنه سيكون شؤمًا عليه، ففي أثناء الاحتفال الكبير الذي أقامه فاروق بقصر عابدين بمناسبة «سبوع» الوليد، اشتعلت النار في وسط القاهرة ودمرت معظم البنوك والشركات والمؤسسات والمسارح، وهو الحريق الذي أصبح من معالم التاريخ المصري (يوم 26 من يناير 1952)، وبعده بستة أشهر اندلعت ثورة الجيش، وأرغمت فاروق على التنازل عن العرش، وغادر الإسكندرية إلى إيطاليا يوم 26 من يوليو 1952، ومعه ناريمان ووليده أحمد فؤاد، وبناته الثلاث فريال وفوزية وفادية، بينما بقيت الملكة السابقة (فريدة) في مكانها ترقب ما حدث لزوجها الذي حطم كبرياءها وجرح كرامتها.

وتصور كثير من الناس، أن فريدة بما لها من رصيد أخلاقي وسمعة طيبة، سوف تكون موضع تقدير العهد الجديد، لدرجة أن مجلة «المصور» صدرت بعد شهر واحد من حركة الجيش، وعلى غلافها صورة



فريدة وهي تضع (اليشمك) على وجهها وكتبت تحتها (صديقة الشعب).

ولكن صديقة الشعب، لم تكن صديقة العهد الجديد، فقوبلت بجفاء رغم أنها أظهرت احترامها لكل القرارات، التي أصدرتها حكومة الثورة، وكان سلوكها في هذا المجال يبلغ حد الأساطير، فلما أصدرت الثورة مرسومًا بمصادرة ممتلكات أسرة محمد علي، أدرجوا اسم صافيناز ذو الفقار، ضمن من يشملهم قرار المصادرة، رغم أنها لا تمت بصلة القربى إلى هذه الأسرة، ورغم أن صلة الزواج بالملك قد انتهت بالطلاق، قبل ثماني سنوات، ومع ذلك أظهرت فريدة روح القبول للقرار، بل فعلت ما هو أكثر من ذلك، عندما قدمت إلى جهاز المصادرة بعض الأموال الخاصة بها، والتي لم تكن معروفة لدى الأجهزة.

ثم ازدادت حدة الجفاء والنقمة على السيدة صافي ناز، عندما أمروها بإخلاء الفيلا التي كانت تقيم بها بشارع الهرم، فاستأجرت شقة غاية في التواضع بأحد الأحياء الشعبية بحلوان الحمامات، وبقيت تعيش فيها على القروش المتواضعة التي تتقاضاها كمعاش، وعندما وجدت أن هذه القروش لا تصلح لإعالة (شغالة) غادرت مصر إلى فرنسا، وصرفت همتها في رسم اللوحات الزيتية لتعيش من ريعها بعد بيعها في المعارض.

وفي عام *1975*، نشر الأستاذ الدكتور لويس عوض في (الأهرام) ، نص مقابلة تمت بينه وبين السيدة صافيناز في بيروت، وروت له بعض جوانب من حياتها القاسية، عندما كانت تعيش في شقة حلوان، وهي خالية من ثلاجة أو بوتاجاز، لدرجة أنها كانت تغسل ثيابها في صفيحة على وابور الجاز، وعلق الدكتور لويس على هذه المعلومات بعدة عبارات غاية في الرقة والإنسانية، ووجه اللوم إلى أولئك الوحوش الذين انتزعت الرحمة من قلوبهم، وفي السنوات الأخيرة كانت صافيناز ذو الفقار، تتردد على القاهرة وتقضي فيها أشهر الشتاء، وتقيم المعارض في الفنادق الكبرى، ثم تعود إلى أوروبا لتكون بجوار بناتها الثلاث، رحمها الله رحمة واسعة، وعوضها عن سنوات الشقاء في العهد الملكي، وسنوات التعاسة في العهد الثوري.



لم تفارقها الابتسامة في مطلع شبابها ، لكنها عزّت بعد ذلك



غرام فاروق وفريدة

بينما كانت البلاد مشغولة في عام 1937 ميلادية، بالتصدع الذي أصاب وزارة النحاس الثالثة، ثم انشقاق ماهر والنقراشي عن الوفد، وسفر النحاس إلى مؤتمر مونتريه، للبحث في إلغاء الامتيازات الأجنبية، قفزت على سطح الأحداث أنباء اعتزام الملك فاروق الزواج من الآنسة، صافي ناز ذو الفقار، وفى حين تركت الأحداث السياسية ظلالًا قاتمة على الحياة العامة، كان مشروع الزواج الملكي رنة فرح وابتهاج، ورأى فيه الناس إضافة إلى سجل الأعمال الصالحة، التي كان الملك الشاب يحرص على الظهور بها، منذ عودته من إنجلترا إثر وفاة أبيه، وكانت القصص الصحفية والأساطير المختلفة، التي نسجت حول صلاح فاروق وتقواه، وعبقريته وتمسكه بالفضائل والأخلاق الحميدة، وعطفه على الفقراء، قد أثمرت ووضعته في إطار شعبي جذاب، ولما كان فاروق قد اعتزم إكمال نصف دينه، وهو في سن السابعة عشرة، وقبل أن يجرفه تيار الفسق والفجور، فقد قوبلت رغبته بالتأييد والمباركة، خصوصًا بعدما عرف الناس أن المرشحة لحمل التاج الملكي، ليست من بنات الأسرة العلوية المالكة، وأن اختيارها جاء انتصارًا للتيار المصري على التيار التركي، الذي كان يقوده ولي العهد ورئيس مجلس الوصاية الأمير محمد علي، ويرى أن تكون ملكة مصر أميرة تجري في عروقها الدماء التركية، ومنذ مطلع عام 1937، كان مشروع الزواج الملكي موضع خلاف بين الأجنحة المتصارعة في البلاط.

في يوم 11 من فبراير 1937 ميلادية، وهو يوافق بلوغ فاروق سن السابعة عشرة، أشارت «المصور» إلى اهتمام الصحف والمجلات بموضوع زواج الملك، وقالت إن الموضوع تم بحثه في عدة مناسبات، ولكن شيئًا خاصًا بهذا الموضوع لم يذكر على حقيقته، أما الحقيقة كما أكدتها «المصور» فهي أن جلالته أبدى رغبته السامية في أنه لا يود الزواج الآن، بل ولا يفكر فيه، ولكنه يشعر بأن من واجبه أن يتزوج في يوم من الأيام، ويرجو أن يأتي هذا اليوم في الوقت المناسب، فيحقق لشعبه أمنية يتمناها، وأن الدوائر العليا ترى أن جلالة الملك «حر» في اختيار مليكة البلاد، وأنه لا يهم إذا كانت من الأسرة المالكة أو من الشعب، ولعل هذا من الأسباب الرئيسية التي يرى جلالته أن وقت الزواج لم يحن.

والعبارة الأخيرة تشي بالخلاف الدائر في محيط العائلة المالكة، عن أصول الفتاة المرشحة للزواج، وإمكان زواج الملك من خارج الأسرة، ولم تكن الدوائر العليا التي أشارت إليها «المصور»، سوى الملكة الأم «نازلي». إذ كانت تفضل أن تكون عروس ابنها الوحيد – وملكة مصر المقبلة – مثلها من خارج العائلة الملكية، فهي ابنة واحد من كبار أصحاب الأراضي المصريين، هو عبد الرحيم باشا صبري،



واستطاعت أن تحقق لزوجها الملك فؤاد أمله في وريث ذكر، وهو ما فشلت فيه «الأميرة شويكار» حفيدة البطل إبراهيم باشا، التي أنجبت له ابنة وحيدة هي الأميرة فوقية، هذا إلى جانب هدف خفي هو ألّا تكون الملكة القادمة من سليلات البيت الملكي، حتى لا تفخر عليها بحسبها ونسبها، والدماء الزرقاء التي تجرى في عروقها، على عكس الأمير محمد علي المعبر عن النزعة التركية المتعجرفة والمتعالية على الشعب، إذ يرى الحفاظ على نقاء السلالة العلوية وعدم اختلاطها بالدماء المصرية.



ولم تكن «نازلي» تخفي احتقارها لكل من يمت إلى البيت الملكي، وعلى رأسهم زوجها الملك الراحل «فؤاد»، الذي عاشت في كنفه سنوات المرار والعذاب والقهر، إلى حد ضربها وإهانتها على مرأى ومسمع من ابنهما الطفل «فاروق». وكان لهذه المشاهد المزرية الأثر الكبير في زرع بذور الكراهية والبغضاء في نفس الابن نحو أبيه، في مقابل الحب الجارف نحو أمه، ولذلك لم تكد تلمح في عيني ابنها ميلاً نحو الآنسة «صافي ناز»، ابنة صديقتها المفضلة وكبيرة وصيفاتها زينب ذو الفقار، حتى شجعته على المضي في مشروعه العاطفي، قبل أن يتغلب التيار الرجعي الذي اختار له إحدى كريمتي الأمير عزيز حسن، حفيد الخديو إسماعيل، وتناست الأم قرارها السابق بإرجاء زواج ابنها حتى يبلغ مرحلة النضج، ووافقت على التعجيل بزواجه من الفتاة ذات الخمسة عشر ربيعاً، التي تعلق بها قلبه.

حديث بعد منتصف الليل

حدث هذا التطور الفجائي، عشية الإعداد للرحلة الأوروبية التي أزمعت الأسرة الملكية القيام بها، حتى يتاح للملك الشاب الاطلاع على معالم أوروبا، قبل أن يرتقي العرش في يوليو 1937. وقبل ثلاثة أيام من إقلاع الباخرة، وكانت نازلي قد انتهت من إعداد قائمة المسافرين، فوجئت بولدها فاروق يوقظها من النوم، ويطلب منها إضافة اسم الآنسة «صافي ناز» إلى القائمة، ولم يغب عن ذهن الأم المجربة وصاحبة الخبرة في الشئون العاطفية مغزى هذا الطلب، وكانت تعرف في الوقت نفسه ما يتميز به فاروق من رعونة وتقلب في المزاج، مما يمكن أن يضعها في موقف حرج مع صديقتها ورفيقتها في الرحلة زينب ذو الفقار، أم الفتاة، فطلبت منه إمهالها إلى الصباح، حتى تستأذن الأبوين في سفر الابنة، أو لعله يثوب إلى رشده ويقلع عن عزمه، إلَّا أن الشاب الأرعن ألح على أمه في تنفيذ رغبته في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وتم له ما أراد، ودهشت أم الفتاة لهذا الطلب الغريب في هذا الوقت المتأخر، وراحت تضع الأعذار أمام الملكة، ومنها أن السفر يعني انقطاع الفتاة عن الدراسة طوال أربعة أشهر، هي مدة الرحلة، ثم صعوبة شراء الملابس واستخراج جواز السفر خلال هذه المهلة الضيقة، وقوبلت الأعذار بالرفض من جانب الملكة نازلي، ووعدت بتذليلها بمقتضى النفوذ الملكي، وأدركت السيدة – وهي نصف نائمة – أن نازلي تتكلم بلسان ابنها الجالس بجوارها، والذي كان يلقن أمه كلمات تعبر عن إصراره على سفر «صافي ناز» وإزاء هذا الإلحاح، اضطرت أم الفتاة إلى إيقاظ زوجها لتعرض عليه الأمر، فرفض رفضاً باتًا، وعاد ليستأنف نومه، وعندئذ دق جرس التليفون للمرة الأخيرة، لتتلقى الأم عبارة لا مجال لمناقشتها، وهي أن سفر صافي ناز تقرر بأمر ملكي.



نازلي تتحرَّر من القيود

سافرت صافي ناز في صحبة الأميرات الأربع شقيقات فاروق. فوزية وفايزة وفائقة وفتحية، وهي خالية الذهن من التدابير التي خطط لها فاروق، كي تكون قريبة منه بعيدة عن عيون الدخلاء والمتطفلين في القصور الملكية، وفوق جبال الثلوج في سويسرا، انطلق الجميع من القيود يمارسون ألعاب التزلج على الجليد، بمن فيهم الملكة الأم، التي خلعت سمت الوقار والحشمة، وتخلت عن اليشمك الذي كان يخفي وجهها، وهي أسيرة الملك الراحل. وراحت تنافس بناتها في سباق التزلج وما يصاحبه من مداعبات ومشاغبات، لتعوض ما فاتها من مرح ومتعة. أما صافي ناز فقد انطلقت على سجيتها الهادئة، مع رفيقاتها الأميرات، دون أن تلحظ عيني فاروق تتابعها وترقبها أينما حلت، وعندما سقطت من الزلاجة وجرحت ساقها، أسرع نحوها وضمد جرحها، ولم يترك ذلك للطبيب المرافق، ولم تدع الأم الخبيرة هذه اللفتة دون تعليق له مغزى. فقالت لابنها — على الطريقة المصرية - إن ما جرى للبنية إنما بسبب حسد فاروق، لأن عينه وحشه، ثم أردفت إن العين التي تحب .. تحسد.

وكان هذا أول تلميح بأن قلب فاروق مشغول بصافي ناز. ثم تطور التلميح إلى تصريح. عندما قالت نازلي وهي تضع القبعة على رأس الفتاة: خدي بالك.. راح يأتي يوم تلبسين بدل البرنيطة «الكورونا» بتاع ملكة مصر، أي التاج. فاحمر وجه الفتاة خجلاً. وكان هذا إيذانًا بجدية المشروع.

وكانت الصحف والمجلات المصرية، توالي نشر أخبار وصور الرحلة الملكية بانتظام، وفي 26 مارس 1937، نشرت «المصور» للمرة الأولى صورة الآنسة صافي ناز ذو الفقار بصحبة الأميرات، ومعهن المربية حول جبال سان مورينز بين الثلوج، وتحتها صورة الملكة نازلي وهي تمد ساقها لأحد المدربين ليضع حذاء التزلج في قدميها، كما نشرت صورة فاروق على الغلاف وهو يمتطي عربة التزلج.

هل تقبلينني زوجاً؟

بعد عودة العائلة الملكية إلى مصر، شاعت قصة هيام الملك فاروق بالآنسة صافي ناز ذو الفقار بين الكافة، واستقبل الناس الخبر بالترحاب، فقد وجدوا فيه تعويضاً عن الحنان الذي حرم منه فاروق، منذ مات أبوه وهو في الغربة، دون أن يسمح له القدر بالوجود إلى جواره وهو يلفظ أنفاسه، وازداد عطف الناس على هذا الشاب «اليتيم»، بعد أن رأوه في الصحف، يرتاد المساجد ويحضر المناسبات الدينية.

أما كيف تمت الخطبة؟ فهناك عدة روايات تقول الرسمية منها: إنه في عصر يوم 15 أغسطس 1937 ذهب فاروق وحده يقود سيارته إلى منزل المستشار يوسف ذو الفقار، نائب رئيس محكمة الاستئناف،



وكانت صافي ناز تذاكر دروسها في الحديقة، فلما أبصرته نهضت من مكانها وتقدمت منه لمصافحته، ففاجأها بسؤال: «هل تقبلينني زوجًا لك؟ فارتجفت وقالت: هذا شرف عظيم يا مولاي، وسألها أين والدتك؟ فأجابته بأنها في بيت خالها حسين باشا صبري، ثم صحبها إلى جانبه في السيارة، إلى بيت حسين صبري، وهناك قال للسيدة زينب ذو الفقار: لقد أخذت رأي ابنتك في زواجي منها، وجئنا نسألك: هل عندك مانع؟ فعقد الفرح لسانها، ثم قالت: يا مولاي دي نعمة وشرف مانقدروش. وعندئذ دعاها لتصحبها إلى سراي المنتزه، ودخل على والدته صائحًا: ماما.. ماما.. مبروك.. أنا خطبت صافي ناز. وحكى لها ما حدث.. فنهضت من مخدعها وقبلته ثم قبلت خطيبته، وهي غاية في السعادة. وفي صبيحة اليوم التالي أذاعت الصحف الخبر، وأقبلت الوفود على السراي الملكية تقدم التهاني، وفي المساء ذهب فاروق وفي صحبته أحمد حسنين باشا إلى منزل ذو الفقار، وهو يحمل ثلاث هدايا نفيسة:

- بروش من الجواهر الكريمة لخطيبته.
- براءة رتبة الباشوية لوالدها.
- الوشاح الأكبر من نيشان الكمال لوالدتها.

وبعد مراسم الخطبة، طلب فاروق كشفًا بأسماء نسائية تبدأ بحرف (الفاء) جريًا على التقليد الذي طبقه الملك فؤاد، على كل بناته وابنه الوحيد، حيث اختار له اسم (فاروق) تيمنًا باسم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، الذي كان «فاروقًا بين الحق والباطل». وقال فؤاد عن ابنه: إنه «فاروق بين مصر وبريطانيا». أما فاروق فاختار لخطيبته اسم (فريدة) لسهولة تداوله ونطقه بالفصحى والعامية.

هذا الزواج لن يتم

تلك هي الرواية الرسمية عن تطورات الخطبة الملكية. وهناك رواية أخرى غير رسمية جاءت في كتاب (الملكة فريدة ثائرة على عرش فاروق) ، من تأليف سمير فراج. وتتضمن معلومات مهمة عن موقف يوسف ذو الفقار، المعارض لهذا المشروع منذ بدايته، عندما رفض سفر ابنته ضمن الحاشية الملكية إلى أوروبا، فعندما وافقت زوجته على الخطبة. ذهبت إليه مع ابنتها لتزف إليه البشرى، فما كان منه إلَّا أن صرخ قائلاً: أبدًا.. أبدًا.. الزواج ده مش ممكن يتم.. فنظرت إليه زوجته وكأنها تتهمه بالجنون وقالت له: كيف يعارض والد في العالم زواج ابنته من ملك؟ فكان جوابه: لأني لا أريد لابنتي غير السعادة، ولا أريد لها التعاسة. فقالت: وأي سعادة لابنتك أكثر من أن تتزوج ملك مصر فتصبح ملكة مصر؟ فأجابها: هذا وهم.. لا سعادة.. لأن حياة الملوك كلها قيود ومتاعب.. وحياة القصور كلها دسائس ومقالب.. و«صافي ناز» بعيدة عن كل هذا.. ويجب أن تبقى بعيدة عن هذا المحيط التعس.



وسألته زوجته: ومن أوحى إليك بهذا؟

فقال لها بسرعة: أنت..

وصرخت: أنا..؟!

وأجابها.. بالتأكيد.. ولكنك نسيت فقط، نسيت أنك كنت كلما عدت من عملك حينما كنت وصيفة في القصر الملكي، تروين لي الكثير عن مشاهداتك.. بل إنك كثيرًا ما عبرت عن انطباعك بشكل أسوأ من ذلك بكثير، ألا تذكرين ذلك؟ نعم يا زوجتي العزيزة.. كثيرًا ما كنت تعودين من القصر، وأنت تبكين لما تعانينه من الملكة «نازلي»، ومن العذاب ومن القيود التي يقيد بها الملك فؤاد كل من حوله.

وكأن زينب هانم وجدت أخيرًا فرصة للدفاع عن موقفها المؤيد للزواج فقالت: كل ما قلته صحيح. ولكن كل ذلك في العهد القديم أيام الملك فؤاد، وقد انتهى ذلك العهد، والعهد الآن لملك شاب هو فاروق، الذي قضى على كل تلك المظاهر.. إن فاروق غير فؤاد.

ولم يتراجع يوسف ذو الفقار، ولم تظهر منه أية إشارة لقبول زواج ابنته من الملك فاروق، وانتهى الحديث، وذهبت الأم لتخبر ابنتها بمعارضة أبيها، فذهبت إليه بما لها عليه من دلال، فقد كان يحبها حبًّا جمًا، ويتمنى لها أن تكون قاضية في المحاكم المختلطة مثله، وقالت له: سمعت يا بابا أنك تعارض مشروع زواجي من الملك فاروق.. فلماذا؟

فأجابها: لأني أخشى عليك يا ابنتي.

وسألته: تخشى علي من ماذا؟

فقال: أخشى عليك من كل قهر الزيجات الملكية وفشلها، وسوء حالها، أنت بنت مثقفة تفهمين في الحياة، وقرأت الكثير، ولابد أنك قرأت أن أغلب الزيجات الملكية، إن لم نقل كلها، زيجات فاشلة، وإن أشهر المآسي في العالم هي تلك التي وقعت في بلاط الملوك!

فقالت الابنة: ولكني أحب «فاروق» يا أبي.. وهو يحبني!

وأجابها في نهاية الحديث: أنا لا أنكر عليك ذلك، ولكني أخاف عليك منه.

الأب يهرب إلى لبنان

وأمام هذا الإصرار من جانب الأم، والحماسة من جانب الابنة، رأى الأب أن يتصدى للمشكلة بشكل سلبي، وينفض يده منها، لعل الملكة نازلي تفهم موقفه. فسافر خلسة إلى لبنان، ليكون بعيدًا عن مجريات الأحداث التي سارت سراعًا، حتى إن الملكة نازلي اتصلت بأم العروس لتحديد موعد الزفاف، فطلبت الأم تأجيل الموعد إلى حين عودة الأب من لبنان، ووافقت نازلي، ولكن فاروق — الأرعن المتهور — ما

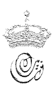


إن علم حتى ثار في وجه أمه وقال لها: مش ممكن.. أنا مش تحت أمره، لن أنتظره حتى يعود. واستدعى كل من حوله من الحاشية، وأمرهم بتشكيل وفد للسفر فوراً إلى لبنان، للبحث عن يوسف ذو الفقار وإحضاره فورًا إلى القاهرة. واهتزت أسلاك البرق بين القاهرة وبيروت، وفوجئ يوسف بك ذو الفقار برئيس البوليس اللبناني يزوره في الفندق، ويطلب منه العودة فورًا إلى مصر بناء على أوامر مشددة تلقاها من وزارتي الخارجية والداخلية المصريتين. وامتثل الرجل، وركب أول باخرة فوجد في انتظاره بميناء الإسكندرية وزير الداخلية، وحشدًا من رجال الأمن العام. فاعتقد الرجل أنه مقبوض عليه رغم حصانته القضائية، بعد أن لفقوا له قضية سب في الذات الملكية، واستفاق من خواطره السوداء ليجد نفسه في قصر المنتزه، ووجد الملك فاروق عند باب القصر يداعب كلبه. فما إن رآه حتى ترك الكلب، وهرع إليه محييًا بالأحضان والقبلات، وكأنه صديق قديم. وبعد سؤال عن الصحة والمزاج والأيام التي قضاها في لبنان، قال له فاروق: أنا أطلب يد ابنتك الآنسة صافي ناز زوجة لي.

ووجد الرجل الوقور نفسه كالسجين، لا يملك حرية الرفض. فما كان منه إلَّا أن نهض وانحنى عدة مرات، وتمتم قائلا: ده شرف عظيم يا مولانا.. وبعدها صدر بيان من الديوان الملكي يعلن الخطبة الملكية، وبعث الديوان كتابًا إلى رئيس الوزراء – النحاس باشا – يبلغه فيه بالخبر السعيد. وعلى الأثر بادرت رئاسة الوزراء بإبلاغ النبأ إلى السفارات المصرية، ووزارات الدولة والمصالح، وبدأ الاستعداد للزفاف الذي تحدد له يوم العشرين من يناير 1938.



الملكة نازلي



نازلي تعترض على التسرُّع

وهناك رواية أخرى ذكرها المؤلف عن معارضة الملكة نازلي لإعلان الخطبة، بهذه الطريقة المتسرعة. فأظهرت اعتراضها بعنف، وكانت حجتها أن «فاروق» و«صافي ناز» لا يزالان صغيرين على الزواج، وأنها قالت لابنها: إنني أفضل الانتظار حتى تبلغ الثلاثين من عمرك، ثم تتزوج.. فقال لها: إذن.. أنت لا توافقين على هذا الزواج؟ فقالت له: إني لا أرفض.. فصافي ناز فتاة رائعة.. وأفضل منك ألف مرة.. ولكن أنتما الاثنان لستما مهيأين الآن للزواج.. قد تبدو ملكًا في نظر شعبك.. لكنك بالنسبة لي لا تزال صبيًّا صغيرًا.

وتوقفت الأم الملكة لترى وقع كلامها على ابنها الملك، ولما لم تجده ثائرًا تشجعت واستأنفت الكلام فقالت:إن ميول صبي وعواطفه.. وكذلك ميول فتاة صغيرة وعواطفها.. تتغير مائة مرة قبل أن يصل هو إلى مرحلة الرجولة.. وتصل هي إلى مرحلة النضج الكامل.. ولا تزال تنقصك التجربة والخبرة.. وإنني لا أرغب أن تتزوج هذه الفتاة ثم تهجرها بعد ذلك بدون أي خطأ من جانبها.

هل كانت «نازلي» تنظر بعين الغيب؟ وتستقري بعيون المرأة المجربة ما سوف يحدث بين ابنها الأرعن فاروق، وزوجته الوديعة فريدة من هجران وخيانة.. ثم طلاق؟ أم أنها كانت تتكلم عن معرفة أكيدة بأخلاقيات وليدها، وما جُبِل عليه من رعونة وتقلب، ورغبة محمومة في الاستيلاء على ممتلكات الغير، فإذا امتلكها زهد فيها وألقى بها في الجحيم؟ لقد تحقق كل ما كانت تتوقعه الأم، وتحقق ما حذر منه القاضي الوقور يوسف ذو الفقار، حيث نصح ابنته بالابتعاد عن حياة القصور كي تعيش سعيدة بالطريقة التي كان يتمناها لها. لقد خسر كل أبطال هذه الدراما أنفسهم، وخرجوا في نهاية المأساة بين شريد وطريد وفقيد، وحلَّت عليهم لعنة الشعب الذي احتضنهم وآواهم على امتداد قرن ونصف قرن من الزمان، وأسدلت الستار على آخرهم بعد أن توسم فيه الشعب الخير والصلاح والبراءة، ثم تغلبت عليه نوازع الشر والفساد، فلما آذنت الشمس بالغروب، حملته السفينة نفسها التي حملت جده ليلقى المصير نفسه، مصير كل مستهتر بالحق والعدل والحرية.

بينما كانت البلاد تتزين بالورد والرياحين، وتتلألأ بالأضواء والشموع، استعدادًا لزفاف الملك فاروق والملكة فريدة في يوم الخميس 20 يناير 1938، وقبل أن يرتدي العريس بذلة الفرح، اكتسى ثياب الحاكم المستبد، ووجه إلى الزعيم مصطفى النحاس ضربة قاصمة، فأقصاه عن الحكم في أسوأ إقالة تلقاها النحاس في حياته، واتهمه بمجافاة الدستور وعدم احترام الحريات، وذلك قبل أن يسدل



الستار على اليوم الأخير من عام 1937، ونجحت التدابير التي كان رئيس الديوان الملكي علي ماهر يحيكها من مكمنه في القصر، بالتنسيق مع أخيه الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الوفدي، بغرض الاستيلاء على الوفد من داخله، وتنصيبه رئيسًا لوزارة وفدية، ولكن الضربة حققت نصف الهدف، وهو تنحية النحاس، ثم غيَّرت الكرة اتجاهها لتستقر في مرمى محمد محمود، فكلفه الملك بتشكيل وزارة ضمت، عتاولة، الزعماء والساسة المعروفين بعدائهم للوفد، وولائهم للقصر من أمثال إسماعيل صدقي، وعبد الفتاح يحيى، وحافظ رمضان، وعبد العزيز فهمي، وأحمد لطفي السيد، ومحمد حسين هيكل، وحلمي عيسى، وانصرف الملك عن تكليف أحمد ماهر، حتى لا يقع الحكم تحت سيطرة الشقيقين، في حين كان فاروق يريد تجميع السلطات كلها في يديه، وينفرد بالحكم. ولم يمض على توليه سلطاته الدستورية سوى ستة أشهر، لم يسمع خلالها سوى معزوفات التأليه والتشجيع على الاستبداد، وكراهية الحكم الدستوري، والسير على الطريق نفسه الذي سار فيه أبوه، في صراعه مع سعد زغلول ومصطفى النحاس.

ولفت هذا التركيب الوزاري نظر فكري أباظة فقال في «المصور»: لأول مرة في التاريخ المصري — القديم والحديث — تتألف وزارة بهذا الشكل، فقد جمعت بين رؤساء أحزاب ورؤساء دولة ومستقلين، فهي «تحبيش» لكل ذي مقام وحيثية، من أقطاب الدولة ومن كبار الساسة، ماعدا الصنف الوفدي«....» ونرجو أن يوفق الله الوزارة إلى ما فيه خير الاستقلال «الصحيح» أولاً، وخير «الدستور الصحيح» ثانيًا، وخير العدالة والأمن والمساواة ثالثا، ولنا بجانب هذا الرجاء، رجاء آخر ننبه إليه، وهو أن يحصن الله الوزارة من العناد والاستفزاز والمكائد، وكلها آفة الحكم في مصر.

وأبدى فكري أباظة عدة ملاحظات، تتلخص الأولى في أن شغل الجماهير الشاغل الآن هو: الدستور، والدستور شيء جديد طاريء على حياة هذه الأمة في مكان الابن الوحيد المدلل، للوالدين اللذين طالما تمنيا على الله الخلف الصالح، فمنَّ الله عليهما بالابن الوحيد بعد طول العناء. هذا «الابن الوحيد» ولد نحيلًا، ضعيفًا شاحبًا، فلم ينعم في مهده ولا في طفولته، ولا في صباه بالسعادة التي ينعم بها الأطفال والصبيان، كانت تتتابه العلة إثر العلة، فتارة يلزم الفراش، وتارة يحتضر، وتارة ينهض. وكل هذه الأدوار تتتابه وهو لم يبلغ بعد سن البلوغ، ولا سن الرشد، وقد حيَّر في صحته نطس الأطباء فاختلفوا في تشخيص الداء، ووصف الدواء، وليس خلاف الأطباء الدستوريين رحمة، والوزارة الحاضرة تعلن أنها سترعاه، ومهمة الصحافة الحرة أن ترقب الوزارة في هذه الرعاية.

أما الملاحظة الثانية لفكري أباظة فهي أن الأمة تعبانة.. تعبانة.. من تلاحق الطواريء، وقد ظنت أنها استراحت بعد عهد الاحتلال، ولكن سوء الحظ أن يخلف ظنها، وهي لا تزال في عهد الاستقلال



تعبانة، ونعتقد أنها ستظل تعبانة.. فمهمة الوزارة الأولى أن تبذل كل ما في وسعها لراحة الأهلين.. واستقرار هذا الوطن الأمين.

وفي العدد نفسه نشرت «المصور»، صور الشباب وطلبة الجامعة الذين تدفقوا على مكتب أحمد ماهر لتحيته والهتاف بحياته، وكذلك بالنسبة للوزراء الجدد، أما عن النحاس وصحبه، فقد نشرت «المصور» صورة لأعضاء وزارته المقالة، وقد أحاطوا بالنحاس، في داره وهم «يضحكون مسرورين» وليس بين صفحات «المصور» عشية إقالة النحاس صورة واحدة تعبر عن غضبة الجماهير واستيائها مثلما كان يحدث في المرات السابقة. ويمكن تفسير هذا التغير الذي طرأ على حركة الجماهير، في نجاح حملة الدعاية المكثفة التي قامت بها الصحافة لإظهار فاروق، في صورة الشاب الصالح والتقي الورع، الذي يغشى المساجد، والراعي الحريص لمبادئ الدستور، في مواجهة مصطفى النحاس الذي اتهمته صحافة القصر بأنه يسعى إلى مناهضة حقوق التاج الدستورية، ويمكن القول: إن خطة علي ماهر في اختلاس شعبية النحاس لحساب الملك، قد حققت نجاحًا نسبيًا، خصوصًا أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها، كانت تستعد للاحتفال بزواج الملك.

العدد الذهبي «للمصور»

في اليوم نفسه للزفاف الملكي – الخميس 20 من يناير – أصدرت «دار الهلال»، عددًا تذكاريًّا من «المصور» في مائة صفحة، وبثمن عشرة قروش، وعلي غلافه الذهبي اللون، نقشت صورة ميدالية صنعها المثال البارع «سمان» في دائرة بداخلها الملك فاروق الأول، والملكة فريدة. وفي صدر الصفحات الأولي كتب إميل وشكري زيدان تحت عنوان« إلى المليك المقدس« إنه لمن دواعي فخار «دار الهلال» أنها لم تدخر وسعًا في أن يجتمع لهذا العدد من أسباب الكمال، ما يتفق وجلال المناسبة التي يصدر من أجلها، فإنها لتزداد فخارًا، إذ تتقدم به إلى العتبات الملكية الكريمة، باقة متواضعة تعبر عما يجيش في صدور صاحبيها ومعانيهما من خالص الحب، وما تفيض به قلوب الملايين السبعة عشر، الذين تضمهم أرض الوطن من صادق الولاء.

وكتب فكري أباظة تحت عنوان «عرس الملك فرح البلاد»، عرس اليوم هو عرس الأمة كلها، ذلك لأن الملك دعامة من دعائم الدستور، بل هو العنصر الدائم المستمر في صلب الدستور، فمهما اختلفت الآراء الحزبية، ومهما تضاربت خطط الأقطاب والزعماء، فهم جميعًا يرتفعون بالملك فوق الخلافات والحزبيات، باعتباره رمز الجميع، وباعتباره للجميع، فالعرس ليس عرس البيت المالك وحده، والفرح ليس فرح العريس والعروس وحدهما، وإنما العرس عرس قومي، والفرح فرح وطني، ومن الحق أن يتقبل الشعب التهاني كما يتقبلها أصحاب الشأن من ذوي التيجان.. و «الملكة»، هو الاسم المحبوب واللقب



الخلاب الذي يتجلى اليوم على العرش المصري، فيكتمل به العرف، والدين، وتكتمل به الأسرة ويتكون به «البيت المالك» بمعناه الجميل، ومظهره النبيل، وسوف يرنو الشعب بعد ذلك، ويتطلع شوقًا إلى بيته الناشيء السعيد، منتظرًا الخلف الصالح، وهو في ذلك الشوق ليس بالمتطفل ولا بالفضولي، وإنما هو أصيل يعلم تمام العلم، أن هذا الزواج السعيد، هو شأن من شئون الدولة، امتزج بحكمه وبدستوره، وبحقه وبواجبه وبولائه نحو التاج، وبوفاء التاج نحو الرعية.

أما شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، فقد كشف عن الجانب الديني عند «الملك الصالح»، بحكم قربه منه، فوجده خيِّرًا بطبعه، يكره الرياء، ويلذ له أن يخلو بنفسه ليؤدي لله حق عبادته، ويحب طاعة الله، ويؤمن بالله إيمانًا صادقًا يملك عليه قلبه كله، ويستولي على جميع نفسه، ويفوض أمره إلى الله، ويحب جمال الكون ويقف خاشعًا أمام عظمة الخالق. يحرص على تفهم أسرار الكون، وعقيدة الفاروق عقيدة إسلامية قوية وبسيطة جدًّا، ليس فيها أثر من هذيان الفلاسفة، ولا من حشو علماء الكلام، ويؤدي الصلاة كاملة الأركان والآداب، ويصوم رمضان احتسابًا لله، ويعطف على الفقراء واليتامى والضعفاء، يعرف الشعب من ذلك بعضه ويجهل أكثره.

وتناول العدد التذكاري «للمصور» «مآثر الفاروق» منذ جلس على عرش آبائه، والناس يشهدون كل يوم دليلاً جديدًا على أن الله قد ولي عليهم ملكًا صالحًا، يخاف الله ويخشاه ويتقيه حق تقواه، ويتمسك بأهداب الدين واستن جلالته من السنن الحميدة، التي لم تكن معروفة في غير عهده، فبعد أن كان الولاة السابقون لا يشتركون مع الشعب في الصلاة بالمساجد العامة، أصبح الناس يرون مليكهم الشاب يؤدي فريضة الجمعة، كل أسبوع في أحد المساجد من غير أبهة ولا كُلفة، حتى إنه رفض أن تفرش له سجادة خاصة ليصلي عليها، وله في ذلك عبارة مأثورة تنم عن ورعه وتقواه وهي قوله: «كلنا أمام الله سواء».

وكتب الدكتور وحيد رأفت، الأستاذ بكلية الحقوق، مقالاً عن الوضع الدستوري «للملكة» وحقوقها وامتيازاتها، فلها نصيب في المخصصات الملكية، فقد حدد القانون مخصصات البيت المالك — خلاف مخصصات جلالة الملك — بمبلغ 99 ألف جنيه، منها ستة آلاف جنيه للملكة، ولا يصرف إلَّا بعد زواج الملك، كما نصت المادة 33، من الدستور على أن «ذات الملك مصونة لا تمس»، أي أنه لا يسأل سياسيًّا ولا جنائيًّا عن أعماله، وهو ينطبق - في نظر الكاتب — على الملكة وعلى الرغم من هذه الامتيازات، فإن الملكة لا تتولى ولا تباشر أية سلطة دستورية، إذ أن حقوق التاج وسلطانه مركزة في شخص الملك ذاته، ولكن مع ذلك يخطئ، من يظن أن الملكة لا تمثل دورًا، أو أنها لا تمثل إلَّا دورًا صغيرًا جدًّا في حياة الملك العامة، وفي حياة الدولة.

ولا يمكن إهمال الأثر الذي تتركه الملكة في حياة ولي العهد، فإن أول كلمة يسمعها في طفولته عن الوطنية، وأول درس يتلقاه في واجبات الملك الدستورية، إنما يسمعها ويتلقاها من والدته الملكة، فإذا



كانت الملكة متشبعة بحب البلاد، ميالة إلى الروح الديمقراطية، شب ولي العهد على ذلك، ولهذا أصبح الملوك يفضلون الزواج من الأسر الوطنية، تأكيدًا للصلات بين العرش والأمة، وهذا ما فعله الملك فؤاد الأول، وحذا حذوه نجله الفاروق، فهنيئًا للمصريين جميعًا، بهذا القران الملكي الديمقراطي المصري.

وتضمن العدد التذكاري بحوثًا تاريخية، عن زواج ملوك مصر منذ العصور الفرعونية، والفاطمية والمملوكية، حتى العصر الحديث، وسرد قصة زواج الملك فؤاد من الملكة نازلي، ومحل إقامة الملكتين بعد الزواج. إذ أصر الملك فاروق على أن تقيم أمه وشقيقاته مع جلالته وعروسه في قصر القبة في الجناح نفسه، الذي كان مخصصًا لهن في حياة الملك الراحل. وفي فصل الصيف ستقيم الملكتان في قصر المنتزه بالإسكندرية.

ومن حيث المظهر الخارجي للملكة، فإن الملك فاروق قرر ألَّا تشترك الملكة فريدة في الحفلات العامة، ولا تظهر إلَّا متحجبة باليشمك الأبيض اقتداء بأبيه، وكانت الملكة نازلي مسافرة أثناء الرحلة الملكية إلى أوروبا بغير حجاب، إلَّا أن الملك فاروق طلب منها العودة إلى الحجاب، محافظة منه على التقاليد الإسلامية كما فرض الحجاب على فريدة وكل شقيقاته.

وعن ثقافة الملك قالت «المصور»: إن المتصلين بجلالة الملك المعظم، أجمعوا على أن لجلالته من سعة الاطلاع وبعد النظر والإحاطة بمختلف العلوم والفنون ما يثير الدهشة ويبعث على الإعجاب، ولا ريب أن لدراسته منذ حداثته وتوافره على التحصيل دخلًا كبيرًا في ذلك، ولكن ميله الفطري للقراءة والبحث هو العامل الأكبر في هذه الإحاطة النادرة، حتى إن جلالته يقوم بنفسه بتنظيم مكتبته الخاصة بيده الكريمة، ويعمل «فيش» للكتب مرتبة حسب فنونها وحروفها الأبجدية، بحيث يستطيع في دقيقة واحدة أن يستخرج أي كتاب من الرفوف. ولا يجد غضاضة في أن يمسح بنفسه بعض ما يعلق بها من غبار. فكان بذلك خير مثل يضرب في الديمقراطية وحب العلم.

احتفال عقد القران

وفي يوم الأحد التالي، لحفل الزواج صدرت «المصور»، مزينة بكمية هائلة من صور الاحتفال بعقد القران، الذي جرى في قصر القبة، ولم يحضره سوى عدد محدود من الأمراء والنبلاء، وحاملي قلادة فؤاد الأول، ورؤساء الوزراء السابقين والوزراء، ورئيسي مجلس الشيوخ والنواب، وشيخ الأزهر، والمفتي، ورئيس المحكمة الشرعية العليا، ونقيب الأشراف، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، ومفتي الخاصة الملكية، ورئيس محكمة مصر الشرعية، وكبير المستشارين الملكيين ورئيس محكمة النقض والإبرام، وقد جلسوا في القاعات الكبرى، وتلا الشيخ المراغي صيغة العقد، ثم وقع الملك بإمضائه الكريم، على



ثلاث نسخ من العقد، تسلم واحدة منها رئيس الديوان، والأخرى يوسف ذو الفقار باشا، والد الملكة، والثالثة رئيس محكمة مصر الشرعية، وكان وكيل جلالة الملكة والدها، وشاهدي العقد علي ماهر باشا، وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء. وعندئذ أطلقت المدفعية مائة طلقة وطلقة، وحلق سرب من الطائرات فوق القصر، وصافح الملك جميع الحاضرين، الذين غادروا القصر، وقد حمل كل منهم علبة الملبس التذكارية، وهي مصنوعة من الذهب الخالص ومحلاة بنقوش بديعة وعليها الحرفان «ف» وبداخلها بطاقة باسم صاحبها. وبلغ عدد العلب مائة علبة ثمن الواحدة منها مائة جنيه. وفاز أصحاب الفضيلة العليا، بشيلان جميلة من الكشمير وكان شال المراغي مزركشاً باسم فضيلته.

ابن الملكة نازلي

وكانت الملكة فريدة، أثناء كتابة العقد موجودة في قصر القبة، إذ غادرت القصر الذي استأجره لها الملك في مصر الجديدة، لإقامتها أثناء فترة الخطبة، في الصباح، وبرفقتها الأميرة نعمت مختار «عمة الملك». وجلست في قصر القبة مع الملكة نازلي وبناتها، إلى أن تم العقد فعادت إلى مقرها المؤقت في مصر الجديدة، كي ترتدي ثوب الزفاف، ثم عادت إلى القبة في الساعة الخامسة مساء، ومعها الأميرة نعمت مختار، حتى إذا بلغت جناح الحرملك، وجدت الملك في انتظارها عند الدرجة الأولى من سلم السلاملك، مرتديًا بذلة التشريفة الكبرى يحيط به كبار رجال البلاط، وأقبلت الملكة نازلي فقبلا يدها الكريمة. ووضعت جلالتها قبلتين على خديهما، وكانت الملكة فريدة ترتدي ثوبًا أبيض مزركشًا بالفضة، صنع في محل «وورث» بباريس، وطرحة من التل الأبيض المزركش بالفضة. ووضعت على رأسها التاج الثمين الذي أهداه إليها الملك، وللفستان ذيل طوله خمسة أمتار، وقد حمله أربعة أطفال هم: شريف ذو الفقار، شقيق الملكة، وكريمة شريف باشا صبري، وكريمة محمود بك سعيد، وكريمة حسين باشا سري، وسار الملك والملكة يتقدمهما اللواء عمر بك فتحي كبير الياوران، ويتبعهما جميع أمراء وأميرات البيت المالك، وأعضاء أسرة الملك نازلي، حتى انتهوا إلى السرادق الفخم الذي أعد لحفلة الشاي، والسرادق عبارة عن «كوشة» كبيرة تتسع لجلوس العروسين ومعهما جميع الحاضرين، وهي مصنوعة من خشب الأبلاكاش المغطى بالحرير الأخضر والأبيض، تزينه رسوم يدوية ونقوش عربية. وانتشرت الموائد على شكل حدوة حصان، وتصدر الملك المائدة الرئيسية وجلست عن يمينه الملكة نازلي فالأمير محمد علي، وعن يساره الملكة فريدة.

وكان طهاة القصر قد أعدوا كعكة العرس «التورتة»، قطرها متران وارتفاعها خمسة أمتار، وقامت الملكة بقطعها وساعدها الملك، في حين كانت موسيقى الحرس تعزف قطعة مارش الزواج، ثم تحرك



الجميع من الكوشة نحو البحيرة الجميلة، وسط الحديقة التي ازدانت بأحسن الزينات، ثم صافح جميع المدعوين وانصرفوا، وصعد الملك ومعه الملكة فريدة والملكة نازلي والأميرات إلى جناحه الخاص بالقصر، حيث تناولوا طعام العشاء بدون نازلي لأنها تتبع نظامًا خاصًا في الطعام.

وفى ختام هذا التقرير الصحفي قالت «المصور»: إن جلالة الملك لازم نشاطه المعتاد، واتبع برنامجه اليومي الأصلي حتى ليلة زفافه وصباحها، إذ استيقظ جلالته يوم «الصباحية» في السادسة صباحًا. وكذلك الملكة فريدة. وإن جلالته رد على أماني أحد الأمراء له بالسعادة قائلاً: سعادتي الحقيقية هي في سعادة أمتي، ثم التفت إلى عروسه وقال: موش كده ولا إيه؟ فأجابت من فورها: وستكون سعيدة بك إن شاء الله.



تورتة عُرس زفاف الملكة فريدة يتم
إعدادها قبل مراسم العُرس الملكي



طلاب الأزهر وشيخ الأزهر

وفي الصفحات التالية نشرت «المصور»، صور طلاب الأزهر والمعاهد الدينية، وعلى رأسهم الشيخ المراغي وشيوخ الكليات والمعاهد. وقد قصدوا قصر عابدين لإظهار ولائهم لجلالة الملك، والإعراب عن ابتهاجهم بزواجه السعيد، بينما ناب شيخ الأزهر عن هذه الألوف المؤلفة، في رفع شعائر الولاء لجلالته. وقد تفضل جلالته فأطل عليهم من شرفة القصر وحياهم برفع يده الكريمة وهو يبتسم، وعلى جانبه الشيخ المراغي وعلي ماهر، وفي المساء أقامت مشيخة الأزهر حفلة رائعة حيث ألقى المراغي خطابًا قيمًا ختمه بالدعاء لجلالته.

وتحت عنوان «أمة في مهرجان»، خصصت «المصور» عدة صفحات لتغطية الاحتفالات الشعبية والرسمية، التي أقيمت في جميع أنحاء البلاد. وقالت: إن هذه العبارة الموجزة هي أصدق وأبلغ ما يمكن أن يصف به الإنسان ما تجلى في حفلات القران الملكي السعيد من بهاء وروعة، لم تشهد مصر لها مثيلًا من قبل. فقد بدت القاهرة في أبهى حلاها. ولبست الشوارع ودور الوزارات والمصالح ومنازل الكبراء والعظماء، ودور الأعمال وواجهات المصانع والمتاجر كبيرها وصغيرها، مصرية وأجنبية، أزهى ما يمكن أن تقع عليه العين من ضفائر الورود والأزهار، تتخللها الأعلام والثريات الكهربائية بأنوارها المتألقة، وقد صفت بشكل بديع، فتكون منها اسم جلالة الملك تارة، والتاج الملكي تارة أخرى، في أحرف من نور، كما زينت السيارات وعربات الترام بأعلام صغيرة، تحيط بها الرياحين والزهور، وفرشت الشوارع الكبرى بالرمل الأصفر، وأقيمت عليها أقواس النصر. ودلفت الجماهير الحاشدة من كل صوب، وأقبل المصريون على اختلاف طبقاتهم يمتعون أنفسهم بهذا العيد السعيد، ويشتركون بنصيبهم في هذا الفرح القومي النادر والمهرجان الكلي العظيم.

وفي غمرة الفرح القومي والمهرجان العظيم، أصدر الملك فاروق مرسومًا بحل البرلمان، وبدأت الجماهير تستعد للمعركة الانتخابية، واشتعلت نار الصراعات الحزبية، ودخلت البلاد في طور جديد سيطرت عليه الأحزاب الموالية للقصر، إلى أن ضرب السفير البريطاني – مايلز لامبسون – ضربته المهينة للملك المغرور يوم 4 من فبراير 1942.



ليس دفاعًا عن الملكة فريدة

محمد جلال

لا تحتاج الملكة فريدة لأن ندافع عنها، لأن الشعب المصري دافع عنها عندما ظلمها فاروق بنزواته النسائية، التي لا تليق بملك مصر، ووضعها في قلبه.

لقد كانت فريدة أول ثورة على القصر.

ولذا عندما خرجت من القصر وتركت أبهة الحكم، هتفنا لها في الشوارع والميادين: خرجت الطاهرة من بيت الدعارة، وأذكر أنني اشتركت مع عشرات الطلاب من جامعة فؤاد، عندما كنت طالبًا بالحقوق في كتابة هذا الشعار على الأرض، أمام حرم الجامعة لنجيء في الصباح لنجدهم قد مسحوه لنكتبه من جديد.

لقد كانت فريدة رمزًا للمصريين.. وأقاموا لها تمثالاً في قلوبهم.



أنف« شامخ» ، وحاجبان
يتوجان الشَّمْسَ،وعينان رأتا
أكثر مما ينبغي لملكة في
وجهها نَظَر



لذا انزعجت غاية الانزعاج، بل حزنت وأنا أقرأ ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل، في الجزء الأول من كتابه الأخير، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، من أن الملكة فريدة.. ملكة مصر قد خانت زوجها مع وحيد يسري باشا، ثم مع الرسام البريطاني سيمون الويز الذي دخل القصر بأمر الملك ليرسمها.

ما هذا يا أستاذنا؟

لماذا تهدم تمثال الطهارة عند المصريين؟

المعروف أن فاروق حاول الانتقام من فريدة، باختلاق هذه الأكذوبة الخاصة بوحيد يسري، ولقد قالت فريدة للمستشار فاروق هاشم، وهي تروي أسرار الحب والحكم والتي نشرت في كتاب «فريدة ملكة مصر»: لقد استغل فاروق زيارة الملكة للأميرة سميحة حسين زوجة الأمير وحيد يسري، والتي كانت تجد لديها الحنان والعطف، فاختلق علاقتها العاطفية بوحيد يسري، انتقامًا منها وراحت ترددها جوقة الملك الفاسدة لتشويه سمعتها، لتجيء مذكرات اللورد كيلرن الإنجليزي - بعد ذلك - لتقول: إن هناك علاقة بين فريدة والفنان الذي رسم الملكة بأمر الملك.

هل يصدق عقل هذا؟

تقيم ملكة مصر الثائرة على فساد فاروق، علاقة مع رسام يرسمها بأمر الملك.. هل هذا يعقل؟

وأين الوثيقة التاريخية التي تؤكد هذا يا كاتبنا الكبير؟

هل تكفي شهادة اللورد كيلرن .. والتاريخ يعرف من هو؟

بلا شك في أنها شهادة مطعون في صحتها لأنها من استعماري، والملكة كانت على عداوة شديدة مع الاستعمار البريطاني، والمنطق يقول: إنه بعد تحرر الملكة من قيود الزواج والقصر يجب أن تنطلق إذا كانت تخون، ولكن الذي حدث، أنها أصبحت أكثر تزمتًا، أعلنت أن حبها الوحيد هو فاروق.

ورفضت أن تتزوج غيره وصامت عن الرجال.

ويقول كتاب: فريدة ملكة مصر على لسان الملكة: لقد تقدم لي أسماء وشخصيات عظيمة. ولكني كنت أعتذر وأقول: لقد تزوجت الملك ولم أوفق، ومن تتزوج الملك.. من الصعب عليها أن تتزوج شخصًا آخر.

من أين تعيش الملكة؟

تكشف موهبتها الفنية، وتدخل مرسمها في شقتها المتواضعة في باريس، وترسم وتقيم المعارض، وتبيع أشواقًا لمصر في لوحات، وتأكل من ثمنها.

المرأة التي تفعل هذا لا يمكن أن تخون زوجها الذي أحبته حتى لو خانها ألف مرة؟

وأذكر أنني قد التقيت بها في أول زيارة قامت بها لمصر، بعد رحيلها في بدايات الثورة.. وكان اللقاء في قرية الحرانية في بيت الفنان الخزاف محيي حسين وكان فاروق حسني – قبل أن يكون وزيرًا–



حاضرًا ودار الحديث حول شراء قطعة أرض لإقامة مرسم، فتحمست الملكة فريدة وقالت: إن حلمها هو أن تملك مرسمًا في قرية مصرية.

ملكة مصر التي رفضت كل القصور، تحلم بأمتار في قرية مصرية، ونرجمها بعد ذلك بالخيانة بعد رحيلها.

أليست أبشع خيانة أن نسمح لانتقام فاروق الفاسد، وشهادة فاسدة للورد كيلرن الاستعماري راقدة في جب التاريخ، ورغبة الفرقعة الصحفية، لأن تلطخ سمعة أول ثورة على القصر، وقد رحلت صاحبتها عن ديارنا.

لذا أقول مع كل المصريين، الذين أحبوها كرمز للعفة والطهارة: لا.. وأقول نعم: أنا مع محمد عوده الذي يقول: إن تشويه صورة الملكة فريدة محاولة لتجميل وجه الملك فاروق.

وما قاله د. يونان لبيب من أن هيكل لم يحقق الوثيقة البريطانية واستخدمها ليحدث فرقعة. وأن الاعتماد على الشائعات في التاريخ، يضعنا بجوار اعتماد خورشيد كما يقول الدكتور عبد الوهاب بكر.

وأختم كلمتي بما قاله الدكتور عبد العظيم رمضان، الذي قال عن الملكة فريدة: إنها ملتزمة أخلاقيًا إلى حد التزمت، ولو كانت متحررة لقبلت بعلاقات الملك المتعددة، ولكنها لم تحتمل الحياة في القصر، وضحت بالعرش وجاه الملك.

وأقول أخيرًا: وكانت طليعة الثوار، لذا أقام لها المصريون تمثالاً في قلوبهم، ولن يسمحوا لأحد بهدمه.



قصة بيت الملكة السابقة فريدة *

علي نور الدين نصَّار

المهندس المعماري

جاء في «فكرة» حديث للملكة السابقة فريدة معكم، حيث أثارت موضوع مسكنها الذي حرمت منه إلى جانب مشكلاتها الأخرى...

ونظرًا لما تتمتع به الملكة السابقة فريدة من احترام وتقدير، بين أفراد الشعب المصري، ونظرًا للعلاقة التي ربطتني بها، إذ أسندت إلي بعد افتراقها عن الملك فاروق مشروع إنشاء الفيلا الخاصة بها في شارع الأهرام، لذلك رأيت أن أضيف بعض المعلومات التي قد تساعد نحو إعادة بعض الحق، إلى هذه السيدة العظيمة:

عند صدور قرار مصادرة أملاك أسرة محمد علي، نص القرار على «احتفاظ» الخاضعين للقرار كل بمسكن خاص، لا يخضع للمصادرة .. وفي هذا الوقت، لم يكن للملكة السابقة فريدة سكن تملكه، وكانت الفيلا تحت الإنشاء، وقد تصادف في يونيو 1952، أن طلبتني قبل سفرها إلى الإسكندرية لتمضية أشهر الصيف، وطلبت منِّي فتح حساب خاص بالأموال المتبقية لديها لتشطيب الفيلا، وكان لي حق الصرف مباشرة من هذا الحساب لدفع حسابات المقاولين.

فلما جاءت الثورة بعد ذلك ببضعة أسابيع، وصدرت قوانين المصادرة طلبت منِّي أن أبلغ السلطات بالمبالغ التي عندي لحسابها، وقد حررت خطابًا للرئيس جمال عبد الناصر (ولم يكن رئيسًا بعد..) شرحت فيه ظروف الإنشاء، وأن هذه الفيلا ستكون هي المسكن الوحيد الذي تملكه الملكة السابقة فريدة.

وتلقيت بعد أيام قليلة خطابًا بتوقيع وكيل وزارة المالية، في هذا الوقت «عبد الشافي باشا عبد المتعال» يخطرني فيه بقرار استمرار إنشاء الفيلا، والسماح بالصرف من المبالغ المخصصة لذلك تحت مسئوليتي الشخصية منفردًا.

وقد تم فعلاً إنشاء الفيلا، وسكنتها الملكة السابقة لأشهر معدودة، ولكن مواردها من الحراسة لم تسمح لها بالإنفاق على هذا المسكن الكبير (93 جنيهًا شهريًا) فأغلقتها وسافرت إلى بناتها في الخارج.

---

* هذه الرسالة - الوثيقة كان أرسلها المهندس المعماري علي نور الدين نصَّار إلى الكاتب مصطفى أمين ردًّا على ما نشره في عموده اليومي «فكرة» الذي كان يكتبه في جريدة الأخبار، ونُشِرَت في جريدة الأخبار بتاريخ 12/2/1986 ميلادية.



لذلك فمن المؤكد أن الفيلا لم تصادر، ولكن الحراسة بالرغم من ذلك استولت عليها، في غياب صاحبتها وباعتها لأحد شيوخ «قطر» بمبلغ قيل لي: إنه 80 ألف جنيه استرليني، وهو مبلغ يقل كثيرًا عن ثمن الفيلا والأرض والمفروشات داخلها.

ولعل في هذا ما يوضح أن في عنق الدولة دينًا لهذا السيدة.

أرجو أن أذكر واقعة أخرى لها مدلول عميق، عندما بدأت لجان التفتيش والمصادرة عملها مع أفراد أسرة محمد علي، اتصل بي أحد المسئولين عن هذه اللجان، وطلب مني أن أحدد لهم موعدًا مع الملكة السابقة فريدة، لتسلم المجوهرات الخاصة بها.. دون اتخاذ أية صورة من صور التفتيش، وفعلاً تحدد ميعاد زيارة اللجنة، وقابلتهم في «صالون» منزلها المؤجر، وجلسوا يشربون القهوة، وتسلموا منها صندوقًا بالمجوهرات الخاصة بها وانصرفوا.

وفي اليوم التالي اتصلت بي الملكة السابقة وقالت: إنها عثرت بعد انصراف اللجنة على قطعة مجوهرات في أحد الصناديق، وأنها تطلب منّي الاتصال باللجنة لإرسال من يتسلمها، وأصرت على ذلك، وقد كان لها ما أرادت.

في الاجتماع الأخير.. لمجلس الثورة في صيف 1956... أخبرني المرحوم جمال سالم قبل الاجتماع، بأنه اتفق مع الرئيس عبد الناصر على تسوية حالة الملكة السابقة فريدة، ولكن المحزن أن بعض الصراعات القائمة في هذا الوقت تسببت في موقف عنيد فشلت بسببه هذه التسوية.

هذه بعض الحقائق.. لعل سردها في الوقت الحالي، يساعد الدولة على أن تتخذ قرارًا يعيد «بعض» الحق إلى صاحبته، ولعل أضعف الإيمان أن تسدد الدولة لها قيمة المسكن الذي باعته دون وجه حق، حتى توفر لها بهذا الثمن مسكنًا يتفق مع الماضي المشرف الذي عاشته، والذي تمثل في سلوكها سواء الخاص أو العام، وحتى نمحو بعض آثار الظلم الذي تعرضت له.



مصطفى أمين *
يكتب قصة الصورة

الحلاوة السمسمية تصل على الطائرة الهولندية!!

أول صورة لفريدة بعد أن فشلت صحافة العالم 11 عامًا في تصويرها

حصلت «الأخبار» على أول صور لفريدة بعد 11 سنة، رفضت فيها التصوير. فشل جميع مصوري العالم، ووكالات الأنباء في الحصول على صورة واحدة لفريدة.

رفضت كل العروض. اختفت من المصورين. هربت من الصحفيين. نزلت في الفنادق بأسماء مستعارة. كانت تخفي مواعيد سفرها وانتقالها حتى عن أقرب الناس إليها.

ولكن الأخبار استطاعت أن تحصل على 72 صورة لها! استمرت محاولة صحافة العالم لآخر مرة ستين يومًا كاملة، وهي الفترة التي أمضتها فريدة بين إيطاليا وسويسرا حتى عادت أول أمس.

فشلت صحافة العالم ونجحت محاولة الأخبار. مصطفى أمين يكتب لك قصة الصورة التي اشتركت في الحصول عليها مكاتب الأخبار في روما وجينيف.

سوق بسرعة

حرصت فريدة على ألّا تتحدث عن أي شيء عن الرحلة في أرض المطار. كان الحديث الوحيد الذي دار بينها وبين والدتها عن الصحة. وقالت فريدة: إن صحتها كويسة وأنا مسرورة وسعيدة.

وقبل أن تصل فريدة إلى استراحة كبار الزوار، كان السكرتير قد استنجد بالبوليس لمنع التصوير. ودخلت فريدة إلى الاستراحة فتجمع الجمهور حول الاستراحة ليشاهدها، وامتلأت نوافذ الاستراحة الزجاجية بالناس. وأمرت فريدة بإطفاء النور حتى لا يراها أحد، ووضعت حرسًا على الحجرة حتى لا يدخل أحد. وبقيت في الاستراحة 7 دقائق، حتى انتهت إجراءات الجوازات. كان يجلس على يمينها والدها وعلى يسارها والدتها. وكان الحديث يدور همسًا لا يسمعه أحد.

وخلعت فريدة البالطو الذي كانت ترتديه، لقد اختارت بالطو أسود حتى لا يظهر في الظلام في أرض المطار، ولم تكن تعلم بالمفاجأة.

---

* مصطفى أمين - جريدة الأخبار - القاهرة - 22/10/1957م.



وخرجت فريدة من حجرة كبار الزائرين بدون بالطو. كانت لأول مرة تظهر في النور، وجهها أبيض بياضًا غير عادي. تضع كمية قليلة جدًا من الروج على شفتيها، أما وجهها فبدون تواليت، وتلبس عقدًا من اللولي وبروش ألماظ، وزنها زاد أكثر من عشرة كيلو جرامات، وخلال الدقيقة التي سارت فيها فريدة من الحجرة إلى السيارة، كان صوت السكرتير لا ينقطع أرجوكم.. كفاية صور.. بس يا أستاذ.. أرجوكم.. انتم جيتوا إزاي.. عرفتم منين.

وكانت فريدة ثائرة على التصوير، ولكنها تخفي ثورتها تحت ستار جامد من وجهها. إذا رأت أحد المصورين يضبط آلة التصوير وضعت على فمها ابتسامة صغيرة، وبعد الصورة تظهر على وجهها ثورة شديدة مدة ثوان، ثم تختفي لتحل محلها ابتسامة صغيرة، كانت كشاشة السينما ، يتغير منظر وجهها خلال ثوان، وعندما وصلت إلى السيارة، كانت الثورة أكبر من أن تكتمها، فالتفتت إلى المصورين وقالت: «كفاية تصوير».. ثم التفتت إلى السائق وقالت: سوق بسرعة.

وهنا حدثت لخمة.. إن رغبة السائق في الإسراع جعلته يتأخر.. ووالدتها ووالدها صعدا بجوارها إلى السيارة ببطء، وآلات التصوير تسجل كل ثانية. ويبدو أن فريدة أعجبت أخيرًا بالمفاجأة، أعجبها إصرار المصورين على التصوير، فابتسمت في آخر دقيقة، ابتسمت ابتسامة حقيقية لا مجرد تمثيل، وكانت الصورة الوحيدة التي سجلتها «الأخبار» لفريدة وهي تبتسم بصحيح!!

وأسرعت إلى التليفون واتصلت بـ «الأخبار» وقلت لها جملة واحدة: وصلت الحلاوة السمسمية إلى مطار القاهرة!

ودارت مطابع «الأخبار»، تحمل دون صحف العالم كلها نبأ وصول فريدة!

وبحثنا عن زميلنا المكلف بأن يحكي للمصور المنافس "الحواديت"! دون أن يعرف بوصول فريدة! وكانت هذه «الحواديت» جزءًا مهمًا من النصر الصحفي!



فكرة (1)

روى لي المهندس علي نصار، أنه عندما أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بمصادرة أملاك أسرة محمد علي، اختير ليكون عضوًا في اللجنة التي تصادر أموال الملكة فريدة. واتصل بها هاتفيًا وحددت للجنة موعدًا.

وذهبوا إليها فوجدوها قد جمعت كل مجوهراتها في حقيبة صغيرة، وسلمتها لهم، ولم تعترض لأنها لم تعد من أسرة محمد علي بعد أن طلقها زوجها، ولم تعترض أن بعض مجوهراتها هي من أسرتها أو هدية من جدتها حرم محمد سعيد باشا رئيس وزراء مصر السابق.

وفي اليوم التالي اتصلت فريدة هاتفيًا بالمهندس علي نصار، وقالت إنها كانت تبحث في دولابها فعثرت على سوار مرصع بالماس، لم تره وهي تجمع مجوهراتها لتسلمها للجنة، وطلبت منه أن يحضر لتسلم السوار وكان ثمنه عدة ألوف من الجنيهات!

ويومها دهش أعضاء مجلس الثورة من موقفها النبيل، وقال جمال سالم: إن من رأيه استثناءها من قرار المصادرة، لأنها ليست من الأسرة الحاكمة، ولكن توالت الأحداث بعد ذلك ونسى مجلس الثورة اقتراح جمال سالم.

وكان أكثر ما يؤلم فريدة حرمانها من بناتها، وقد عاشت بعيدة عنهن سنوات طويلة، ثم طلبت من علي أمين أن يكتب لها خطابًا للرئيس جمال عبد الناصر، يطلب منه أن يسمح لها بالسفر إلى الخارج لتكون بجوار بناتها اللاتي أصبحن في سن الزواج، ويحتجن إلى رعاية أمهن. وتأثر عبد الناصر من صيغة الخطاب ووافق على سفر فريدة إلى بناتها.

وقد كانت أصغر بناتها فادية، هي أقرب بناتها إلى قلبها، وضاعف من قربها أن فادية كانت مريضة بمرض خطير، وأن حالتها المالية لم تكن متيسرة. ولم يترك فاروق شيئًا لبناته، وإنما ترك حوالي المليون جنيه لابنه أحمد فؤاد ووضع أمير موناكو قيمًا عليه.

وكان فاروق يملك حسابًا خاصًا في الأرجنتين برقم سري، وقد أبلغ عنه وعن رقمه إلياس أندراوس باشا المستشار الاقتصادي لفاروق، وتسلمت الحكومة المبلغ ولا تزال توجد في البنوك في الخارج حسابات سرية باسم فاروق، لا يعرف أحد أرقامها!

وكان فاروق يتمنى دائمًا أن يرزق بولد، وكان يصاب بصدمة كلما ولدت فريدة بنتًا. ولما رزقت الملكة فريدة بابنتها الثالثة طلب فاروق من حسن يوسف باشا، رئيس الديوان الملكي بالنيابة، أن يبحث عن اسم لابنته يبدأ بحرف الفاء.. وقدم حسن يوسف عدة أسماء فأزاحها الملك وقال «لنسميها فياسكو» أي لا شيء! وبعد ذلك قبل اسم فادية! وعندما رزق فاروق بابنه أحمد فؤاد من زوجته ناريمان،



فوجئ ببرقية من الملكة فريدة تهنئه بأن الله حقق له أمنيته وحلمه ورزقه ولدًا، وكان فاروق يظن أن ابنه سيثبت عرشه ويبعد الأمير محمد علي عن العرش وإذا بفاروق يخلع عن العرش، بعد ولادة فؤاد ببضعة أشهر.

وتقدرون وتضحك الأقدار!

برقية من صافيناز ذو الفقار هانم إلى جلالة الملك

أرسلت حضرة صاحبة العصمة صافيناز ذو الفقار هانم والدة صاحبات السمو الملكي الأميرات: فريال وفوزية وفادية، البرقية التالية إلى جلالة الملك:

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق القاهرة

إنني لسعيدة جدًا بأن أعز أمانيكم قد استجيبت، فأقدم إلى جلالتكم أخلص التهاني.

وأسأل الله أن يبارك في ولدكم، وأن يجعل منه أميرًا عظيمًا.

صافيناز ذو الفقار

فأرسل جلالة الملك إلى عصمتها البرقية التالية:

حضرة صاحبة العصمة صافيناز هانم ذو الفقار

تلقيت بغاية التأثر برقيتك البالغة الرقة، وإني إذ أشكرك خالص الشكر أبعث إليك بأوفر تمنياتي.

فاروق



فكرة (2)

أودعت ملكة مصر السابقة فريدة مبلغ 31738 جنيهًا، في المركز الرئيسي في أحد بنوك القاهرة، ومبلغ 37900 جنيه في فرع البنك بالزقازيق.

واستمر البنك يرسل لها حسابها الجاري، إلى أن سافرت إلى أوروبا عام 1963، ثم عادت إلى مصر بعد أن مكثت في أوروبا مع بناتها عشر سنوات.

وأرسلت الملكة السابقة خطابًا إلى البنك تطلب رصيدها. ولم يرد البنك على الطلب لمدة 6 أشهر. واضطرت الملكة إلى أن ترفع دعوى على البنك لتمكينها من الاطلاع على الحساب المفتوح، وأن تعرف مقدار رصيدها وحكمت المحكمة استئنافيًّا بتمكينها من الاطلاع على الرصيد.

وقال البنك: إن المبلغ صودر بناء على التعليمات. أي تعليمات؟ ومن أصدر هذه التعليمات؟ قيل: إن المبلغ صودر لأنها من الأسرة المالكة. والمبلغ أخذه جهاز المصادرة! ولكن فريدة لم تعد من الأسرة المالكة. منذ طلاقها عام 1947، وبرغم ذلك صودر في سنة 1952 كل ما تملك، حتى البيت الذي كانت تقيم فيه. والمبلغ مودع في البنك بعد المصادرة بحوالي 11 عامًا.

وقد مكث البنك يرسل لها كشف حساباتها من سنة 1958 إلى سنة 1963، وفي خلال هذه المدة لم يصادره أحد!

وقدم البنك إشكالاً في التنفيذ، ورفعت الملكة السابقة دعوى أخرى وأصدرت المحكمة حكمًا لصالحها في التنفيذ.. وانحصرت المسألة بين البنك وبين جهاز المصادرة، وقيل لنا إن البنك سوف يحل هذا الإشكال ونتمنى أن ينعقد مجلس إدارة البنك ويعيد الحق إلى صاحبته.

الملكة السابقة فريدة تعيش في شقة صغيرة من ثلاث غرف. تعيش حياة متواضعة. المعاش الذي تأخذه من الحكومة لا يكفيها في زمن الغلاء الطاحن. وهي تضطر إلى الرسم وبيع اللوحات التي ترسمها. وفي المدة الأخيرة أصيبت بأنيميا شديدة، اضطرتها للتوقف عن الرسم ومن حقها أن تحصل على المبلغ الذي أودعته في البنك وعلى فوائد هذا المبلغ.

وأنا آسف أن أضطر لإثارة هذه المسألة على صفحات الصحف. فليس من اللائق أن تعامل الملكة السابقة هذه المعاملة. يكفي أننا صادرنا أملاكها وهي مطلقة منه، ويكفي أنه بعد أن صادرت لجنة المصادرة كل مجوهراتها اتصلت بها فريدة، وقالت أنا عثرت على قطعة مجوهرات ثمينة نسوا أن يصادروها، وسلمتها لهم.

يكفي أنها حافظت على كرامة مصر وهي ملكة، ثم وهي مطلقة، تعيش في أوروبا، ثم وهي تعيش في مصر ترسم اللوحات بيدها لتعيش!

أتمنى لو أن مجلس إدارة هذا البنك، اجتمع غدًا وصحح هذا الخطأ الواضح، وبذلك يحافظ على كرامته وكرامة مصر.



فكرة (3)

زرت ملكة مصر السابقة فريدة في بيتها لمشاهدة لوحاتها الأخيرة. وكانت قد انقطعت عن الرسم بضعة أشهر بسبب مرضها. وعندما دخلت من الباب قالت الملكة السابقة: إني في مثل هذه الساعة تقريبًا منذ خمسين عامًا كنت أحتفل بزفافي. وابتسمت ابتسامة حزينة. ولعلها تذكرت هذه اللحظة السعيدة التي لم تستمر طويلاً، ونظرت إلى ساعتي فوجدتها السادسة بعد ظهر يوم الأربعاء 20 من يناير سنة 1988.

وعدت بذاكرتي خمسين سنة إلى الوراء، كان ذلك في قصر القبة، في الساعة الخامسة والربع بعد ظهر الخميس 20 من يناير سنة 1938، كانت ترتدي ثوبًا مزركشًا بالفضة صنع في محلات «وورث» أكبر خياطة في باريس، وتضع على رأسها طرحة من التل الأبيض المزركش بالفضة، وكان فوق الطرحة تاجها المرصع بالماس والزمرد والياقوت، وللفستان ذيل يبلغ طوله خمسة أمتار، يحمله أربعة أطفال أذكر أن أحدهم كان شقيقها شريف ذو الفقار، وكان عمره يومئذ ثماني سنوات، وعمرها 16 سنة. رائعة الجمال. مليئة بالحيوية والأحلام، تخطو بخطوات ثابتة وتحمل في يديها مروحة بيضاء كبيرة من ريش النعام، وكان قصر القبة مزينًا بالثريات الكهربائية المختلفة الألوان، حتى الأشجار وممرات الحديقة، كانت الموسيقى تعزف والزغاريد تنطلق، والشوارع تحتفل بابنة الشعب التي أصبحت ملكة.

وتطلعت إلى وجه ملكة مصر السابقة، التي كنت أجلس أمامها، كان على رأسها تاج من الشعر الأبيض، ترتدي بنطلونًا أسود وجاكتة بيضاء، الشقة بسيطة.. الأثاث متواضع.. الجدران مغطاة باللوحات التي رسمتها، إنها تحب لوحاتها كأنها أعز صديقاتها، تحزن عندما تفارقها، ولكن تضطر أن تبيعها لتعيش، لم أسمعها تشكو أو تتبرم من حالها، بل كانت تحمد الله وتقول المهم الصحة، ولكن صحتها في المدة الأخيرة أصابها الوهن، ولاحظت أن أغلب رسوماتها كانت عن النيل فهي عاشقة مغرمة بهذا النهر الخالد، واستوقفني أن خطوط اللوحات تبدو حزينة وكأنها رُسمت بالدموع بدل الألوان، ولم أشعر بأنها في وحدتها تشعر بالشوق إلى الماضي.

أحسست بأنها تشتاق إلى بناتها الثلاث اللاتي حُرمن من الحياة معها سنوات طويلة.

سألتها عن بيتها الجميل في شارع الهرم، قالت إن الحراسة استولت عليه وباعته لأمير قطري، ووعدتها عند سفرها إلى الخارج عام 1963، أن ترسل لها الثمن في أوروبا ولم ترسل لها مليمًا بل قطعت معاشها.

ونظرت إلى الكرسي المتواضع الذي كانت تجلس عليه، وتذكرت الكوشة الكبيرة التي كانت تجلس فيها في مثل هذا اليوم من خمسين عامًا، وقد أقيمت في سرادق في حديقة قصر القبة، وكان طول الكوشة 23 مترًا، وهي مصنوعة من خشب الأبلاكاش المغطى من الداخل والخارج بالحرير الأخضر والأبيض، تزينه رسوم يدوية وتعلوه فراشة ذهبية.

ولم تقل لي كلمة واحدة عن الماضي. لقد أصبح صولجانها هو الفرشاة التي ترسم بها، وأصبح عرشها هو المقعد الذي تجلس فوقه لترسم لوحاتها، وأصبحت حاشيتها هي النهر الذي تحبه وترسمه.



فكرة (4)

اتصلت بي الملكة السابقة فريدة هاتفيًا وقالت لي: إن بعض الصحف نشرت أنها تبرعت بجميع دخل المعرض الذي تقيمه في فندق مريديان لتسديد ديون مصر. وأنه كان يسعدها كثيرًا أن تفعل ذلك، لولا أنها تعيش على دخلها من بيع الصور واللوحات التي ترسمها، وقالت لي: إنها لا تملك شيئًا، وإنها على الرغم من طلاقها من المرحوم الملك السابق فاروق، وبالرغم من أنها لم تعد من الأسرة المالكة منذ طلاقها عام 1948، فإن البيت الذي كانت تقيم فيه في شارع الهرم قد صودر، وكذلك كل ما تملك من أموال وعقار، وأنها تقيم الآن في القاهرة في شقة صغيرة من ثلاث غرف، ولولا هذه الظروف التي تحيط بها، لما ترددت لحظة واحدة أن تدفع كل ما تملك من أجل تسديد ديون مصر، وأضافت أن كل الذي قالته إنها على استعداد أن تهدي إحدى اللوحات التي رسمتها، لتقوم بنصيب متواضع جدًّا في تسديد ديون مصر، وإنها لا تريد أن تغش أبناء وطنها فتسكت على خبر يقول: إنها تبرعت بكل دخل معرضها بينما هذا يخالف الواقع.

وزرت الملكة السابقة في شقتها الصغيرة المتواضعة، في الطابق الثالث في عمارة بإحدى ضواحي القاهرة. تقيم معها والدتها السيدة زينب ذو الفقار ابنة محمد سعيد باشا، الذي كان رئيسًا لوزارة مصر عدة مرات، ثم وزيرًا للمعارف والحقانية في وزارة سعد زغلول. قلت لها: أتذكرين آخر مرة قابلتك فيها كان ذلك منذ 45 سنة! قالت: نعم في الأقصر في فندق وينتر بلاس. ودهشت لقوة ذاكرتها، وأنها برغم الأحداث والمحن التي مرت بها، لا تزال تذكر كل تفاصيل الأيام التي عاشتها في مصر. وقالت لي: إنها تحب مصر وشعرت بعذاب ومرارة عندما اضطرت للبعد عنها، وإنها اعتادت أن تحضر إلى مصر ستة أشهر كل عام، وتضطر لتمضية ستة أشهر في فرنسا وسويسرا حيث توجد بناتها وأحفادها، وذكرت أن الحياة في باريس غالية جدًّا، ولا تستطيع أن تتحمل تكاليف الحياة فيها.

ورأيت بعض الصور الجميلة التي رسمتها بيدها، والتي ستعرضها في معرضها الذي سيقام في 11 من فبراير، ويستمر لمدة أسبوعين، وسألتها إن كانت هذه الرسوم تمثل مواقع معينة؟ فقالت: إنها كلها مستوحاة من مصر، وإنها قامت برحلة في النيل مع بناتها من القاهرة إلى أسوان، وهي ترسم الصور من خيالها متأثرة بجمال ما رأته في الرحلة من مناظر رائعة. إنها تعلمت الرسم لتخرج الآلام المحبوسة في قلبها، كانت تريد أن تصرخ فجاءت رسومها لتعبر عن دموع حبستها وآهات كتمتها. إنها بقيت عشر سنوات داخل بيتها، ثم حُرمت خمس سنوات من بناتها مصدر سعادتها الوحيد، ومكثت خمس سنوات تحاول الحصول على تأشيرة خروج من مصر لترى بناتها الصغيرات. ولجأت إلى زكريا محيي الدين. وأحيلت إلى لجنة طبية، وقالت اللجنة: إنها تحتاج إلى السفر لعلاج أعصابها، كانت هذه السنوات أسوأ سنوات عمرها، وقد رأيتها وفرشاة الرسم في يدها، وعيناها تبتسمان ببريقهما المعتاد، وفي صوتها بعض الدموع، وأعتقد أن الرسم هو الذي أنقذ حياتها.



فكرة (5)

وأخيرًا ماتت الملكة فريدة، هذه السيدة التي عاشت سنواتها الأولى ملكة، وعاشت سنواتها الأخيرة فقيرة لا تجد ثمن الدواء. عرفتها وهي تجلس على العرش وتبكي، ورأيتها وهي تجلس على الأرض وتضحك!

إنها قصة غريبة عن بنت صغيرة من الشعب، وجدت نفسها فجأة ملكة على مصر، وفوق رأسها تاج مرصع بالماس والزمرد والياقوت. ولم تستمر سعادتها سوى سنوات قليلة، ثم أحست بأن القصر الذي تقيم فيه هو سجن، وأن التاج الذي على رأسها يسبب لها الصداع، وأن الهيل والهيلمان الذي تستمتع به هو عذاب الجحيم.

قالت لي فريدة: إنها في وقت من الأوقات، كانت تشعر بأنها أسعد امرأة في العالم، ثم وجدت نفسها أشقى امرأة في العالم، وقد أصرت على الطلاق لأن الغيرة كانت تقتلها من تصرفات فاروق. وكانت صغيرة السن فلم تتصور أن نهاية زواجها من الملك ستكون نهاية الملكية في مصر.

وقالت لي في أيامها الأخيرة: لو أنها عرفت هذا لتحملت العذاب الذي لم يتحمله بشر.

وتدخل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي ليمنع الطلاق، وتوقفت إجراءات الطلاق، ثم مات حسنين، وعاد الكلام عن الطلاق، وقابل النقراشي رئيس الحكومة الملكة، وحاول أن يقنعها فأبت أن تخضع لرأي رئيس الوزراء، وتدخلت السيدة هدى هانم شعراوي برجاء من فاروق، وأصرت فريدة على الطلاق، وتصور فاروق أن فريدة تريد الطلاق لتتزوج من رجل آخر. ولكنها لم تتزوج بعد فاروق إلى أن ماتت.

وكنت أزورها في شقتها في المعادي، التي تقيم فيها مع أمها المشلولة ومعها خادمة واحدة، وكانت الملكة تنظف بيدها كل صباح غرفتها، وتطهو طعامها وتصنع القهوة لضيوفها، وكانت كما تقول إنها سعيدة لأنها تأكل الآن بعرق جبينها! فقد كانت ترسم الصور وتبيعها وتعيش على هذا الدخل البسيط، وفي العام الماضي مرضت ولم تجد ثمن علاجها. وتقدم بعض فاعلي الخير، وقدموا لها خمسين ألف جنيه، وادعوا أنها ثمن بعض رسومها، حتى لا يجرحوا مشاعرها، وقد أنفقت كل هذا المبلغ على علاجها في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. ومنذ أسبوع اتصلت بي السيدة حرم المرحوم عبد الحميد رضوان، وزير الثقافة السابق وقالت لي: إن الملكة فريدة مريضة جدًّا ولا تجد ثمن العلاج في المستشفى، واقترحت عليها أن تتصل بالسيدة سوزان قرينة رئيس الجمهورية، وأكدت لها أنها سوف تتصرف فورًا، وفعلاً اتصلت السيدة بقرينة الرئيس، التي أرسلت مندوبين ليدفعوا مصاريف مستشفى البدراوي. وكان أطباء مستشفى البدراوي قرروا أن يعالجوا فريدة مجانًا. ولكن السيدة حرم الرئيس أصرت أن تدفع



مصاريف العلاج، وكانت أول من ذهب إلى المستشفى عندما علمت بالوفاة.

وطوال هذه الأيام التي ترددت فيها على فريدة، لم تذكر كلمة واحدة سيئة ضد زوجها السابق، ولما لاحظت دهشتي قالت: لا تنس أنه والد بناتي.. وأية كلمة سيئة أقولها عنه سوف تجرح بناتي.

مصطفى أمين



امرأتان.. لا امرأة واحدة

بقلم المصور أحمد يوسف

وكتب المصور أحمد يوسف يقول: عندما نزلت فريدة من الطائرة لم أعرفها! استبعدت أن تكون هذه هي فريدة؟ مستحيل! إن آخر صورة لها في ذاكرتي هي صورتها التي التقطتها في أوائل عام 1965، كانت يومها شاحبة اللون. عصبية المزاج. تميل بشرتها إلى الاصفرار. نحيفة حتى كأنك ترى عظامها. في وجهها تجاعيد. في عينيها انطفاء. تغطي وجهها بنظارة سوداء. ملامحها جامدة. حركاتها بطيئة. يبدو عليها الأسى والحزن العميق. في تقاسيمها كآبة مستمرة. لا تبتسم. لا تضحك. لا تلتفت يمنة أو يسرة. كنت أراقبها من فوق «سقالة» قصر الأمير طلال المجاور لقصرها في الهرم أسبوعًا كاملاً، فكنت أشهدها تسير وكأنها شبح، إذا أقبل عليها والدها سلمت عليه وكأنها مريضة، تمد يدها للطبيب ليقيس درجة حرارتها! وإذا أقبلت أمها وقفت مستندة إلى المقعد وكأنها تكاد تقع. وكانت تبدو كأنها فقدت عاطفتها. امرأة محطمة. باردة الحركة. غير معتنية بملابسها. أشبه بميت يمشي.

ولكنها ما كادت تنزل من الطائرة أمس، حتى شعرت لأول وهلة بأن هذه السيدة ليست هي.

إن فريدة بدت أمس ممتلئة الوجه والجسم. هادئة حتى وهي تغضب وأنا ألتقط لها صورة. في وجهها احمرار في تقاسيمها نضارة. اختفت التجاعيد. أنيقة في ملابسها. تمشي وكأنها تجري، اتجهت إلى أهلها باشتياق. إنهم هم الذين رأيتهم من عام واحد يدخلون إلى قصرها، وكأنهم يزورون مقبرة أو ضريحًا! رأيتها تقبلهم بحرارة. تعانقهم. تبتسم لهم. كانت تسير وكأنها الحياة كلها في امرأة واحدة! كانت هي «الصورة» وكانت المرأة الأخرى هي «عفريتة الصورة».

لقد ترددت لحظة قبل أن ألتقط صورتها الأولى! إن شدة الاختلاف بين الصورة الأصلية والصورة السالبة. جعلتني لا أعرفها من وجهها. تأكدت أنها هي عندما رأيت أهلها يقبلون عليها! لو أنها كانت وحدها لما عرفتها.. ولعل هذا هو السبب في فشل جميع مصوري العالم في السنوات الماضية في أن يلتقطوا لها صورة واحدة.

ذلك لأنهم كانوا يبحثون عن الصورة «السالبة» ولم يكونوا يعرفون أن الزمن أعادها إلى أصل الصورة.



مجرد رأي حكاية ملكة *

صلاح منتصر

هل يعرف أحد قدره ونصيبه ومستقبله؟

في مايو 1937 احتفلت مصر احتفالاً حقيقيًا، بتولي فاروق عرش مصر خلفًا لوالده المتوفي فؤاد، بعد أن بلغ يوم 6 من مايو 18 سنة هجرية. وهكذا بدأ فاروق حياته الملكية بالمغالطة. فقد كان يجب أن ينتظر حتى يصل إلى 18 سنة ميلادية أي بعد 6 أشهر من توليه العرش، ولكن المحللين رأوا أن الـ 18 سنة التي جاءت في الدستور تسمح بأن تفسر بحساب السنوات على أنها هجرية.

لم يتوقف الشعب طويلاً أمام هذه المغالطة، فقد رأى في هذا الفتى الوسيم أملاً جميلاً كان يتطلع إليه. وفي ليلة من ليالي شهر أغسطس عام 37 – بعد أربعة أشهر من توليه – قاد فاروق سيارته – وكان في الإسكندرية – وذهب إلى سراي يوسف ذو الفقار، ودون إخطار سابق، كان صاحب السراي قد سافر إلى بورسعيد ليبحر منها إلى لبنان، وكانت زوجته قد خرجت هي الأخرى لسهرة في منزل أحد الأصدقاء. أما من في البيت فكانت فتاة رقيقة اسمها صافيناز، كتب عليها أن تصبح ملكة مصر بعد أن غيرت اسمها بناء على طلب فاروق إلى فريدة، كانت أم فريدة السيدة زينب ذو الفقار، من وصيفات الملكة نازلي أم فاروق، وعن طريقها تعرف بابنتها وأحبها، كما أحبت صافيناز فاروق، وكان يوم زفافهما في 20 من يناير 1938، يومًا من أسعد الأيام بالنسبة لشعب مصر، وأيضًا بالنسبة لفريدة.

ولكن لا أحد حتى الملوك يضمن المستقبل، ففي عام 49 تم طلاق فريدة بعد 11 سنة زواج وثلاث بنات: فريال، وفوزية، وفادية، مفضلة كبرياءها وكرامتها على تاج خالص من الذهب والبلاتين والألماس، فقد بدأ فاروق حياة المجون التي انتهت به مطرودًا من مصر كلها، ولم يكن أمامها أو وراءها – كما يقولون – ولهذا عاشت فريدة بعد طلاقها أيامًا صعبة مريرة، اضطرت فيها إلى اعتزال الناس لتوفير تكاليف الحياة الاجتماعية، التي تتطلبها صلاتها بهم، وفي عدد من المرات رأيتها في بيت صديق عرفته هو وزوجته أخيرًا وأمنت إليهما، ورغم الحياة القاسية التي كانت تعيشها فإنها ترفعت عن كل مطالبها، وعاشت ملكة حقيقية يسعى الناس لمعرفتها، ولا تسعى هي إلى أحد. وفي خلال هذه السنوات العجاف أفنت فريدة حياتها مع الرسم والألوان والفن، إن هناك فنانين تظلمهم شهرتهم كأشخاص، فيتصور من يسمع أنهم عشقوا الرسم، أن شهرة لوحاتهم من شهرتهم هم، لا من أصالة المشاعر

* جريدة الأهرام – 27/5/1993م.



والأنغام والأضواء التي تنطق بها لوحاتهم. وكما ظلمها فاروق ملكًا ظلمها بعض الذين سمعوا عن هوايتها للرسم، ولكن صديقة أحبتها وأخلصت لها هي السيدة لوتس عبد الكريم، قدمت شهادة إنصاف لها في مجلد فاخر، يحمل اسم الملكة فريدة، جمعت فيه فصولاً من حياتها المختلفة وعديدًا من لوحاتها التي تعبر عن فنانة أصيلة كان اسمها صافيناز. شكرًا للسيدة لوتس.. وفاءها وجهدها في هذا العمل العظيم، وتحية لذكرى امرأة من نساء مصر عاشت ملكة للكبرياء والترفع.

فريدة وَرْدَةٌ بين نساء الأسرة المالكة



الملكة فريدة ضحيتُ بنفسي مع فاروق من أجل أسـرتي *

عبد المنعم سليم

تسعة تليفونات كانت معلقة في صفين، على حائطي الممر خارج جناح الملك في قصر عابدين رفع فاروق سماعة واحد من هذه التليفونات واستدعى خادمه الخاص، وأمر: قل للجنرال فتحي أن يأتي حالاً، عندما جاء الجنرال قال الملك: سوف نذهب إلى الإسكندرية الآن، فنظر إليه الجنرال بدهشة، وعندئذ أضاف فاروق: نحن الاثنان فقط.. صعدا إلى العربة (الفاروميو) إلى الإسكندرية.

كسر فاروق الصمت المخيم عليهما قائلاً: ألا تنوي أن تسألني إلى أين؟

فأجاب الجنرال: بالرغم من أنه من الطبيعي أن يثار فضولي، يا صاحب الجلالة فإنني أحاول ألَّا أتدخل في مسائل لا تخصني.

فقال الملك: إنني ذاهب إلى أهم اجتماع في حياتي.

توقفت العربة أمام بيت صافيناز في الإسكندرية، وطرق الملك على الباب بشدة.. فتح خادم الباب، وأعلن أن القاضي والسيدة ذو الفقار ليسا في البيت، وأن صافيناز هي الوحيدة الموجودة في البيت، فأسرع فاروق جريًا فوق السلالم إلى الدور الأول، وأمام باب حجرتها وفي مواجهتها صاح الملك: هل تتزوجينني؟

احمر وجه صافيناز، وخفضت رأسها، وبعد دقيقة واحدة قالت:

- إنه شرف كبير يا صاحب الجلالة.

- إذن فإجابتك: نعم.

- نعم يا صاحب الجلالة، ولكن يجب أن تسأل أبي وأمي أولاً.

شيء واحد لا يستطيع فاروق أن يتحمله، هو: التأخير، فإذا ما قرر شيئًا يريده فإنه يريد الحصول عليه في اللحظة نفسها.

والذي حدث أن والد صافيناز كان قد ركب الباخرة في طريقه إلى بيروت منذ بضع ساعات، ولكن

---

* عبد المنعم سليم - مجلة نصف الدنيا - أعداد 72 ،71 ،70.



طالما أن الباخرة كانت ستتوقف في بورسعيد. فإن فاروق طلب مدير البوليس، وأمره بأن يترك القاضي الباخرة في بورسعيد، ويعود توًّا إلى الإسكندرية، كان هذا هو ما أمر به الملك، وبوليس بورسعيد، لأنه لم يكن يعرف السبب في هذا الاستدعاء فقد تعامل مع القاضي بطريقة غير لطيفة.

فاروق قال للجنرال فتحي: إنني أريد أن تكون أنت أول من يهنئ جلالتها، ملكة مصر في المستقبل القريب.

ومباشرة أرسل الملك يستدعي أم صافيناز، التي كانت تزور بعض الأصدقاء.

ومع الدموع والابتسامات، قذفت الأم بنفسها بين ذراعي ابنتها، وقالت: إننا نستطيع الحصول على موافقة أبيك عندما يعود من بيروت بعد ثلاثة أسابيع.

- قال الملك: ثلاثة أسابيع، إنني لن أنتظر ثلاثة أيام، يجب أن أعرف الإجابة الآن وأن تكون: نعم.

ردت الأم: ولكن يا صاحب الجلالة.. صافيناز وافقت وأنا أيضًا، سوف أرسل برقية إلى القاضي ليعود بسرعة.

- قال الملك الشاب: ليس هذا ضروريًّا.. وبإشارة من يده قال: سوف يعود الآن.. حالاً.

بعد منتصف ليلة تلك الليلة عاد فاروق إلى قصر عابدين، ومباشرة اتجه إلى جناح أمه وأيقظها، ولا تنسى الملكة الأم "نازلي" تلك الليلة.

- قال لها فاروق دون أية مقدمات: لقد اخترت صافيناز لتكون عروسي وقد قبلت ذلك، دهشت الأم ولم تكن دهشتها كبيرة، ذلك لأنها كانت تعرف قرارات ابنها، وبرغم هذا سألته: ولماذا السرعة؟

- إنني أحبها

- إنك مازلت صغيرًا.. إنني أفضل أن تنتظر حتى تبلغ الثلاثين.

- إذن فأنت ضد هذا الزواج؟

- إنني لست ضد صافيناز كفتاة، إنني أعتقد أنها بنت طيبة.. عطوف، ومناسبة تمامًا، ولكنني ضد أن تتزوج الآن بالنسبة لسنك، إن عمرك الآن سبعة عشر عامًا وعمرها خمسة عشر عامًا، وكلاكما غير صالح للزواج الآن، إنك ملك أمام شعبك، ولكن في الحقيقة إنك مازلت صبيًا في طريقه للنمو. إن الزواج هو نهاية الشباب وبداية حياة جديدة كرجل، وأنت لست رجلاً بعد. إن ذوق الصبي – بالنسبة للنساء – يتغير مئات المرات قبل أن يصل إلى مرحلة الرجولة، إنك لا تعرف شيئًا عن النساء.

ما الذي سوف يحدث لهذه البنت، الطفلة عندما تبلغ سن الرشد، وتجد أنت هناك امرأة أكثر إثارة؟

- قاطعها فاروق: ما الذي أعطاك الفكرة بأنني سوف أكون واحدًا من هؤلاء الرجال الذين يطاردون النساء؟ عندما أقرر أنني سوف أتزوجها فإنني أقرر أيضًا وفي الوقت نفسه بأنني سوف أكون مخلصًا



لها طوال حياتي، إنني أريد أن أعيش حياة نظيفة وعاقلة، بالإضافة إلى ذلك فإن شعبي قد نصحني بضرورة الزواج فورًا.

- فردت عليه: إن شعبك لا يعرفك جيِّدًا كما أعرفك أنا. إنك لم تر شيئًا بعد في هذا العالم، لقد كنت تقريبًا بمثابة سجين في القصر، في أغلب سني حياتك، إنك حتى لم تر الأهرامات إلى الآن، إن حاستي السادسة تقول لي إن هذا الزواج سوف يفشل.

- قال الملك: إنني ممتن لك لأنه ليس لديك أي اعتراض على صافيناز كشخص، وبالنسبة لمسألة الزواج فإن الأمة كلها تقبل قراري هذا، وتتمنى لي النجاح.

- فردت عليه: الأمة تريد منك أن تتزوج، لأنها تبحث عن عذر يبرر لها إقامة احتفالات، ولكنني باعتباري أمك أقول لك إنه لا يجب أن تتزوج قبل خمس سنوات على الأقل، إنني أعرف أنني لو تكلمت مع صافيناز، فإنها سوف تكون على استعداد للانتظار.

- فأجابها: لن أنتظر ولا حتى خمس دقائق، كل من حولي يريد مني أن أتزوج ما عداك أنت.

- فردت: هذا ليس كلامًا مضبوطًا، أحمد حسنين أيضًا ضد هذا الزواج.

- فرد فاروق: حسنين غبي.

- أحمد حسنين أعلن أخيرًا أنه رئيس الديوان، ولذلك فإنه يعتبر بمثابة الرجل، الذي يقدم نصيحته إلى الملك، وتحت إمرته كل العاملين في القصر، إنه في منتصف الأربعينيات، نحيف، أنيق، في أخلاقياته وحديثه وملابسه، إنه مؤلف مرموق ومكتشف، وفي البلاط المصري، فإن موقع رئيس الديوان موقع كبير طالما أن الرجل الذي يشغل هذه الوظيفة، كان رئيسًا للوزراء من قبل، والآن (سنة 1965) فإن نازلي تقول إن هذا الزواج هو أكبر غلطة في حياة فاروق، صافيناز كانت بنتًا حلوة ومستسلمة، بينما كان فاروق في حاجة إلى شخص يمكن أن يسيطر عليه، ويرشده، لقد كان أسدًا صغيرًا يتجه نحو النضج، ويحتاج إلى اليد الثقيلة لمدرب حيوان.

على أية حال فإن والد صافيناز، كان الرجل الذي يستطيع أن يشد الفرملة، إنه كان يرى — أيضًا — أن الاثنين صغيران، ولذلك رفض بطريقة مطلقة أن يوافق على الزواج إلَّا بعد سنة على الأقل.

وهكذا اضطر فاروق أن يوافق، بعد أن تجادل مع القاضي لكي يقبل وجهة نظره في المعنى الذي وراء هذا العام، وأنه يجب أن يكون الزواج بعد عام، ولكن في العام الجديد، وهكذا تحدد يوم 20 من يناير سنة 1938 ليكون موعد الزواج، وأيضًا قبل أن يبلغ فاروق الثامنة عشرة ببضعة أسابيع.

وبالنسبة لصافيناز، فإن الأسابيع الأولى لهذه الخطبة كانت سعادة رائعة، ذلك أن أحلام طفولتها في الزواج من أمير من أمراء الروايات قد تحققت، فها هو ذا الأمير، إنه طويل القامة، وسيم تمامًا مثل قصة في كتاب ملكي.



وللمحافظة على التقليد الذي سنه فؤاد، وهو الالتزام بأن يبدأ أي اسم في العائلة بحرف الفاء، لذلك قرر فاروق أن يغير اسمها الذي هو فارسي في الأصل إلى اسم فريدة، وهو اسم مصري يعني (المتفردة). ولقد أحست فريدة أن هذا الإجراء يعني أنها قد أصبحت مغزولة بطريقة أوقع في فابريقة الأسرة المالكة.

ولكن كلما كان موعد القران يقترب، كانت تحس بألاعيب غريبة في شخصيته، فعندما يصدر أمرًا يتوقع إطاعة فورية له، ويزداد غضبه حتى معها إذا سُئل في هذا الأمر. ولقد أخبرها أنه قضى وقتًا طويلاً مع خدمه الإيطاليين، لكي يتعلم كيف يعامل النساء، ولقد علموه أن الرجل الحقيقي يجب أن يكون حازمًا دائمًا مع زوجته، وأن الرجل الضعيف هو الذي يسمح لها بمناقشته، وأحد الخدم الذين يصدقهم فاروق، قص عليه أنه في ليلة شهر العسل الأولى ضرب زوجته دون سبب، ونتيجة لذلك فإنه خلال العشرين سنة من زواجه لم يستمع منها إلى كلمة واحدة تعني الرفض.

وعلى الرغم أنه من الطبيعي بالنسبة للأحباب أن يتشاجرا، وأن يصطنعا أشياء، فإن عدم التوافق الفكري هذا، ترك لدى فريدة إحساسًا حادًا بالمهانة، لأن كرامتها أصبحت تحت العدوان، وفي ليلة زواجهما فإن ملحوظة ما أشار إليها فاروق جعلها تحس أنه يتوقع منها أن تكون بمثابة خادمة له وسهلة القياد، وأن هذا ثمن تافه جدًا تدفعه لتصعد إلى سلم الملكة.



الملك فاروق كان ضحية من حوله من «الكبار»



وبرغم سنواتها النضرة. فإن فريدة كانت تمتلك شجاعة امرأة ناضجة.

- قالت له بهدوء: دعني أقول لك الآن إنني أرفض الموافقة على هذا الشكل من المعاملة، إنني لا أعرف فاروق الملك، ولكنني أعرف فاروق الرجل، والقيمة التي يتملكها فاروق في عيني المرأة التي سوف تكون زوجته، هي في كيفية معاملته لها، وليس في التاج الذي وضعه فوق رأسها.

وما حدث بعد ذلك أن فاروق غضب لكلماتها، وترك الحجرة فأصبحت وحدها، وأخذت تبكي وهي تتصور مستقبلها، وأحست أنها ربما كانت الشخص الوحيد الحزين في البلد كله.

كانت القاهرة مشتعلة بالأضواء، والناس يرقصون في الشوارع، والمرح المشع كان يخترق الهواء كفرقعات الكهرباء، ما عدا فريدة الجالسة تفكر وحدها وقلبها مملوء باليأس، ولقد حسدها العالم كله لأنه في اليوم التالي سوف تكون الملكة، ومع هذا فإن روحها كانت فارغة إلَّا من الحزن.

وأول ما فكرت فيه هو فسخ هذا الزواج بالرغم من الفضيحة التي سوف تحدث نتيجة لذلك، ولكن أباها وأمها وأخواتها رفضوا ذلك، ولأنها كانت تعرف جيِّدًا أن الانتقام كان خاصية بارزة في شخصية فاروق، فإنها خافت على مستقبل أسرتها.

ولقد قالت بعد ذلك بسنوات: لقد كنت أدخل إلى الجحيم على قدميَّ الاثنتين مضحية بنفسي من أجل أسرتي، لقد قرأت قصة جان دارك، وأحاسيسي كانت مثل أحاسيسها، عندما عرفت أنها سوف تُحرق حتى الموت في اليوم التالي.

هذا الحديث الذي جرى في ليلة الزواج سبقته أحداث أخرى: كان سلوك فاروق تجاه فريدة، عندما اقترب موعد عقد القران سلوكًا لهؤلاء الذين لم يكونوا مدركين، أنه يقاسي من عائق جسدي، لقد كان بلا تصنع مغرمًا بفريدة، ورغبته الجسدية تجاهها كانت أكبر مما يحتمل، فمنذ الطفولة كانت أية رغبة له، مهما كانت غريبة، يجب أن يستجاب لها، لم يكن هناك شيء لا يستطيع الحصول عليه، كل نزوة لابد من تحقيقها، في قصر مليء بالفتيات النديمات المهيئات لما يريد، ولكن الطبيعة كانت متقلبة، لقد وهبته قوامًا رائعًا: طوله ستة أقدام وبوصتان.. وكتفين عريضتين.. وشعرًا أسود كثيفًا، وبالأخص فوق صدره، وكان وسيمًا كآلهة الإغريق، كان كل شيء كاملاً، كان جسده جسد عملاق، ولكن إمكانياته العضوية الرجولية إمكانيات طفل، وهكذا فإن ما كان يريده من الحياة: جسد مبني بناء طبيعيًّا، ولكن لم تكن هناك أية قوة على الأرض تستطيع أن تقدم له إصلاحًا أو علاجًا، ولأن الميراث الملكي كان بصمة عليه منذ الطفولة، فإن أخلاقه الملكية عباءة لبسها بطريقة طبيعية، ولذلك، إذا ما ظهر شيء يتحدى استعلاءه أو سيطرته، مثل ذلك الإحساس المدفون بعمق في نفسه، والذي يتعلق بعقدته التي تقلل من شأنه (والتي لم يكن قد أدركها)، فإنه لا يستطيع أن يجد سلامًا لأنه يفتقد النضوج، وكذلك يفتقد الاستعداد لأن يسأل ما لا يفهمه.



إن الرجل العادي عندما يقبل على الزواج فإنه يكون ذكيًا ظريفًا، وتكون زوجته المقبلة لها اعتبار كبير في نظره، وأي رأي مضاد يمكن أن يناقش بعد الليلة الأولى، بعد أن تذهب حرارتها، وليس قبل ذلك أبدًا، وعلى أية حال فإن فاروق، عقليًا، كان يحاول أن يبعد فريدة جانبًا، وكان يقول لنفسه إنها لا تستحقه.

والآن فإن حسه الباطن كان يجسم فشله في الليلة الأولى من الزوجية، والسبب كان بسيطًا بما يكفي لاكتشافه، ولكن كان الأمر يتطلب محللاً نفسيًا ليشرح له، ومدفونًا بعمق في حسه الباطن، كان الخوف أنه سوف يثبت أنه لن يكون كما يبغي.

كانت هذه مسألة لا يستطيع أن يناقشها مع أحد، لأنه لم يكن له صديق حميم أو آخر محل ثقة، بالطبع كان هناك أنطونيو بوللي، الذي يعتبر صديقًا له، ولكن كان هذا موضوعًا لا يناقشه أحد مع خادم، وفي السنوات المتأخرة بعد ذلك استطاع أن يتعرف سر سلوكه، ولكن في ذلك الوقت كان نموذج حياته قد تثبت لدرجة أنه لم يكن هناك شيء يستطيع إنقاذه.

حفل الزواج الملكي تم في قصر القبة، الفخفخة والتشريفة والشعائر.. كانت الأشياء التي يطلبها الناس، وانهمرت الهدايا الرائعة من عواصم العالم، وفاروق بتصرفاته كرجل عادي مع جميع المسلمين، إن لم يكن مع الناس جميعًا، لم يكن يحب أكثر من أن يحصل على هدايا، أيضًا لقد حصل على تهليل الصحافة العربية، لأنه جعل حفل الزفاف حفلاً عصريًا، وفي الوقت نفسه احترم التقاليد الإسلامية.

ارتدت فريدة جونلة طويلة من الحرير الأبيض، والجزء الأسفل من وجهها غطته بحجاب (يسمح للجميع برؤية وجهها ويرضي في الوقت نفسه ما يطلبه الناس)، وقد سارت العربات من قصر هليوبوليس إلى قصر القبة، وعلى جانبي الطريق كانت التحيات والهتافات والأماني، وقد تم العقد في وجود رجل، ضيف واحد فقط، شيخ الجامع الأزهر، وكان رئيس الوزراء علي ماهر باشا ورئيس الديوان شاهدي عقد فاروق، ووالد فريدة كان يصحب ابنته، وفي النهاية وقع فاروق والملكة على نسختين من عقد الزواج، وانطلقت المدافع بمائة طلقة، و حلق سرب من الطائرات فوق القصر، كان ذلك كله بمثابة إعلان إلى الناس بأن فريدة قد أصبحت الآن ملكتهم.

أما حفل الاستقبال للرجال على الطريقة العربية، فقد أقيم في حديقة القصر، بينما الفرقة الموسيقية كانت تعزف مارش الزواج من أوبرا (لوهنجرين)، وهذه عادة إنجليزية، ثم قطع العروسان كعكة الزواج، وكهدية زواج فإن فاروق عين والد فريدة سفيرًا إلى إيران مع رتبة الباشوية.

شهر عسل فاروق تم في جناح في قصر القبة، وبالطبع كان لا يزال هناك توتر معتبر بين الزوجين، ولكن فاروق استخدم قدرته في أن يتحمل أكثر، والواقع أن أي ملك له الحق في أن يحس بالتوتر، وعندما يحس بذلك فإن من حقه أن يعبر عنه.



ورغم كل شيء فقد كان وضعه كرجل: طبيعيًّا، بدليل أن فريدة أحست بعلامات الحمل بعد شهرين.

ورغم عدم إحساس فاروق بالسعادة ومقاومته، وإحساس فريدة بالإهانة.. برغم ذلك سمحت هذه المفارقات بلحظات من الحرارة، وخلال الشهر الأول من الزواج فإن الملك، وبطريقة منتظمة قبل دعوات تتيح له فرصة أن يكون بعيدًا عن القصر، وفريدة، طبقًا لواجباتها، كانت في معيته، كان عاديًا بالنسبة لها أن تحضر حفل استقبال أو حفلاً راقصًا، وعادة كان الملك يشعر بالملل فيغادر المكان إلى حفل آخر معها.

كانت هذه زيارات عقيمة أتعبت الاثنين، ولم تجلب لأي منهما أية تسلية، ولقد استمرت فريدة في الالتزام بهذه الزيارات والحفلات، لأن مكانها كان يجب أن يكون بجانب الملك، ولأنها لم تكن تريد أن يقترب الإيطاليون الفاسدون أكثر مما اقتربوا. وهذا الموقف من العلاقات استمر إلى أن تطور حملها إلى الدرجة التي يجب فيها أن تترك القصر.

الطبيب وفاتحو البخت والعرافون، تنبأوا بأن الملكة سوف تنجب ولدًا، وطوال هذه الفترة فإن فاروق بالنسبة لزوجته في حالة إعجاب شخصي بنفسه، وفي نهاية *1938* وضعت الملكة بنتًا: فريال، وهو اسم أم الملك فؤاد التركية.

وبصعوبة ألقى الملك نظرة على طفلته، لقد اعتبر أن ميلاد بنت بمثابة إهانة له، وهذا الحدث – أي ميلاد بنت – ساعد على استحضار تعاليم أصدقائه الإيطاليين بوضوح إلى عقله: إن النساء ضعيفات لا يمكن الاعتماد عليهن بالنسبة لأي شيء إلَّا تهيئة النشوة للرجل عندما يريد.

بموت الملك فؤاد، فإن نازلي الملكة الأم، اكتشفت أن القواعد الثقيلة التي كانت تحكم حياتها الخاصة لم تعد موجودة، والآن فإن يد زوجها الثقيلة قد رفعت عنها، وهي، التي أحبت الرقص على الطريقة الغربية والموسيقى والمرح.. لم يعد هناك ما يرغمها على أن تبقى في المنزل خلف الأبواب المغلقة للحرملك، ولأنها قد قاست من سجن استمر سبعة عشر عامًا، وهو سجن زواجها، فإنها وهي المرأة الجذابة رأت أنها يجب أن تستمتع بحريتها الجديدة، ولقد سمع فاروق (بنشاطات) أمه ولكنه لم يهتم كثيرًا.

ومع هذا، فإنه ذات ليلة، وعلى عادته، تجول فاروق بهدوء خلال القصر ودخل إلى جناح أمه، وهناك وجد أحمد حسنين باشا الذي عينه فاروق رئيسًا للديوان، والذي رفع رتبته من بك إلى باشا. وفوق كل اعتبار فإن الإخلاص شيء ضروري بالنسبة لرئيس ديوان، وأن يجده في هذا الوقت في جناح أمه كان صدمة لم يستطع فاروق أن يتحملها، انتهاك الكرامة وجرح الكبرياء سببا له غضبًا عميقًا ومرارة، والواقع أن الاثنين.. نازلي وحسنين كانا قريبين منه جدًّا منذ وفاة أبيه وكان باستمرار يلجأ إليهما ليقفا

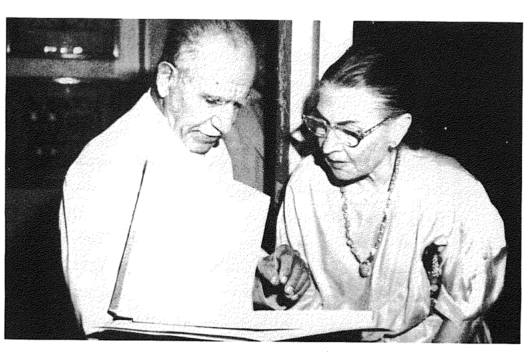


بجانبه، والآن لقد أحس بأنهما قد خدعاه.

ولم يكن غير طبيعي أن يذهب عقله إلى أسوأ التوقعات الممكنة. على الرغم من عدم وجود دليل مباشر، ولقد كانت هناك تلميحات غير واضحة عن علاقة بين أمه وأحمد حسنين، ولكنه لم يهتم.

والآن وأمام عينيه فإن الأوهام تبدو أنها قد أخذت شكلاً محددًا. وما كان فيما مضى مجرد شائعات، تدور في القصر، سوف يبالغ فيها إلى قصص على مقاهي القاهرة. هذا والأحاديث وحتى اليوم يمكن سماعها من صحفيين مسئولين، ومن أشخاص كانوا يقيمون في القصر، بأن نازلي وحسنين قد عقدا عقد زواج إسلامي حسب التقاليد (زواج عرفي) والنسخة الوحيدة موجودة في يد الزوج، فإذا ما أراد في أي وقت أن ينهي هذا الزواج، فإنه لا يحتاج إلى أكثر من تمزيق هذه الورقة.

فاروق الذي تأثر بالتحول الذي حدث لأمه، ولشعوره بأن زوجته تأخذ مواقف معاكسة له، قرر أن ينصرف عن المشاكل البيتية ويتجه بكل قواه إلى مشاكل الدولة، وبالرغم من أنه قد وصل إلى الملك حديثًا، فإنه قد ورث القدرة على الفهم السياسي، وليس هذا عجيبًا إذا ما عدنا إلى خلفيته العلمية، ذلك أنه منذ طفولته الأولى أنصت بحماس إلى التاريخ الذي صنعه أسلافه، واهتمامه بالمستندات والمراسلات والتقارير، التي جمعها رجال التاريخ الموجودين في البلاط، من عواصم العالم، لم تكن أبدًا هزيلة، ونموذج فؤاد في السياسة من الناحية العلمية يضعه في مكان جيِّد.



الملكة فريدة مع الدكتور حسن رجب



وحكومة برلمانية. كانت بمثابة تجاعيد جديدة في الحياة السياسية المصرية أيام فؤاد، وقد جذبت عددًا من المتطرفين والمرتشين كبار السن، وفي الوقت الذي اعتلى فيه فاروق العرش، فإن مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ورئيس حزب الوفد، كان في موقف المتحدي لقوة العرش، ولكن كان هناك ما يمكن أن يقال ضد الحزب هو الآخر، مما جعل فترة حكمه دائمًا محدودة، فخلال حكم فؤاد كان هناك اتهام بأن النحاس باشا، قد وافق على أن يضمن تحويل أملاك المجنون: الأمير سيف الدين إلى التاج. وتم ذلك بالفعل إلى أم الملك نظير مائة وخمسين ألف جنيه (حوالي سبعمائة ألف دولار) في ذلك الوقت. ولذلك فإن النحاس باشا فكر بذكاء ورأى أن فاروق بشعبيته سوف يكون حجر عثرة بالنسبة لطموحه لكسب قوة أكبر، وبالطبع أصبح الاثنان: الملك والنحاس أعداء بسبب ذلك.

وفي ذلك الوقت كان (الوفد) ينفق على منظمة (القمصان الزرق)، وهي منظمة على مثال منظمة هتلر (القصمان البني)، ومنظمة موسوليني (القمصان السود). وهذه المنظمة كانت مؤلفة من الشباب الذين استطاعوا من وقت لآخر، إثارة الاضطرابات والإخلال بالأمن، وهنا أصدر الملك أمرًا للنحاس باشا بإلغاء هذه المنظمة، ولكن رئيس الوزراء.. القوي العنيد، أحس أن اللحظة الحاسمة لإضعاف الملك قد حانت.

رفض النحاس باشا تنفيذ الأمر الملكي، وعندئذ فإن فاروق أقال النحاس باشا من الحكم، ووضع مكانه رئيسًا للوزراء: محمد محمود باشا زعيم حزب المعارضة، والاضطرابات والمظاهرات التي كانت متوقعة.. لم تحدث، وذلك لأن الملك ورئيس الوزراء الجديد كانا على استعداد لأي تطور يحدث.

محمد محمود باشا، الرجل الغني جدًّا والذي درس في جامعة أكسفورد (بريطانيا) كان معروفًا بأنه صاحب القبضة الحديدية، بسبب الإجراءات القمعية الشديدة التي اتخذها في الماضي، ليضع حدًّا لما قام به الشباب من الإخلال بالأمن، ونتيجة ذلك فقد أصبح محمد محمود باشا شخصًا مخيفًا ومكروهًا.

ومع هذا فإنه مع رئيس وزراء صديق، فإن الملك كان باستطاعته أن ينظر إلى الأمام.. على الأقل لفترة، فترة من الهدوء النسبي بالنسبة للمشاكل الداخلية، ومحمد محمود باشا باعتباره كان تابعًا (أو تلميذًا)، ذهب إلى المنفى مع سعد زغلول باشا، كان يعتبر وطنيًّا مقنعًا، ومع هذا فإنه كان يعرف ما له وما عليه بالنسبة للاستعمار الإنجليزي.

وهذا شيء غير عادي بالنسبة لرجل وطني، كان بالضبط هو الشخص الذي هو أهل لمساعدة صفقة فاروق مع الإنجليز.

وعلى الجبهة الدولية، فإن الأمور كانت تأتي بسرعة إلى الصدارة، هنا أيضًا، فإن فاروق بدأ يتحسس الطريق من أجل الاستقلال، كانت سحب الحرب تتجمع في أوروبا، ولقد أحس فاروق أن قوى دول المحور



سوف تكسب الحرب.. ومع هذا فقد كان حريصًا على أن يستبقي رأيه هذا من الوصول إلى أذن السفير البريطاني.

لقد كان فاروق معجبًا بهتلر أشد الإعجاب. واعتبر أن الصورة التي أرسلها إليه هتلر موقعة منه بمثابة أحد كنوزه، ولكي يكسب هتلر ود الملك.. أرسل إليه وزير دعايته جوزيف جوبلز، الذي أكد لفاروق معنى وأهمية خروج الإنجليز من مصر.

لقد كان حلمًا دائمًا لأسرة محمد علي أن تتحد الدول العربية تحت لواء مصر، وتطويرًا لهذا الحلم فقد رأى فاروق أن يستخدم شقيقاته للوصول إلى ذلك: فوزية، الحبيبة له، كانت قد خطبت لوريث عرش إيران. وشقيقاته الأخريات عن طريق الزواج الدبلوماسي، كان بإمكانهن اقتحام أقطار أخرى. وما كان صعبًا أن تحققه الشقيقات، يمكن هو أن يحققه عن طريق حمل لواء العقيدة الإسلامية، ومن هنا فقد ترك لحية صغيرة مدببة تنمو على طرف ذقنه، مثل الشيخ المراغي ومفتي القدس، كذلك إصراره على ارتداء الطربوش الأحمر، مع معطف طويل بصديرية مزدوجة، مثل تابعيه من المحافظين، كذلك كان يؤدي صلواته في العلن.

ولكي يُظهر حماسته فإنه ألقى دروسًا في القرآن، خلال شهر رمضان المقدس، ومرة عندما كان يصلي في مسجد السيدة زينب، رأى اثنين من رجال البوليس يقفان وسط المصلين الراكعين، فأمرهما أن يركعا ويتركا حراسة المسجد ومن فيه لله وحده.

وكان هتلر على استعداد لأن يطور حلم فاروق، في مقابل أن يساعده فاروق، أما موسوليني فقد أسرع بإرسال المارشال (اتال بالبو) ليقوم بزيارة رسمية لمصر، ليؤكد للملك أن التركيز الشديد للقوات الإيطالية في ليبيا، على حدود مصر الغربية، ليس معناه أي مطمع في مصر، ولكن هذه القوات موجودة فقط لعمل توازن في مقابل الوحدات البريطانية في الشرق الأوسط، وأكد (بالبو) أيضًا لفاروق أن موسوليني استعرض خططه لتكون هناك وحدة إسلامية، وأن الحركة الصهيونية التي تسعى إلى وطن مستقل في فلسطين، والتي تعارضها كل الدول العربية، لن تحصل على أي سند من دول المحور التي تعتبر أكبر قوة في هذا القرن. وهكذا فإن المنافسة على كسب ود فاروق من القوى الكبرى، جعلت الملك الشاب يحس بمهارته في أن يلعب لعبته، بأن يضرب كل منهما بالآخر.

وبالنظرة إلى التوتر الدولي، والتأكد من أن هتلر سوف يثير حربًا، فإن فاروق شغل نفسه ببرنامج مكثف للتسليح، فضاعف من الجيش والبحرية، ووضعت القوات الجوية في حالة حرب، ولأنه كان يعرف أن الحرب سوف تتسبب في عدم تصدير القطن إلى إنجلترا، وهي حركة سوف تؤدي إلى إفلاس البلد، فإنه بدأ في تشييد مصانع لغزل القطن، ثم راح يعزز موقف البلد تجاريًا عن طريق عقود كثيرة مع أصدقائه الإيطاليين، وبهذا استطاع أن يحصل على نصيب كبير من الأوراق المالية، دون الدخول في



الرسميات الخاصة بالدفع الفوري لهم، ومرة أخرى، فإن رأي فاروق كان صحيحًا، لأنه عندما نشبت الحرب فإن مصانعه لم تكن تستطيع أن تمتص إلَّا نصيبًا ضئيلاً من القطن، وإنجلترا لكي تبقي على ائتمان مصر المادي، فإنه كان عليها أن تشتري كل ما تنتجه مصانع مصر.

كذلك فإن وضع فاروق كرئيس دولة، سجل انتصارًا آخر عندما وصل إلى حل جيِّد في مؤتمر (مونترو)، كانت هناك دول مختلفة استمتعت بحقوق مبالغ فيها على أرض مصر، مثلاً: البريطانيون لا يحاكمون في المسائل المدنية أو الجنائية، إلَّا أمام قنصلهم العام، وليس أمام المحاكم المصرية، والامتيازات نفسها كانت للأمريكيين والفرنسيين، وفي مؤتمر (مونترو)، استطاع فاروق أن يحصل من القوى العالمية على اتفاق آخر بموجبه: في المسائل الجنائية لا تتم المحاكمة أمام محكمة قنصلية – كما كان في السابق – بل أمام محكمة مختلطة، بمعنى أن يكون هناك قضاة مصريون وأجانب يجلسون معًا على المنصة، وبموجب الاتفاق أيضًا تلغى هذه المحاكم المختلطة بعد اثني عشر عامًا، وتتم محاكمة الأجانب في المسائل المدنية والجنائية أمام المحاكم المصرية، كان هذا نصرًا كبيرًا لفاروق.. وقد استحق احترام المصريين على هذا النصر.



الملكة فريدة عاشت
وماتت ملكة



لم أُرِدْ أنْ أدْخُلَ في نقاشٍ أو جدلٍ أو أُرسِلَ ردًّا على بعض «الكتابات» التي تناثرت في بعض الصحف والمجلات المصرية والعربية التي اعتمدت على الشائعات حول سلوك الملكة فريدة التي عرفتها حقّ المعرفة، وتحدّثنا معًا في كل شيء، وعلى الرغم من أنني كتبتُ عنها الكثير، وتحدثتُ أيضًا عنها آلاف المرات في وسائل الإعلام أو في ندواتٍ أو لقاءات، فإنني مازلتُ أحتفظ بالكثير الذي لا ينبغي أن يُقال، بسبب خصوصيته.

ولأنني – ككلّ المصريين – كنتُ ومازلتُ أعتبر الملكة فريدة مثالاً نموذجيًّا للعفّة والطهارة فلم أخض في غمار الرد على الإساءات والشائعات والتطاولات حتى لو كانت صادرةً من صحفيين وكُتّابٍ وسياسيين لهم «وزنهم»، باعتبار أنها صادرةٌ عن قلوبٍ وعقولٍ عميت عن التمحيص والبحث عن الحقيقة التي هي أساسُ أيةِ كتابةٍ.

ووجدتُ من المناسب أن أثبتَ ما كتبه الكاتب حلمي النمنم في مجلة «المصوّر» المصرية بتاريخ *31* من مايو *1996*، حيث استقصى حول الشائعات من أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر المشهود لهم بالكفاءة، الذين قالوا فصل الكلام فيما يخصّ ملكة مصر فريدة.



المؤرخون يقولون كلمتهم النهائية عن الشَّائعات الكاذبة حول الملكة فريدة

حلمي النمنم

عاشت الملكة فريدة، زوجة الملك فاروق الأولى وطليقته أيضًا، رمزًا للطهارة والعفَّة، وقد لا يعرف كثيرون منا أن «قصر الطاهرة» بحي الزيتون كان يسمى «السراي الكبرى»، ولما انتقلت فريدة إلى الإقامة به سمي «قصر الطاهرة»، تيمنًا بالصفة التي منحها إياها الشعب المصري، ويوم أن صدر بيان الديوان الملكي إلى الشعب المصري بإعلان طلاق فريدة من الملك فاروق، في *19* من نوفمبر *1948*، خرجت مظاهرات طالبات المدارس يهتفن «من بيت الدعارة إلى بيت الطهارة»، وكان الهتاف دالاً على تقدير عالٍ للملكة فريدة وازدراء لمستوى الحياة الخاصة في القصر، أحب المصريون فريدة في العهد الملكي رغم غضب الملك عليها، أحبها المصريون أيضًا بعد *1952*، ولم يتغير ذلك الحب في عهود محمد نجيب وعبد الناصر والسادات ثم مبارك.

جرح محمد حسنين هيكل هذه الصورة الملائكية، عندما نشر في الجزء الأول من كتابه الأخير، «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل»، أن الملكة فريدة قد خانت زوجها مع وحيد يسري باشا، ثم مع الرسام البريطاني «سيمون الويز»، قبل ذلك كانت د. لطيفة سالم قد تحدثت في كتابها «فاروق وسقوط الملكية في مصر» عن علاقة الملكة بسيمون.

وقد صدرت الترجمة العربية لكتاب المؤرخة البريطانية «كوبر»، عن القاهرة في الحرب العالمية الثانية، وطفا موضوع الملكة فريدة على السطح وبدأ التفتيش عن الوثائق التي تثبت الخيانة أو تنفيها، ولم يقف الأمر عند التفتيش في أوراق سيدة رحلت عن عالمنا، ولكن بدأ البعض في الربط بين سلوك وتصرفات الملك فاروق في الأربعينيات، وشعوره بخيانة زوجته له، بعد أن كانت أمه الملكة نازلي قد خانته من قبل مع رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا، من هنا كان لابد أن نقف نتساءل هل – حقًّا – خانت الملكة فريدة زوجها الملك فاروق؟

الرواية الأولى تقدمها د. لطيفة سالم وتقول: بناء على الرغبة الملكية دخل الرسام الإنجليزي سيمون الويز القصر، ليقوم برسم صورة للملك والملكة، وأراد فاروق استخدامه ضد السفارة البريطانية لكنه لم ينجح، ويبدو أن هذا الشخص رغب في استغلال وجوده بالقصر، والحالة السيئة التي كانت عليها فريدة، ليتقرب إليها، فيذكر لامبسون أنه انشغل كلية بالقصر، واتصل به ليبلغه كيف يحوك بوللي



المؤامرات ضده، وأنه حذره من ألَّا يكون بمفرده عندما يرسم الملكة، وأصر على أن تكون هناك وصيفة معها، كما نقل للسفير البريطاني أن فريدة طلبت منه أن يأخذها إلى السينما، ولكن لامبسون أخطره بأنه في بلد إسلامي، ويجب عليه أن يكون شديد الحرص، وألَّا يعطى أية فرصة ممكنة لأن تلوك الألسنة كلامًا سيئًا عنه وعن فريدة ، وأن من الحكمة ألا يكون على صلة لصيقة بها، لما في ذلك من أثر ضار.

وعندما ذهب الويز إلى جنوب أفريقيا، أرسل مع أحد الجنرالات خطابًا إلى فريدة وفتح وعرف منه أنه يشهِّر فيه بالشخص الذي كان وراء نقله من مصر، ويطلب من الملكة السعي لدى الملك ليعود ويكمل الصورة الملكية. وتم الاتفاق بين المسئولين البريطانيين في مصر، على إعادة الخطاب إلى صاحبه، وأشار لامبسون إلى أنه لابد من أن يصدر أمر عسكري بألَّا يتراسل مع الملكة، أو أي عضو من الأسرة المالكة أو الحاشية، على أساس أن مثل هذا العمل من جانب ضابط بريطاني غير سليم، ولقي ذلك الموافقة وانتهى الأمر عند ذلك الحد.

أما الرواية الثانية فيقدمها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في معرض حديثه عما أسماه «مأساة الملك فاروق»، حينما قال: الأدهى من ذلك أن أمه لم تكن وحدها التي خانته، وإنما خانته زوجته فريدة أيضًا، رغم محاولات لا لزوم لها لرسم صورة مغايرة، والحقيقة المرة أن وثائق القصر ووثائق الخارجية البريطانية، تحفل بتفاصيل كثيرة عن العلاقات المضطربة بين الملك الشاب وزوجته الشابة، ويبدو في الظاهر أن التماثل في السن بين الاثنين خلق لدى فريدة حاجة إلى رجل أكثر نضجًا، وكان أن وقعت



الملكة فريدة في زيارة إلى أحد المستشفيات



في غرام «وحيد يسري باشا»، وهو بمثابة ابن عمة للملك، أو أسوأ، لأن أمه الأميرة شويكار هي الزوجة الأولى للملك فؤاد. لكن مشكلة الملكة فريدة كانت فيما يبدو أعمق من ذلك، فوثائق القصر والسفارة البريطانية والخارجية البريطانية، تربطها بعلاقة غير شرعية مع ضابط بريطاني اسمه الكابتن «سيمون الويز»، وكان قبل الحرب رسامًا له مستقبل، وقادته خدمته في مصر إلى التعرف إلى بعض العائلات الكبيرة بها، ورسم بالفعل صورًا لبعض شخصياتها بما في ذلك صورة للسيدة «ناهد يسري»، وهي قرينة «حسين سري» باشا، الذي كان رئيسًا للوزراء. وفي الوقت نفسه خالة الملكة فريدة، وهكذا فإن سيمون الويز دخل القصر أول مرة، يرسم صورة زيتية للملكة، ثم تذرع بأن زحام القصر يفسد إلهامه، فدعاها إلى تكملة الصورة في «مرسمه»، وتطورت الأمور بين الاثنين، وحين انكشفت العلاقة قام السفير البريطاني نفسه بالتحقيق مع الضابط الفنان، الذي بلغ به السخف حد أن يقول: «إنه لا يستطيع أن يرسم صورة إلَّا إذا أحس مباشرة بموضوعها»، وقد جرى ترحيل هذا الضابط إلى جنوب أفريقيا في ظرف أربع وعشرين ساعة».

ويضيف هيكل في روايته: «ويظهر أن الملك فاروق في آخر عمره كان مجروحًا مما حدث له في زواجه الأول، وقد روى لبناته الثلاث من فريدة وهن: فريال وفوزية وفادية تفاصيل ما جرى له معها، وكان من نتيجة ذلك أن البنات الثلاث قاطعن أمهن إلى درجة أنهن رفضن زيارتها في مرض موتها..».



شخص لا يحتمل.. ممل

وفي الرواية الثالثة.. تقول كوبر: «الملكة فريدة كانت تزور أستوديو التصوير الخاص برسام بريطاني اسمه سيمون الويز، وكان الويز رجلاً وسيمًا في أوائل الأربعينيات من عمره، وجاء إلى مصر في نوفمبر من عام *1941*، في فرقة «الهوسار العاشرة» وألحقوه من الناحية النظرية بقسم العلاقات العامة في مقر قيادة الجيش البريطاني في مصر، لكن مهنته الرئيسية كانت رسم الوجهاء في مجتمع القاهرة. في صيف عام *1942* ضمت قائمة من جلسوا لكي يرسمهم السفير البريطاني ذاته.. لكن سيسيل بيتون لم يكن مرتاحًا إلى هذا الأمر، بل اعتبر الرسوم التصويرية ضعيفة وتقليدية. أما الرسام فقد وصفه بيتون بأنه شخص لا يحتمل وشديد التصنع، كثير الإملال ومطلق الأنانية. من ناحيته كان الويز يتصور نفسه فاتنًا للنساء، وقال لصديق مصري: إنه لا يمكن أن يرسم صورة جيِّدة لأية امرأة إلَّا إذا نام معها وشاركته الفراش. كذلك كان طموحًا ولم يشأ أن يغادر مصر قبل أن يرسم صورًا لكل من الملك والملكة.

هذا الاقتراح طرحته على صاحبي الجلالة ناهد سري، زوجة رئيس الوزراء الأسبق وخالة الملكة فريدة، ووافق الملك على تكليف برسم صورتين يتقاضى سيمون الويز - عن كل منهما — ألف جنيه مصري يدفع نصفها مقدمًا، ثم تقرر أن يرسم الملكة فريدة أولاً.. أولى الجلسات تمت في قصر عابدين حيث ثرثرة الوصيفات والمقاطعات، التي لا تنتهي وسط بلاط شرق أوسطي، مما شتت قدرة الفنان على التركيز، فقال: إن من المستحيل عليه أن يعمل وسط هذه الظروف، وإذا كان له أن يعامل الصورة بما تستحقه، فإن على الملكة أن تأتي إلى مرسمه الخاص، وإذا كانت مثل هذه الدعوة تقع ببراءة تامة على أسماع الأوروبيين، إلَّا أن الوصيفات صدمن إزاء هذا الاقتراح الذي قدم إلى ملكة مصر، في حين أصر سيمون الويز على أنه ليس بوسعه العمل في عابدين، وبعد شيء من الإقناع وافقت فريدة على الذهاب إلى مرسمه».

وتضيف كوبر: الملكة فريدة كانت في العشرين فقط من عمرها، وفيما كان يمكنها تجاهل غراميات زوجها، مع نسوة أخريات كانت تعتبرهن مجرد بغيَّات لا أكثر، إلَّا أنها شعرت بإهانة عميقة إزاء العلاقة التي ربطته بالأميرة فاطمة طوسون وهي إحدى سيدات العائلة المالكة، ومنذ ذلك الحين لم تكد تتبادل مع فاروق طرفًا من حديث وربما لهذا لم تطلب منه الإذن لكي يكتمل رسم صورتها في مرسم الويز (...) رافقتها وصيفة اسمها عقيلة، ومن ثم ذهبت الملكة فريدة مرات عديدة إلى مرسم سيمون الويز، ولكن لم يكن مثل هذا الأمر بعيدًا عن الأعين، فقد كان للسراي دائرة استخبارات قوية، ومن ثم انتقلت إلى



فاروق الذي كان حريصًا على متابعة ما يجرى (...) وسرعان ما عرف فاروق عن زيارات زوجته إلى الأستوديو، وفى عصر أحد الأيام قرر أن يذهب بنفسه إلى هناك (...) كان سيمون الويز يشارك في شقته اثنين من ضباط الطيران، الضابطان كانا يعرفان أن الملكة تأتي سرًّا لكي يتم رسم صورتها، وكم بلغ منهما الذعر مبلغه وهما في المنزل، حين وصول الملك الذي بقي وقتًا وكأنما يستمتع بالقلق البادي على محيًّا ضيوفه، بينما عمدت الملكة ووصيفتها إلى مخرج سريع للهروب من الباب الخلفي.

وفي السنوات التي تلت قيل: إن فريدة والويز كانا يلتقيان مستتريْن بالظلام في السينما، بل إن هناك من ضبطهما متلبسيْن في عابدين، أما الملك فقد أوعز إلى من يقول من الأفضل أن يغادر الويز القاهرة بأسرع ما يمكن، واللورد كيلرن كان أكثر حرصًا على تفادي فضيحة كبرى، وفي يوم السادس من يناير أوفد سيمون الويز إلى جنوب أفريقيا، ويلاحظ كيلرن في مذكراته أنه في ضوء الشائعات التي ترددت بأن فاروق مقدم على تطليق زوجته، كان من الأنسب تمامًا أن يزاح الويز من الطريق. (...) وفي جنوب أفريقيا وجد أن السفارة تمنعه من العودة إلى مصر، فكتب الويز رسالة إلى الملكة فريدة تحوي انتقادًا شديد المرارة للسفير البريطاني، ولم يقدر للرسالة أن تصل إليها بل اعترضها الرقيب ورفعها إلى كيلرن (...) بعد شهر من ذلك التاريخ أرسل الملك أحمد حسنين إلى السفارة، ليطلب عودة الويز إلى مصر لإنهاء الصورتين اللتين دفع الملك نصف ثمنهما، وكان ذلك مجرد لعبة استفزاز من الملك وإحراج للسفير أكثر من كونه اقتراحًا جادًّا..».

انتقاد واستعطاف

وتقول د. لطيفة سالم: إنها اعتمدت في روايتها على وثائق وزارة الخارجية البريطانية، وإنها قد اطلعت على الخطاب الذي أرسله الويز إلى الملكة، ولم يصل إليها، وليس في الخطاب سوى انتقاد حاد للسفير البريطاني في مصر، ويرجوها أن تتوسط لدى الملك ليعود ثانية إلى مصر، وتضيف أن كل الوثائق لا تكشف ولا تقول: إن العلاقة بين الملكة والمصور البريطاني قد وصلت إلى حد خيانة زوجها، ولكن الوثائق تكشف أن الملكة كانت تعاني من الفراغ.

أما رواية هيكل والتي يقطع فيها بأن الملكة خانت الملك مع الويز، فيرجعها إلى مذكرات اللورد كيلرن، وإلى برقية أرسلها كيلرن إلى وزارة الخارجية في لندن بتاريخ أول مارس 1944.

ورواية المؤرخة الإنجليزية لا تتحدث عن خيانة، ولكن علاقة عادية يمكن أن تكون مقبولة في المجتمع الأوروبي، ويرى د. سامي أبو النور أن هذه الرواية فيها قدر كبير من الخيال وعدم الدقة، لأن علاقة الملك بالأميرة فاطمة طوسون كانت في أواخر عام 1948، وكان يريد أن يتزوجها لكنها رفضته وارتبطت بأمير برازيلي، أما الحديث عن طلاق الملك والملكة فكان سنة 1946 وليس في 1943.



من الحب إلى النزوات

وإن كانت الروايات تختلف فيما بينها، إلّا أنها تتفق على أن دخول الرسّام البريطاني القصر الملكي، جاء في ذروة أزمة علاقة الملكة فريدة بزوجها الملك فاروق، كانت الأزمة قد بدأت بعد أقل من عام واحد فقط على الزواج، الذي تم يوم 20 من يناير 1938، وسط حالة من الحب العميق ربطت الملك بالملكة وكثيرًا ما قالت الملكة: عند زواجي من فاروق أحسست بأنني أسعد نساء العالم. وعندما أنجبت الملكة مولودها الأول في 17 من نوفمبر من العام نفسه، جاء المولود بنتًا، هي الأميرة «فريال»، وقد حزن الملك وأمه لأن فريدة لم تنجب ولدًا، ليكون وليًّا للعهد، وعاش القصر حالة من الحزن الشديد، وبدأت الملكة نازلي «الحماة» تضايق زوجة ابنها، رغم أنها هي التي كانت قد اختارتها زوجة له، وزادت مقالب نازلي تجاه فريدة، فكانت ترسل إليها طرودًا فتفتحها فريدة لتجد فيها حيوانات ميتة وفي 7 من أبريل سنة 1940، أنجبت الملكة فريدة مولودها الثاني وجاء بنتًا أيضًا، هي الأميرة «فايزة» وزادت العلاقة سوءًا بين الملك والملكة، وكرهت الملكة الحمل والولادة إلى حد أنها فكرت في التخلص من حملها الثالث، في «فادية» اندفع الملك بضراوة إلى سهراته وملذاته، بعد أن يئس من أن زوجته ستنجب له وليًّا للعهد.



الملكة فريدة
وبناتها في إجازة



أحاطت بالملك حاشية السوء، وفتحت له الأميرة شويكار زوجة والده الأولى، قصرها للسهرات الماجنة، حيث كانت تختار الفتيات المثيرات، مصريات وإيطاليات وتركيات، يرقصن أمامه شبه عاريات. ويختار منهن كل ليلة من يشاء، وقام صراع بين الأميرة شويكار، التي تريد اجتذاب الملك إلى سهراتها الماجنة، والملكة فريدة التي تريد استعادة زوجها ولكن نجحت شويكار، وكان الملك يعود كل يوم إلى قصره فجرًا مخمورًا ومتعبًا، والملكة لا تملك إلَّا أن تتألم وهي ترى زوجها يترهل ويفسد يومًا بعد يوم، ثم تعرَّف الملك إلى كاميليا أو ليليان كوهين، وأخذها كريم ثابت مستشار الملك، إلى جناح الملك في قصر عابدين لتسهر معه والملكة ترى وتسمع، وذات ليلة ضبطت الملكة سيدة تتجول في جناحها ليلاً، هي «ليلى شرين» فأمسكت بها الوصيفة، وحولت إلى قسم عابدين وتبين هناك أنها راقصة تركية أصلاً ومتزوجة من مصري، اعتادت التردد على الملك وأنها ذهبت تلك الليلة إلى الميعاد، لكن الملك كان قد نسي الميعاد، وذهب إلى أوبرج الفيوم لمغامرة أخرى، وهنا طلبت فريدة الطلاق، وكانت الملكة نازلي والحاشية يدفعون الأمور إلى التأزم لإزاحة فريدة، فكن يرسلن إليها من الوصيفات كل يوم من تحدثها عن مغامرات زوجها مع السيدات، أو أن واحدة منهم حامل من الملك، ثم ظهرت «ناهد رشاد» في حياة الملك، وكان يأخذها إلى استراحة أنشاص، وكما ضعت لها صورة عارية بالحجم الطبيعي في جناحه باستراحة أنشاص، وظلت الصورة موجودة حتى سنة 1952.

حاولت فريدة أن تنصح زوجها بالتخلص من الحاشية الفاسدة، والإخلاص لعرشه وبيته، ولكنه لم يستجب فأصرَّت على الطلاق، فمنحها عزبة في الشرقية – 2000 فدان- سميت باسم تفتيش الفريدية، لتنسى موضوع الطلاق، ولكنها أصرَّت عليه.. «كنت أنشد الزوج الفاضل والملك الصالح.. والأب الحنون»، ولم تجد ما تريده، وتم الطلاق يوم 19 من نوفمبر 1948، وهو أيضًا يوم طلاق الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك من شاه إيران.

وحزن الشعب المصري لهذا الطلاق، وتعاطف مع فريدة، وظل يعاملها كملكة رغم أن اللقب نُزِع عنها، وخرجت المظاهرات تهتف «من بيت الدعارة إلى بيت الطهارة».. عشر سنوات زواج عاشتها الملكة ليس فيها سوى السنة الأولى فقط سعيدة، ولكن هل دفعتها تعاسة الزوجة إلى أن تتعلق برجل آخر غيره كما جاء في الروايات التاريخية حول «سيمون الويز»؟



واقعة مختلقة

مذكرات اللورد كيلرن والتي اعتمد عليها هيكل، مترجمة إلى العربية مرتين، وجاء فيها حول هذه الواقعة في يوميات كيلرن بتاريخ *18* من يناير *1944* حين التقى مع الشاب جوليان إيمري — الذي جاء ليعمل في مصر وتحديدًا ليكون ضابط اتصال مع القصر والزعماء المصريين، «يتعين عليه أن يتحدث إلى أمين عثمان على أن يرافق سمارت، واتصلت بالأخير ووافق على الفكرة وقال: إن إيمري لديه من الحنكة والمهارة ما يحول بينه وبين استخدامه كمخلب قط، والواقع أن تداخل هؤلاء الغرباء في هذه الأمور قد يعقدها، وأذكر مثلًا تلك المتاعب التي سبق أن أثارها سيمون في القصر، رغم تحذيراتي له بأن يتوخى الحيطة والحذر».

مترجم ومحقق المذكرات د. سامي أبو النور، يقطع بأنه «لم يرد في النص الإنجليزي للمذكرات أي شيء عن خيانة الملكة فريدة لزوجها، ويقول: الحقيقة أنني أول مرة أسمع هذا الكلام، لقد اعتمدت على نسخة أصلية للمذكرات كانت محفوظة في مكتبة أحمد حسنين باشا، وقد أعدها سكرتير كيلرن في مصر «ايفانز تريفور» سفير بريطانيا في الجزائر وسوريا والعراق، فيما بعد، وجاكي زوجة كيلرن، واللورد كيلرن الابن، وهذه النسخة من المذكرات هي الأصلية المعتمدة..».

قد تكون هناك أوراق لم تضم في المذكرات وورد بها شيء عن هذا الموضوع؟

ليس صحيحًا. يقول د. سامي: لأنني - بعيدًا عن ترجمة وتحقيق المذكرات- أعددت رسالة الدكتوراه عن دور القصر في السياسة المصرية من *1936* إلى سنة *1952*، ولم أجد شيئًا من هذا في المذكرات أو الوثائق، وبكل اطمئنان أزعم أن هذه الواقعة مختلقة، فريدة لم تكن نازلي .. فريدة كانت طاهرة.

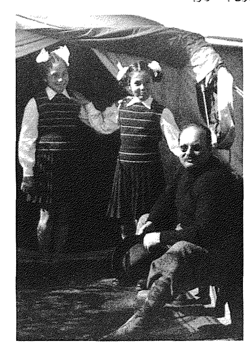


الصحفي والمؤرخ

ويرى د. يونان لبيب رزق، أن النص الذي ترجم لمذكرات كيلرن إلى العربية ليس فيه شيء عن علاقة مشينة بين الملكة فريدة والرسام الإنجليزي، ولكني أستبعد تمامًا أن يكون الأستاذ هيكل قد تطوع بالإحالة إلى المذكرات. وحدد تاريخها دون أن يكون متأكدًا. والواضح أن هيكل اطلع على نسخة أصلية للأوراق قبل إعدادها للنشر، ولكن المهم في المسألة أن الوثيقة حتى لو وجدت ليست مقدسة.

كيف؟

هيكل صحفي انتقل إلى التأريخ لكنه ليس مؤرخًا محترفًا، وهو كصحفي حين وجد ورقة تصور بحسه الصحفي أنها تحدث "فرقعة" نقلها بسرعة، ولكن دون تحقيق. الوثيقة تحتاج إلى التحقيق، بمعنى أن تعرف من كتبها وفي أي ظروف كتبها، وماذا عن علاقته الشخصية بأطراف الوثيقة، وهنا كان لورد كيلرن قد وقع في أمر بالغ الخطورة، حيث قام بطرد ضابط بريطاني من مصر وبأسلوب عنيف، وكان عليه أن يبرر هذا المسلك أمام الخارجية البريطانية. متذرعًا بحجة أنه سيثير مشكلات مع الملكة والملك. والواضح لي أن هذا الضابط كان من رجال المخابرات، ولم يكن على وفاق مع كيلرن، وهذا هو حال صراع المؤسسات دائمًا. وأراد تشويه صورته. ولا أستبعد أن السفارة البريطانية هي التي أطلقت "شائعة" علاقته بالملكة. ولذا يجب أن نقرأ أوراق كليرن بحذر وبتشكك.



الملك فاروق مع ابنتيه
من الملكة فريدة



وإن كان د. يونان قد حاول التماس الأعذار لهيكل فإن د. رءوف عباس يقول بوضوح: «.. مذكرات كيلرن الأصلية ليس فيها ذكر لخيانة فريدة لزوجها، ورواية «كوبر» الإنجليزية ليس فيها ما يوحي بذلك، ومن يقل إن الملكة خانت زوجها فهو حر، ولكن لتفهم أن ذلك نوع من الخيال وليس هناك في الوقائع ما يثبته".

ويصل د. عبد الوهاب بكر إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها د. يونان، ولكن من طريق مختلف يقول د. بكر لقد قضيت عدة سنوات في لندن أطالع الوثائق البريطانية حول مصر، أثناء الحرب العالمية الثانية وحتى حرب فلسطين، ولم أجد وثيقة واحدة تقطع بأن هناك علاقة بين الملكة والرسام الإنجليزي، أو أي شخص غيره تجعلنا نقول: إنها خانت زوجها، والوثائق التي وجدتها بعضها يتحدث عن «شائعات» حول علاقة بين الويز والملكة، ولم تصل – أيضًا – الشائعات إلى حد الخيانة، وبعض الوثائق عبارة عن أغنيات وعبارات كان يرددها الجنود الإنجليز في ثكنات قصر النيل، وبها شتائم بذيئة ذات طابع جنسي للملك والملكة والمصريين عمومًا، كما اطلعت على تقرير السفير البريطاني حول «الويز» والذي يتحدث عن «شائعات»، والتاريخ لا يقوم على شائعة هنا وهناك ولكن على وقائع محددة وإلَّا انزلقنا إلى مستوى «اعتماد خورشيد» في التأريخ.

ويضيف د. بكر قائلاً: ينبغي أن نأخذ بحذر وتشكك شديدين ما يقوله كيلرن عن الملك والملكة، فقد كان يكره فاروق بشدة وكانت الكراهية ذات طابع شخصي، إذ ذهب السفير إلى الملك يطلب إليه أن يتخلص من الإيطاليين في حاشيته، فرد عليه الملك قائلاً: «بشرط أن تتخلص من الإيطاليين الذين لديك"، وكان السفير متزوجًا من إيطالية فأسرَّها في نفسه، ولما نقل السفير لورد كيلرن من مصر إلى الهند، تحدث هناك بشكل سيئ عن ملك مصر والحكومة المصرية، واحتجت مصر لدى بريطانيا وحُقق معه وأدين، ولذا فإنهم هناك يأخذون أقواله عن الملك بحذر شديد، والواضح أن كيلرن اعتمد على الشائعات التي أحيانًا كانت السفارة البريطانية نفسها هي التي تروجها.

أما د. لطيفة سالم فتذكر أن الموقف كله يكشف عن أن الملكة كانت تعانى من الفراغ واليأس من زوجها، وأنها ربما أرادت أن تستثير غيرة زوجها، ويجب ألَّا ننسى أنها كانت تحب فاروق وظلت تحبه، وحتى بعد طلاقها، فقد سعى فاروق إلى الحصول على فتوى من شيخ الأزهر يحرِّم على فريدة الزواج من غيره فرفض الشيخ المراغي، وكان يمكن لها أن تتزوج من تشاء أو تقيم علاقة مع من تشاء، ولكنها لم تفعل شيئًا من ذلك، وكان الويز موجودًا ووحيد يسري أيضًا، ولكنها ظلت محتفظة بطهارتها وعفافها.



تشويه الملكة

يرى الكاتب المؤرخ محمود عودة وصاحب كتاب (فاروق بداية ونهاية)، أن هناك محاولة لتشويه صورة الملكة فريدة، بغرض تجميل وجه الملك فاروق، وما يقال عن علاقة الملكة فريدة بالأمير وحيد يسري، مجرد شائعة أطلقها الملك نفسه، لأن وحيد يسري كان وفديًّا، وكان الوفد يعده لأن يكون وزير خارجية مصر، الأمر الذي جعل الملك يحقد عليه، وكان وحيد يسري متزوجًا من الأميرة سميحة ابنة السلطان حسين كامل – وهبت قصرها ليكون مكتبة عامة وهو مكتبة القاهرة بالزمالك الآن – وكانت سيدة مثقفة ولها العديد من الكتب باللغات المختلفة، وكانت تحب زوجها ويعيشان سعيدين، ولما ضاقت الملكة فريدة بألاعيب قصر عابدين وعلاقات زوجها النسائية، وكذلك علاقات حماتها الملكة نازلي، كانت تتردد على بيت وحيد يسري وسميحة، وقالت مرارًا: إنها تجد الهدوء هناك، وذات مرة حاول فاروق أن يضبطها هناك وذهب ومعه "كرباج" ليضربها ويجرها من شعرها، ولكنه بُهت حين دخل ووجد الأمير وزوجته والملكة يجلسون على مائدة الطعام، وكل ما قيل عن الملكة فريدة محض شائعات، أطلقها القصر بغرض البحث عن مبرر لانحرافات الملك فاروق، وخياناته لزوجته مع الساقطات والداعرات، خصوصًا بعد أن انتقلت أنباء علاقاته تلك إلى الشارع.

د. عبد العظيم رمضان يرى أنه من الصعب إلى أبعد الحدود، الحكم على الحياة الخاصة للملوك والزعماء، ما لم يكن هناك اعترافات كاملة، كما حدث بالنسبة للأميرة ديانا – مثلاً – وفيما يخص الملكة فريدة فإن الوثائق البريطانية لم تستطع أن تثبت شيئًا أخلاقيًّا مشينًا في سلوك الملكة وحياتها، أما وثائق قصر عابدين فليس فيها شيء من هذا، وحتى لو هناك انحراف في أخلاق الملكة فإن أحدًا في القصر لم يكن ليسجله، وقد عُرِفَ عن فريدة أنها ملتزمة أخلاقيًّا إلى حد التزمت، وعادة فإن الزوجة المتحررة جنسيًّا تبيح لزوجها هذا التحرر، ولو كانت متحررة لقبلت بعلاقات الملك المتعددة، ولكنها لم تحتمل الحياة في القصر وضحَّت بالعرش وهذا أمر ليس سهلاً، وسيدة أخرى كان يمكن أن تحتمل أي شيء في سبيل العرش والجاه، وأيضًا كانت أمًّا لثلاث من الفتيات، وأية امرأة غيرها كان يمكن أن تتحمل زوجها حرصًا على أن تبقى بجوار بناتها، ولكنها ضحت بكل شيء، وقد وضعها ذلك في مشكلات مع بناتها بعد ذلك، إذ اعتبرنها مسئولة عن انهيار الملك، ونظام حكمه، وكان رأيهن لو تحملت ما طردوا من مصر ولعاشوا حكامًا منعمين.

ويضيف د. رمضان قائلاً: أنا مستاء جدًّا من محاولات تشويه صورة الملكة فريدة، لقد عاشت سيدة فاضلة، عفيفة، وظلت كذلك حتى ماتت، والمشكلة الحقيقية في هؤلاء الذين يقرأون الوثائق المتاحة



لديهم قراءة سياسية لتأييد شخص ما أو تشويه شخص آخر. والوثائق ينبغي أن تقرأ قراءة تاريخية أمينة بعيدًا عن الأهواء السياسية. ومن لديه وثيقة تدين الملكة فريدة فعليه أن يظهرها لنا. ولا يكتفي بالقول المرسل أن هناك وثيقة. لقد أثبتت الوثائق البريطانية انحرافات ونزوات فاروق، منذ أن كان صغيرًا في لندن وحتى خلعه من العرش. ولو أن هناك شيئًا حول الملكة فريدة لما صمتت عنه الوثائق طوال هذه المدة.

لكن ألا يمكن أن يكون طابع الحياة الخاصة في القصر، من علاقات الملك فاروق النسائية المتعددة، وسلوك والدته الملكة نازلي وشقيقته الأميرة فايزة، قد أثَّر على الملكة فريدة ودفعها إلى أن تفكر في إقامة علاقة خاصة هي الأخرى؟

كانت فريدة حريصة على كل ما يمكن أن يعطي انطباعًا جيدًا عن زوجها وحياتها.



ترى د. لطيفة سالم أن سلوك الملك ووالدته، دفعاها إلى العزلة والبعد عن صخب الحياة، واتجهت بعد ذلك إلى الرسم، ولا ينبغي أن ننسى أنها كانت تحب زوجها جدًّا، ولا يمكن أن تخونه. أما د. سامي أبو النور فيرى أن فريدة منذ صغرها كان معروفًا عنها الخلق الرفيع، والبعد عن الملذات، أما مفاسد الحياة الخاصة فقد كانت موجودة دائمًا في القصر، الخديو توفيق – مثلاً – كان ابن جارية، وكان هناك اعتراض على أن يتولى الخديوية لهذا السبب، وكان الأحق بها شقيقه حسين كامل، ومع ذلك فإن استهتار الملك وأمه لم يدفعا فريدة إلى هذا السلوك، ولا يوجد ما يثبت ذلك.

وماذا عن علاقة الملكة ببناتها وهل قاطعنها؟

حين غادر الملك فاروق وبناته الأميرات مصر يوم 26 من يوليو 1952، لم يسمح للملكة بوداع بناتها، ولم تتمكن من رؤيتهن.

ولم تر الملكة بناتها بعد ذلك إلَّا سنة 1956 في سويسرا، وقد شكت من برودة استقبالهن لها، وكما قالت هي فإن الأميرات الصغيرات يحمِّلْنها المسئولية فيما حدث للملك، فقد أصرَّت على الطلاق رغم حبه الشديد لها، ولم تستجب للصلح والعودة إلى أبيهن، وتركته فريسة للخدم وللحاشية، وأنها وحدها تتحمل المسئولية كاملة في أنهم عاشوا بعيدًا عنها.

وحاولت الملكة أن تقنع بناتها، أنها لم تكن تستطيع أن تستمر مع الملك في ظل فساد الحياة الخاصة داخل القصر.. ويبدو أنها نجحت في إقناعهن فقد زارت الملكة مصر في منتصف أكتوبر 1977، ومعها ابنتاها الكبرى فريال والوسطى فوزية، وزرن الأقصر وأسوان معًا، وقالت لنا إحدى صديقات الملكة في القاهرة إن علاقة فريدة ببناتها كانت جيِّدة.



الدكتورة لوتس عبد الكريم

الدكتورة لوتس عبد الكريم هي صاحبة ومؤسِّسة مجلة «الشُّموع» الثقافية الفصلية ، والتى شعارها «من أجل قيمة الجمال في الأدب والفن والحياة» .

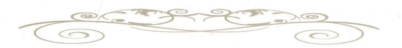
ولدت بالإسكندرية، وتخرجت في جامعتها قسم الفلسفة، وحصلت على درجة الماجستير من جامعة لندن، والدكتوراه من جامعة باريس، وتنقّلت معظم حياتها خارج مصر. وقد كتبت دراسةً عن شعب اليابان وتقاليده، وقامت بالتدريس في جامعة طوكيو ، وأصدرت كتابًا عن موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب ، كما أصدرت كتابًا عن فارس الرومانسية الأديب يوسف السباعي 2004، ثم كتابًا عن حياة الكاتب إحسان عبد القدوس وأدبه، وكتابًا عن عميد المسرح يوسف وهبي.

أما كتابها عن الملكة فريدة (صدر عام 1993م) فكان عنوانًا لصداقة كبيرةٍ وعميقةٍ ، قامت بينهما، حين اختارت الملكة فريدة، منزل لوتس عبد الكريم ، مرسمًا لها وقاعة للفن الذي تبدعه.

وقد أصدرت د.لوتس عبد الكريم في فبراير 2008 كتابًا آخر عن الملكة فريدة، عنوانه «الملكة فريدة وأنا – سيرةٌ ذاتيةٌ لم تكتبها ملكة مصر» عن سلسلة «كتاب اليوم» ، وكذلك كتاب «مصطفى محمود .. سؤال الوجود بين الدين والعلم والفلسفة» في ديسمبر 2008.

كما خصَّصت ندواتٍ بصالونها الثقافي للاحتفاء بذكرى الأدباء والكتّاب أمثالٍ طه حسين وتوفيق الحكيم ،ونزار قباني، ومصطفى أمين، والعقاد، ويوسف إدريس، ومصطفى محمود، وغيرهم. وهي عضو بالمجلس الأعلى للثقافة، وبمجلس الشؤون الخارجية ،ومجلس إدارة نقاد الفن التشكيلي.

كما رأست تحرير «كتاب الشموع» ، والتي صدر عنها كتاب «توفيق الحكيم.. مئة عام» بتقديم لوتس عبد الكريم وإشرافها.



آخر وأهم أسرار ملكة مصر
عودة الملكة إلى الملك بعقد زواج رسمي
قبل وفاته ببضع سنوات ....

هذا الخبر لا يعتبرُ سرًّا .. إنما هي — جلالةُ الملكة - فريدة التي لم تشأ إذاعته منذ حدوثه وأثناء إقامتها بمصر ؛ خشية أن يعرقل ذلك وجودها في البلد الذي عشقته طوال حياتها ، أي مصر .. لكنهما كانا يلتقيان ، وهذا يدل على أنَّ الحبَّ القديمَ بينهما لم تطفئ جذوته الأيام ، وأنها ظلت هي الأثيرة لديه وهو الأثير لديها ؛ أي كان عشقًا متبادلاً قويًا .. وهذا يفسِّر لماذا كانت ترفض الارتباط بأي شخص كما كان يفسر بكاءها الشديد ، حينما كنا نزور معًا مقبرته ...

هذا الخبر لم يعرف به سواي وابنتها الكبرى فريال ، ولما رأيت أنه لم يعد سرًّا وإنما أصبح خبرًا مهمًّا يجب أن يعلم الكل به .. أردت كتابته ؛ لأنه يستحق أن ينشر ..

كانت تحتفظ في إصبعها بخاتم الملك ودبلة الزواج حتى وفاتها ، رحمها الله ...

إن «فريدة» الملكة التي تركت التاج والعرش بكامل إرادتها ، ومن أجل كرامتها .. هي نفسها «فريدة» التي عادت إلى الرجل الذي أحبته بلا تاجٍ وبلا عرشٍ وبلا مجدٍ وبلا قوةٍ.. كانت «فريدة» هي الزوجةُ التي عادت إلى الزوج وهو في محنته ، تسانده وتمنحه الحنان والصبر والقوة من قلبها الواسع الملئ بالتسامح والرحمة .

هي «فريدة» التي قالت : « بعد فاروق لن يكون لي زوج آخر » .. وقالت .. « هو الذي جعلني ملكة ، وهو والد بناتي » .. أما «ناريمان» التي تزوجت العرش ، فقد تخلّت عن صاحبه حين ذهب عنه العرش .. وهذا هو الفارق بين الاثنتين..

إن «فريدة مصر» هي مثالٌ كاملٌ للإنسانية والخلق الرفيع والحب بلا نهاية ..

إنها امرأة لا تتكرر ..

ولم أسمع أو أعرف في حياتي من تشابهها ...






6 222006 319809

الدار المصرية اللبنانية